روايات عبير

لندساي أرمسترونج

# ذروة الأحداث

www.liilas.com

## قمر الليل

٢٠٤

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

HARLEQUIN «ABIR» - No. 204

www.liilas.com

# ذروة الأحداث

« أنا أفضل سيداتى أكبر قليلاً وأكثر أناقة ونظافة .

كانت مقابلة سيرينا الأولى مع سين وينت وورثا الخبير بالحياة والبشر مدعاه للأرتباك . وأقل ما يمكن قوله أنها قد صدمت بشدة عندما أكتشفت أن وظيفة مربية أطفال ــ والتى كانت فى أمس الحاجة لها ــ تعنى رعايتها لإبنى شقيق سين الصغيرين . وذلك فى محطته البعيدة المسماة كوينزلاند .

وعلى نحو مفاجىء ... منحها سين الوظيفة . وأخيراً أحست سيرينا أنها أستطاعت الهرب من وضعها التعس وأستهلال بداية جديدة . وأزدادت سعادتها عندما بدأت زهور علاقتها مع سين تتفتح .

إلا أن الماضى كان يصر على ملاحقتها .

قمر الليل


| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| لبنان | ٢٢٥٠ ل ل | الكويت | ١,٥٠٠ د | اليمن | ٦,٤٠ ر | U.K. | 2,40 |
| سورية | ٤٠ ل س | الامارات | ١٩,٢٠ د | تونس | ٢,٤٠ د | France | F 16 |
| الأردن | ١,٤ ف | البحرين | ٢,٤٠ د | ليبيا | ١,٦٠ د | Greece | Drs 320 |
| العراق | ١,٢ ف | قطر | ١٩,٢٠ ر | المغرب | ٨ د | Cyprus | P 2,40 |
| السعودية | ١٠ ريال | عمان | ٢,٤٠ ر | مصر | ٣٠٠ ق | | |

# قمـــر الليل

## الفصـــل الأول

### ( السيد مرسيدس )

لم يكن المطر غزيراً، بل كان رذاذاً متوصلاً. وإنعكست أضواء الشوارع متألقة في برك المياه الضحله التي تكونت على قارعة الطريق في مدينة سرفرز باراديس بأستراليا.

هزت سيرين سانت جون كتفيها في ضجر. كانت ترتدي معطف مطر أشعرها أنها تحمل على كتفيها حمام ساونا في حارـ رطب. وجدت في نفسها رغبة شديدة في نزعه وأستقبال قطرات المطر على بشرتها لكن ذلك سيكون قة الحماقة رغم أن الشوارع تكاد تكون مهجورة، فقد كان الوقت بعد منتصف الليل.

ترددت لحظة، ونظرت إلى سيارة الأجرة الوحيدة في موقف السيارات ثم هزت رأسها في تصميم وإجتازت الرصيف لتعبر الشارع، وما كادت تنزل بقدمها من على الرصيف حتى سقطت فجأة تحت عجلات دراجة بخارية مزمجره برزت بسرعة البرق من أحد المنعطفات.

جلست سيرينا في وحل الشارع مرتجفة لاهثة الأنفاس وقد منيت ببعض الكدمات والسحجات. ولأول وهله لم تدرك أن هذه مشكلتها الوحيدة ولكنها فوجئت براكب الدراجة البخارية يثب عن دراجته وأقبل عليها ناظراً إليها بعينى ذئب مبتسم تبرقان بوميض لا يخفى. وإبتعدت عنه سيرينا مجفله.

صحك بصوت أجش وقال: «حسناً. والآن لابد أنها ليلتي التي إبتسم فيها الحظ. إنها مصادفة رائعة أن التقى بطائر رفيق مثلك».

التقطت سيرينا معطفها من على الأرض بعصبية وملأ الغضب عينيها وهي تمسح المكان ببصرها.

ويبدو وأن سيارة الأجرة الوحيدة قد قررت الاستغناء عن أجرتها إذا لم ترها سوى أذيال أنوارها وهي تبتعد مختفية في نهاية الشارع.

ونظرة غاضبة أخرى اكتشفت أنه لا يوجد حولها مخلوق. ولذلك حاولت أن تنهض بمشقة وفي نفس الوقت أن تدفع معاونة راكب الدراجة. ولكنها فشلت في كلا الأمرين.

وبضحكة خشنه أخرى مد يده يجذبها وأوقفها على قدميها وهو ينفث حولها سحباً محملة برائحة الجعر.

صاحت في صوت واه متوتر: «دعني أذهب».

رد مستهزئاً: «من ذا الذي يحاولين خداعه يا محبوبتي؟» ثم تابع قائلاً: «لقد رأيتك من قبل، وأنا أعرف الساقطات من أمثالك جيداً».

صاحت مهددة: «سوف أصرخ».

حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن تجذب نفسها بعيداً فما كان إلا أن أحكم ذراعيه حولها. بينما كانت تقاومه بإستماته.

ولم يسمعا صرير إطارات إحدى السيارات وهي تتوقف على الطريق المبتل. ولم ينتبها إلى صوت توقف حركها القوى. وعندما إستطاعت أن تخلص إحدى ذراعيها لتوجه صفعة قوية إلى رأس ذلك المعتدي كان ذلك قد حدث فعلاً ولكن ليس بواسطتها. وتكور راكب الدراجة في وحل الطريق.

فتحت سيرينا عينيها في دهشة لتجد أن الضوء يغمر المكان حولها بينما تقف إلى جوارهم سيارة مرسيدس زرقاء لامعة. وإستدارت لتجد رجلاً يقف خلفها وتحفز عندما جلس راكب الدراجة البخارية على الأرض وقد علا أنينه، ثم نهض بصعوبة متأملاً ما يراه أمامه ووجه سيداً من نظراته



القذرة الداعرة إلى سيرينا ثم قفز إلى دراجته وإنطلق مبتعداً.

ترنحت في وقفتها حيث أحست بإنهاك تام. ولم تنطق بكلمة، وساعدها الرجل الثاني حتى أركبها المرسيدس. ثم جلس أمام مقود السيارة وأضاء مصباحها الداخلي وقال فجأة:

«هل تعرفينه!»

رفعت سيرينا يدها عن جبهتها وحدقت في الرجل بإرتياب. رأته فوق الثلاثين... طويلاً ذا شعر أسود مصفر وعينيه بدا ان لونها... رمادي أم أخضر؟ ولم يكن هناك شك في جو الجاه والحكمة الذي يحيط به.

ورغم أنه لم يكن وسيماً بالمعنى التام للكلمة إلا أنه كان محاطاً بجو من الذكاء.

إبتسم فجأة وقال في صوت مهذب: «هل إنتهيت تماماً؟ لقد سألتك سؤالاً».

أعادت كلمة الوعي إلى سيرينا فردت بحدة: «أنا لا أعرفه... ماذا تظن بي؟»

رفع حاجبيه وقال: «أنا لست متأكداً مما ينبغي أن أظن. هل من عادتك التجول بمثل هذه الملابس في الثانية صباحاً؟»

وتنبهت نظراته إلى معطفها المنسخ الممزق وقد بدل مفتوحاً ليكشف عن ملابسها الرقيقة الشحيحة. كان جوربها الأسود الطويل قد تمزق أيضاً بينما كانت الدماء تنزف من أحد ركبتيها وفجأة أحست أن ذلك أثقل من أن تتحمله في نهاية عملها الليلي الشاق.

أمتدت يدها بعصبية تمسح الدموع التي سالت على وجنتها وقالت بحدة: «يمكنك أن تظن ما يحلو لك. فكلكم نفس الشيء سواء جثم على دراجات بخارية أو في سيارات أنيقة. هذا لا يعني القول بأن...»

قاطعها قائلاً: «إذن عزيزتي» وأندفعت يده القوية توقف يدها التي كانت تبحث عن مقبض الباب وتابع قائلاً: إذا كان ذلك هو أعتقادك فلماذا تتجولين طلباً له؟ إن الفتيات الصغيرات اللاتي يتسكعن بمثل



www.liilas.com

هذه الطريقة إنما يبحث عن المشاكل ويرحب بها» ثم نظر لها مدققاً وقال: «من تكون في السابعة عشرة يجب أن تعرف أكثر من ذلك؟» ثم أضاف بهدوء «وإذا لم يرغبن في هذا فيجب أن يكون لديهم الأستعداد لقبول حكم الآخرين عليهن».

قالت سيرينا في صوت مرتجف: «هل لك أن تدعني أذهب من هنا؟». أنا لست ملزمة بالجلوس والأنصات لك... كما أنني في الثامنة عشرة».

ضحك قائلاً: «الثامنة عشرة؟» وتابع: «إنك لرائعة الجمال حتى وأنت تصرين على أسنانك. إن أي فرد لديه قليل من الأدراك كان لابد أن يمنعك من الخروج لعامين آخرين. هل تدرك عائلتك أنك بهذا الأسلوب تندفعين بعناد إلى الأنتحار؟ لقد تخيلت أنك تعملين بأحد الملاهي المشبوهة... فعلاً يجب أن يوضع قانون حول ترك أمثالك للضياع».

التقطت أنفاسها وكتمت غيظها قائلة بصوت مضطرب: «حسناً. لقد سمعنا قولك.. من الواضح أنك تشعر بأن من حقك أن تقول لي مثل هذه الأشياء رغم أنني لا أستطيع أن أرى سبباً لـ...»

قاطعها قائلاً: «لقد أنقذتك توأ مما يعلمه الله».

«هذا لا يزال...» وتوقفت وعضت على شفتيها ثم قالت بصوت جاف ضعيفاً: «شكراً لك» ولكنها لم تستطع منع نفسها من أن تضيف: «إذا أمكن أن ترفع يدك فقد أستطيع أن أريحك من مشكلتي هذا فضلاً عن تخليصك من شخص ملوث خلقياً وجسدياً. وأيضاً لم تستطع منع نفسها من توجيه نظرة ساخرة موجهة له.

ما كان منه إلا أن قال مهدئاً: «لا أظن أنني قد رأيت عيوناً بنفسجية حقيقية من قبل». وقبل أن تنطق بأي حرف كان قد أنطلق بالسيارة.

شهقت سيرينا وما كان منه إلا أن نصحها بأن تدع الباب لحاله. وقال: «أنت لا تريدين أن تسقطي في الوحل مرتين في ليلة واحدة.



أليس كذلك».

قالت بصوت متلعثم لا يخلو من الرعب: «ولكن... ولكن إلى أي مكان تأخذني؟»

قال بلا مبالاة: «إلى أين.. في ظنك؟... إنه مكان خاص وجميل حيث يمكننا أن نعرف بعضنا بصورة أفضل» وغار صوته وهو يقول: «أنا واثق أنني رفيق أفضل من صديقنا راكب الدراجة». أنا أشك في إذا ما كانت لديه خطط «... ليكافئك على خدماتك.» ثم سأل ساخراً: «ربما يكون ذلك هو سبب أختلافك لهذه المشاجرة؟»

وكأنما أنعقد لسانها. وأخيراً صاحت بأنفاس لاهثة: «قف... قف فوراً. هل تسمعني؟»

هز كتفيه مستهزئاً وقال: «حسناً» ثم أوقف السيارة في إحدى أماكن الأنتظار بالقرب من الشاطئ. كانت السماء لا تزال تمطر. وكان البحر المظلم يمتد أمامهم غير بعيد عن الأرض. قال بإبتسامة ساخرة: «هذا مكان جيداً للبداية».

وازدردت سيرينا لعابها عدة مرات وقالت: «أنا...» وعندئذ دفعت مقبض الباب ولكنه رفض أن يتزحزح. أدركت أن بالسيارة مزودة بجهاز لغلق الأبواب مركزياً. ومن الواضح أن استخدمه خلال المسافة القصيرة التي قطعاها بالسيارة.

وعندما أستدارت له غضبه قال متشدقاً: «مالأمر؟»

«أنا لا أريد أن أبدأ أي شيء معك».

«ربما لا يكون لديك فرصة كبيرة للأختيار».

«لماذا تحملت مشقة إنقاذي إذا كنت لا ترى لي فرصة كبيرة للأختيار؟»

«أنا أظن أن لديك فرصة كبيرة للأختيار لأنك لا تفهمين أنك في موقع لا يمكنك فيه..» وهز كتفيه مستهزئاً ثم أضاف: «الأختيار».

لعقت سيرينا شفتيها وحاولت أن تفكر في مخرج ولكن كل ما شغل



www.liilas.com

عقلها هو أنها كم كانت غبية لأنها لم تستقل السيارة الأجرة. وتوسلت قائلة: «أرجوك.. فقط دعنى أذهب».

«إلى أين؟ هل تقيمين قريباً من هنا؟»

ردت بسرعة: «ليس بعيداً... أرجوك...»

حدق فيها بتراخ وقال: «ربما أسمح بذلك بعد أن تنهى من إيضاح بعض الأمور. هل تحاولين ـ على سبيل المثال ـ أنه رغم ارتداؤك ـ وربما تجردك ـ هذه الملابس القصيرة للفتيات المستهترات وبهذا الزى صمم لجعل الرجال يسودون إليك نظرات الغرام فأنت ترتدين هذه الملابس وتعملين فى مكان يرتاده الرجال لهذا الغرض على الأقل. فهل تحاولين رغم ذلك أن تقولى بأنك تبغضيه أثناء فعلك له؟ وسألها بهدوء: هل تعلمين أى نوع من الفتيات أنت؟»

كانت سيرينا صامته. صامته مفعمة الأسى.

«ربما تشعرين أن المظهر المتزمت المتعفف الغاضب قد يضيف بعضاً من التوابل إلى الصوره. هل لنا أن... نختبره؟» ومال تجاهها واضعاً يديه على كتفها.

وأنزوت سيرينا فى مقعدها وحاولت أن تنأى بعيداً عنه. ولكن مقاومتها كانت سقيمة بالمقارنة بقوة ذراعيه البالغة. وجدت نفسها نصف جالسة ونصف راقده بين ذراعيه وكانت نظرة عينيه الرمادية الخضراء تبرق وهى تحملق فيها.

وغمغم: «لا تقاوميننى يا محبوبتى، فلن تنالى سوى الأذى».

ورفضت الانصياع لهذه النصيحة، ورغم أنها لم تؤذ فقد وجدت نفسها أخيراً ترقد ساكنة بين ذراعيه وهى منهكة تماماً.

قال بهدوء: «هذا أفضل. ولربما تكونين على فطرتك فى هذا الفن فدعينى أريك كيف يُنفذ. ورفع يده ببطء وتعقب مساراً خط من خلف أذنها إلى عنقها الرقيق ثم إلى قاع حلقها. كانت لمسة رقيقة لطيفة وأستطرد فأزاح معطفها عن أحد كتفيها ليكشف عن جسدها العارى.



كان شعرها يغطى عنقها. وطول الوقت كان ينظر لها من تحت جفنين نصف مفتوحين.

أحست سيرينا أنه لابد هناك شيئاً منوماً مغناطيسياً فى هذه النظرة الهادئة التى كانت لاتزال تحدق فيها. كان شيئاً آسراً الزمها السكون. وأنفرفها وعلت دقات قلبها بينما أصاب الشلل أطرافها.

عندئذ خفض رأسه وأحست بشفتيه تلامس شفتيها وتغطيها وتقبلها.

لم يسبق لسيرينا أن قبلت جدياً على الأطلاق. كانت ترتعد لمجرد الفكرة نفسها. أما الآن فهناك لامبالاة غريبة تجتاحها. كان الأحساس بذلك الرجل مختلفاً. ولقد حاول جاهداً بطريقة ما أن يجعل أحساسها مختلفاً... ناعماً ورقيقاً.. ضئيلاً وهشاً وفى حاجة للحماية إلى تقدمها ذراعاه.

كان شيئاً ساحراً. وعندما رفع رأسه وأضاء المصباح الداخلى للسيارة مرة أخرى كانت كل تلك الحيرة واضحة فى عيونها البنفسجية الواسعة ذات الأهداب السوداء. وذلك قبل أن تطرفها.

بعد برهة لوى شفتيه بإبتسامة ساخرة وقال: «لم يكن ذلك سيئاً جداً. أليس كذلك؟»

قطبت سيرينا جبينها وقالت بحماقة: «إن عينيك خضراء وليست رماديه».

«لتكن ما تكون يا صغيرتى» لم تكد شفتاه تنفرجان وتابع قائلاً: «أنت لا تعرفين الكثير عن تبادل القبلات. أليس كذلك؟»

همست: «أنا.. ليس كثيراً».

«لكنك تتوقين إلى التعلم؟ ربما تنتظرين الرجل المناسب... لتشدى إليه نجمك».

طرفت عينا سيرينا مرة أخرى.

«حسناً» قالها وتابع: «لقد توقفت عن قتالى مستريحة؟ نعم؟» ولم ينتظر رداً وتابع: «إذن هل سنكمل؟»



www.liilas.com

ردت سيرينا في ذهول: «تكمل؟ ... هل نقصد ...؟»

«وماذا غير ذلك؟»

«أنا ... أوه» وحاولت أن تنتزع نفسها من بين ذراعيه فما كان منه إلا أبتسم وقال: لا تخدعي نفسك يا محبوبتي. وحتى إذا أردت ذلك. وهو ما أشك فيه. فلا توجد وسيلة تستطيعين بها منعي مما أريده أيا ما يكون. أليس كذلك؟» وشدد أحضانه قليلاً ولكن بدرجة ملحوظة.

لم تستطع سيرينا سوى أن تومىء برأسها في حركة واهنة فقد عقد الذهول لسانها وكانت أضعف من أن تستطيع الكلام. وللحظة مرتبكة رأت أن السخرية في عينيه قد خفت حدتها بعض الشيء. وفوجئت به يفك ذراعيه من حولها ويدفع خصلة من شعرها بعيداً عن عينيها ثم أجلسها في مقعدها وشد عليها معطفها ليستر جسدها بأقصى ما يمكنه.

قال بصوت مفاجيء خال من الانفعال: «إذن يا طفلتي، دعي ذلك يكون درساً لك. وذلك إذا كنت لم تقطعي مسافة طويلة في ذلك الطريق الذي أخترته. وفي الحقيقة دعي ذلك يكون درسين. الأول أن هناك وظائف معينة مفتوحة لأستثمار المواهب يمكن للفتاة أن تضع نفسها فيها. والثاني أن أستثمار المواهب لا يحتاج لأن يكون في مجال القوى الشهوانية. هناك الكثير من الرجال الذين يجيدون الأستحواذ على الفتيات الصغيرات فليلي الخبرة ويعرفون كيف يدفعونهم للسقوط. إن حياة المرء يمكن أن تكون قوية إلى حد كاف بدون أن تخاطري بنفسك بهذه الطريقة».

وأشاح بوجهه قائلاً: «والآن. أين تقيمين؟ سوف أعيدك لمنزلك» وأدار محرك السيارة حاولت سيرينا مراراً أن تتحدث. وفي آخر الأمر لم تستطع سوى أن تحدق فيه.

قال في حلم: «لابد أنك لك منزلاً تذهبين إليه. أليس كذلك؟» وأستدار بالسيارة. أغلقت فمها وتنحنحت تخرج بعض البلغم من حلقها. وأخيراً قالت بصوت مبحوح: «أجل». وأعطته العنوان.



سألها: «هل يعيش والدك معك؟»

«لا. أنا أعيش بمفردي».

«بالطبع. وأظن أنك فتاة يتيمة بائسة لا يوجد في هذا العالم من يهتم بك».

عفت سيرينا على شفتيها هذه السخرية التي تبدت في صوته بينما تابع قائلاً: «هل هذا هو ما دفعك لهذا الحضيض؟ أم أن رجلاً ما قد دفعك فعلاً لذلك..... إنه الشارع القادم على اليسار. أليس كذلك؟

وعندما لم ترد وأحكمت غلق شفتيها أضاف قائلاً: إذا كنت تظنين أن بأستطاعتك بهذه الطريقة أن تثأري لنفسك من كل الرجال فإن ذلك أيضاً بعد حماقة كبرى».

شهقت سيرينا ووجدت روحها الفتالية تعود إليها فقالت: «أنا لا أفعل. إن الأمر ليس كذلك. من الواضح أنك لم تجد في قبلتي خبرة كبيرة» ثم أضافت بلهجة آمرة: «توقف هنا. إنه هذا المنزل».

أوقف السيارة ولكنه لم يفتح لها الباب وقال: «ربما لا يرجع ذلك لعدم الخبرة. إنما ربما لم يتم تعليمك جيداً. وهكذا فهو وداع. أود أن تذهبي إلى فراشك وتفكري فيما قلته. ولكن على أية حال خذي حذرك أيتها الصغيرة» ومال نحوها ومد يده وفتح الباب قائلاً: «أذهبي».

رفعت سيرينا رأسها فجأة ثم ترددت وهي لا تدري إن كان بإمكانها أن تفهم هذا الرجل أن كل ماظنه بها ليس صحيحاً.

ولكنه قال متشدقاً: «أوه... لا.. أنت لا... يجب أن أقول لك أنني أفضل نسائي أكبر سناً قليلاً وأكثر خبرة وأنظف. أذهبي» وعندئذ قفزت من السيارة ولم يكن بالها سوى فكرة واحدة وهي أنها ستموت كمداً وألماً إذا رأت هذا الرجل مرة أخرى.

ترسخ هذا الشعور داخلها عندما سمعته يقول: «طابت ليلتك أيتها الصغيرة».

وإندفعت تجتاز الطريق إلى المنزل القديم الذي تكسوه الواح الخشب



منتديات ليلاس الثقافية
قمر الليل

وكأن هناك من يطاردها. عندما دخلت حجرتها قذفت بنفسها إلى الفراش ثم هبت فجأة وخلعت معطفها وطوحت به إلى أحد الأركان. ثم نزعت ثيابها الضيقة القصيرة وجواربها الطويلين ذى اللون الأسود وكورتها ثم قذفت بها ليلحقا بالمعطف. وتناولت إزار الحمام من على المشجب والتقطت أسفنجة الاستحمام ثم سارت عبر الممرات إلى حجرة الحمام. وبأقل ما يمكن فتحت الدش القديم ذى الصرير المزعج حتى تجنب نفسها إهانات صاحبة المنزل فى هذه الساعة المتأخرة. وأخيراً غاصت فى الحمام وهى تطلق تنهدات تخفف من توتر أعصابها. كانت عادتها أن تستحم كيفما أتفق فى الحمام الصغير الملحق بحجرتها وذلك بعد انتهاء عملها الليلى.

بعد نصف ساعة كانت قد عادت لحجرة نومها وأحكمت غلق الباب. كانت كل بوصة فيها نظيفة ورائقة ما عدا ركنها ومرفقيها حيث وضعت عليها مادة مطهرة. وأكتشفت أيضاً كدمة ذاكنة على أحد ذراعيها ما بين المرفق والكتف.

وأخيراً رقدت فى فراشها وأطفأت النور. وقالت لنفسها: «ها هى... ليلة من حياتك مخزية إلى أبعد الحدود. وإنما يجب أن تنسيها.. أنه أمر بسيط جداً».

ولكنها لم تستطيع النوم أو أن تطرد من تفكيرها تلك العيون ذات اللون الأخضر الرمادى. ولكى تزداد الأمور سوءاً فإنها عندما أستطاعت النوم أخيراً رأت فى الحلم أحراشاً وغراً ذا عيون غريبة ورأت نفسها تعدو وتتعثر ما بين الشجيرات الخضراء المورقة وهى توقن أن الحيوان يطاردها بلا رحمة. ولكن عند كل مواجهة بينها كان الغر يتوقف ويحملق فيها ثم يستمر فى طريقه.

وفى الصباح حادثت صاحب العمل تليفونياً.

جاء صوته عبر التليفون: «لا يمكنك المجىء؟ الليلة؟ لماذا؟»

وضعت سيرينا سماعة التليفون ما بين أذنها وكتفها حتى تتمكن من



فحص الكدمة الموجودة بذراعها والسحجات الموجودة بمرفقها.

قالت: «حسناً. هذا ما حدث يا تونى» كانت لا تزال تنظر بطرف عينها إلى جراحها. وتابعت قائلة: «أنا.. حسناً... لقد سقطت على الأرض بالأمس وأصبت ببعض السحجات والكدمات. أظن أن مظهرى سيكون سخيفاً إذا ما أرتديت ملابسى المعتادة كما تعرف».

ساد صمت طويل. وتخيلت صورة صاحب العمل ورد فعله لما أخبرته به. لابد أنه يجرى يده خلال شعره الأشعث ويمضغ سيكاره.

قالت بتردد: «تونى؟»

أجابها ببطء: «أوه.. هه» ثم تابع: «أنت تحاولين القول بأنك صادفت باباً قوياً؟ أكان من ذلك النوع الذى يوزع النظرات الشريرة؟»

ردت متحيرة: «باباً قوياً؟ نظرات شريرة؟... أنا ليس لى نظرات شريرة. هل تعنى... هل تظن أن...؟»

قاطعها قائلاً: «نعم» ثم أضاف: «أو إلى حد ما كنت أظن» وتابع: «أقصد أن أول ما خطر لى أنها مشاجرة حبيبين. إن إبتكارات الفتيات لا تنقطع للأحتيال على وتبرير تغيبهم. من ناحية أخرى أنا أعى جيداً أننى أتحدث مع سيرينا وهو ما يمكن أن يعنى تفسيراً آخر. لماذا لا تخبرينى بالقصة كاملة أيتها الطفلة؟ فقد يدفعنى ذلك للمبادرة بعمل شىء».

قالت سيرينا بحرارة: «أنا أشك أن يكون هذا ممكناً يا تونى. ولكن على سبيل الذكر.. سوف أفعل».

وحكت سيرينا ما حدث ولكنها حرفت بعضاً مما جرى مع ذلك الرجل صاحب السيارة المرسيدى.

تنهد بصوت مسموع عبر أسلاك التليفون. وأخيراً قال: «حلوتى. هناك بدلاً مضافاً لراتبك ليغطى ركوبك سيارة أجرة بعد أنصرافك من العمل. لقد أوضحت لك ذلك فى بداية تعيينك» وسأل بإلحاح: «هل فعلت ذلك أم لا يا سيرينا؟»



www.liilas.com

قالت بصوت خافت: «لقد فعلت. لكن أنا.. حسناً. إن منزلي ليس بعيداً وأنا أحاول التوفير كما تعرف. ورغم ذلك فأعتقد أنه كان شيئاً سخيفاً أن أفعل ذلك» وأضافت في صوت متوسل: «أنا أعدك الا أفعل ذلك مرة أخرى».

«أنت على حق. فلن تفعلي يا صغيرتي». وسوف أخبرك بالسبب وستكرهينني لذلك ولكن صدقيني.. إنني أعمل لمصلحتك قبل مصلحتي. أنت لا تلائمين الوظيفة يا سيرينا. وهذا هو كل ما في الأمر. وسوف أوظف فتاة أخرى مكانك اليوم.

تمتمت قائلة: «ولكن يا دوني... أنا أعرف أنني كسرت كل هذه الأكواب. ولكن ذلك حدث مرة واحدة فقط وأنت نفسك قلت أنني أتحسن».

ورد ببساطة: «المشكلة ليست في الأكواب رغم أنني يجب أن أعترف بأنني لم أر مطلقاً من تكسر كل هذا العدد دفعة واحدة.. وإنما المشكلة فيك أنت. أنت لست النوع المناسب من الفتيات لهذا العمل. فانظري كيف يمكنني تحميل مسئولية ذلك؟ أنا لا أدير هنا بيتاً للدعارة كما تعرفين جيداً، ولكنني لا أنكر أن التبادل هنا يجب أن تلفت الأنظار ويعجب بها الجميع. هناك من الفتيات من يمكنهن عمل ذلك ويمكنهن التعامل مع الزبائن وإيقافهم إذا تجاوزوا هذا الحد. وهن يستطعن عمل ذلك دون تضخيم الأمور ودون دفعي للمشاجر من أجلهن رغم أنني أكون هناك دائماً عند حدوث أي شيء. أما أنت فلا يمكنك معالجة ذلك. أنت ترتبكين وتهتاجين إذا نظر إليك أي شخص. ويعلم الله ما سيحدث إذا حاول أحدهم أن يلمسك على نحو ودي.. حسناً.. لا تزال أمامي فاتورة شراء نصف درزين من الأكواب.. وأنا أفكر في صنع أطارها»..

«لو لم يكونوا مكدسين كلهم بتلك الطريقة فربما لم..»

«هذا خارج الموضوع يا سيرينا. الشيء الآخر أنك جعلتيني أحوم مثل دجاجة تحمي صغيرها. فهذه هي كيندا تغلبت على الأمر تماماً. هل



تفهمين ذلك يا محبوبتي؟»

قالت سيرينا بصوت يائس: «أنا.. أظن ذلك».

قال بصوت قوي: «حسناً سوف أخبرك بشيء آخر. فرغم كل الرواية المخترعة التي أخبرتني بها عندما استأجرتك للعمل ــ ويعلم الله ما دفعني لذلك في المقام الأول فلابد أنني كنت متهوراً ــ ولكن رغم ذلك فأنا متأكد تماماً أن لك بيتاً عريقاً ينتظرك في مكان ما. لقد أدركت ذلك من طريقة تحدثك وشبكك ونظرتك المندهشة لنا كمخلوقات بشرية ذات تعليم أقل... حسناً. فلتعودي إليه يا سيرينا. أبتلعي كبرياءك وعودي إليه يا طفلتي. وصدقيني فهذا أفضل ما يمكنك عمله».

وصدمها صوت القائه سماعة التليفون منهياً المكالمة.

حملقت سيرينا في سماعة التليفون التي تمسكها بيدها ثم وضعتها ببطء. هكذا كانت النهاية. لقد أنهت أولى محاولاتها للاستقلال إلى هذا الفشل الكئيب. ظلت جاحظة العينين تحملق في الفراغ لوقت طويل ثم رفعت رأسها فجأة. وحادثت نفسها.. ربما تكونين قد أنهزمت يا سيرينا ولكنك لست عاجزة عن متابعة المسير. فهي لم تكن وظيفة طيبة. وللأمانة فأنا لم أكن بارعة فيها. وبالأضافة لذلك فإنني.. حسناً. فإنني أكره أنه أراه على حق في أي شيء... ذلك السيد مرسدس ولكنه أستطاع الحصول على نقطة.

ولكنها عندئذ ذكرت نفسها بأن مواردها قد أنحدرت إلى مستوى خطير. ورغم أنها نالت تعليماً رفيع المستوى إلى حد كبير فإنه لم يؤهلها تماماً للخروج إلى العالم العثور على وظيفة. إنها تتحدث الفرنسية بطلاقة ولكنها لا تعرف كيفية أستخدام الآلة الكاتبة. لقد حصلت على درجة ممتازة في التاريخ القديم وشهادة في الجغرافيا والأنجليزية ولكنها لا تعرف شيئاً عن الحاسب الآلي. وهذا بعدها عن أمكانية العمل كموظفة أستقبال في الفنادق أو على خطوط الطيران. ولكي تزداد الأمور سوءاً فقد كانت في الثامنة عشرة وهي تقترب من التاسعة عشرة وذلك يجعلها



www.liilas.com

أكبر سناً من كل الوظائف التى لاتحتاج إلى مهارة مثل حسابات المحال التجارية أو حتى العمل فى المطابخ.

ظلت قابعة فى الظلم لفترة تطيل التفكير فى هذا الأمر وفى نظام الأجور الذى يعتبر المواطنين فى الثامنة عشرة زائدين عن الحاجة حيث يمكن أستخدام غيرهم فى الخامسة عشرة ومنحهم أجوراً أقل.

كان هناك مخرج آخر يتمثل فى منتجعات الأستجمام التى تقع على ساحل «باربريف» وكذلك فى «نورث كوينزلاند». ولكنها وجدت أنه يجب على المرء بصفة عامة أن يتحمل تكلفة أقامته وهذا لن يدع لها شيئاً ذا قيمة.

ولكى تزداد الأمور سوءاً كان اليوم صحواً. ولابد أن الجو رائع على الشاطىء. وهو الشىء الوحيد الذى يمكن الحصول عليه فى مدينة سرفرز مجاناً وبدون أى تكلفة. ولكنها أدركت أنها ستشعر بالذنب لمجرد فعل ذلك. ولذلك نشرت الجريدة فى أحباط على فراشها وجلست على ركبتها تمسح ببصرها أعمدة الوظائف الخالية ولم يكن لديها كثير من الأمل.

ولمت بكل الأعلانات تقريباً وهى تمر بأصبعها على صفحة الجريدة بحثاً عن طلب موظفات فى أحد البارات ولم يكن هناك نقص فى العمال فى هذا المجال. وأتجهت إلى أعلانات الكتابة على الآلات الكاتبة والكتابة بالإختزال ثم تراجع أصبعها ودار حول أعلان يطلب مربية أطفال تقبل الأقامة لفترة طويلة.

تسارعت دقات قلبها وسألت نفسها.. لماذا لم أفكر فى هذا الأمر من قبل؟ وبدأت تقرأ فى حماسة.

كان المطلوب مربية تعمل كمرافقة لتوأمين فى الثامنة من عمرهما يعيشان فى مقاطعة منعزلة لتربية الماشية. ويجب أن تكون المتقدمات فى الثامنة عشرة من عمرهن على الأقل ولديهن شهادة عالية وتم إعدادهن للأشراف على الدروس الحرة. ولكن أهم شىء أن يكون لديهم حب شديد للأطفال وتم أعدادهن للأندماج فى حياتهم تماماً والتكفل بتعليمهم



وتأديبهم. والمقدرة على ركوب الخيل شرط أساسى. ولابد من وجود شهادة شخصيين من المعارف عن أخلاق المتقدمة ومقدرتها.

أطلقت سيرينا صيحة فرح وقفزت نحو الحجرة رشاً ورقصاً ثم إلتقطت الجريدة لتعرف عنوان وكالة الأستخدام التى تجرى المقابلات المبدئية. وزاد ذلك من سرورها، فهى ستقابل هناك سيدة ودودة متعاطفة. وحادثت نفسها.. هناك مشكلة واحدة فقط: شهادة أثنين من المعارف. يمكن أن تكون احداهما ناظرة المدرسة الخاصة الشهيرة التى درست بها ولكن من أين لها بالشخص الآخر؟ بالتأكيد ليس تولى. ولكن من الممكن أن... نعم لما لا؟

كادت تطير وهى تندفع من حجرتها وتهبط الدرج بحثاً عن صاحبة المنزل. وأخيراً وجدتها فى حجرة الغسيل.

«سيدة بنسون؟ هل لك أن تفعلى شيئاً لأجلى يا سيدة بنسون؟

كانت السيدة بنسون مكفوفة القوام فى منتصف العمر. كانت تضع الملابس فى ماكينة الغسيل وأستدارت لدى سماعها صوت سيرينا وقالت: «أوه... سيرينا... هذه أنت... أنصتى يامحبوبتى. أنا أريد الحديث معك بخصوص..»

قالت سيرينا فى صوت يم عن الأحساس بالذنب: «أنا أعرف... بخصوص الحمام فى الليلة الماضية. أنا آسفة ولكننى زلت قدمى وسقطت على الأرض كما ترين وكان جسدى متسخاً.

قالت صاحبة المنزل فى تذمر: «حسناً. طالما أنك لم تتخذيها عادة. هناك آخرون بالمنزل ومن حقهم الأستمتاع بنوم مريح». وأستدارت إلى ماكينة الغسيل.

قالت سيرينا بلهفة: «سيدة بنسون... لقد أتيت لأطلب منك معروفاً».

أستدارت السيدة بنسون إلى سيرينا وتوقف جسدها المكفوف عن الحركة بينما أرتسمت أمارات الأهتمام على وجهها وهى تقول: أى نوع من



www.liilas.com

المعروف؟»

قالت سيرينا: هل... أنا أقصد. هل يمكنك أن تكتبي لي شهادة باخلاقي؟ فكما ترين أنا سأتقدم لوظيفة مربية أطفال ولست أدري إن كان يمكنك فقط أن تقولي... أنك تعرفيني الآن على مدى ثلاثة شهور. وأنني لا أشرب الخمور ولا أدخن ولا أسبب أي قلاقل - وأنا في الحقيقة آسفة بسبب الحمام بالأمس وأنني أهبة... شيء ما من هذا القبيل هل يمكنك؟»

أنفرجت أسارير السيدة بنسون وقالت بلهجة مشجعة: «بالطبع سأفعل ذلك لأجلك. وفي واقع الأمر فأنا يسعدني ذلك. أنت فتاة طيبة يا سيرينا وكلما أسرعت بترك المكان الذي تعملين به حالياً كلما كان ذلك أفضل سوف أحضر نظارتي وأكتب ذلك سوياً». وأضافت ضاحكة: «هل تعرفين أنني أحسست بالقلق لأول وهلة. فقد ظننت أنك ستطلبين قرضاً أو تقولين أنك لن تستطيعي دفع الأجار».

ردت سيرينا بابتسامة شاحبة قلق وهي تدرك أنها إن لم تحصل على هذه الوظيفة أو أي وظيفة أخرى في وقت عاجل فإن ذلك سيكون واقعاً مراً.

وكتبا الشهادة معاً وهما يحتسيان كوبين من الشاي.

أرجعت السيدة بنسون ظهرها لتخلف وهي تقول: «ها هي.. ما رأيك؟»

ضحكت سيرينا ضحكة خافتة وهي تقول: «إنها لبديعة... بارعة جداً وكأنها حقيقية» ثم أضافت بصوت هادىء: «لا أصدقاء رجال. لا ردائل. شخصية لطيفة مبتسمة ومتعاونة. هل تعتقدين أنهم سيصدقون ذلك؟»

قالت السيدة بنسون بلهجة حاده: «سوف أقول لهم ذلك في وجوههم». والآن لو كنت مكانك يا محبوبتي فلن أقول أي شيء عن الملهى. لا حاجة بهم لمعرفة شيء بخصوص ذلك. هل.. هل ذكر الأعلان



موقع هذه المقاطعة؟ فكما تعرفين قد يكون بعض من هؤلاء الرعاة العربيين متطفلين حقيقة. وربما يريدون معرفة شيء عن عائلتك» لم تكن السيدة بنسون نفسها قادرة على مقاومة طابع الفضول فيها. فكثيراً ما كانت ترد معرفة شيء عن هذه الفتاة الصغيرة الجميلة الغامضة حسب رأيها في سيرينا. وحادثت نفسها بأنها لم تكن لتفاجأ إذا ما كان للسيدة بنسون السبق في ذلك. ولكن من الواضح أن هناك خطأ ما قد حدث.

قالت سيرينا بهدوء: «إن عائلتي هي شيء خاص بي. وبرغم كل شيء فقد بلغت سناً يكفل لي حق الأنتخاب ولذ بالتأكيد أنني كبيرة بدرجة تكفي لأن يكون لي إعتباري المستقل بعيداً عن عائلتي».

لاح الأسف على وجه السيدة بنسون وهي تومىء قائلة: «هذا حقيقي. كل ما في الأمر أنني كنت إليك.. متى تذهبين مقابلتهم؟»

هبت سيرينا واقفة وهي تقول: «الآن فوراً» ثم أضافت في حرارة: «لا أستطيع أن أوفيك حقك من الشكر يا سيدة بنسون» ثم مالت تطبع قبلة على وجنة تلك السيدة الطيبة.

كان اليومان التاليان بالغي الطول.

ورغم كل شيء فقد أحست سيرينا أن المقابلة مع وكالة التوظيف كانت مبشرة بالخير. وللمرة الأولى أحست أن سنها وتعليمها يقفان في صفها. وفي الصباح التالي تلقت مكالمة تليفونية تطلب منها الحضور لمقابلة أخرى. ستكون هذه المرة مع السيدة ديبي في أحد الفنادق الفاخرة.

كانت السيدة ديبي تجلس إلى إحدى الموائد تحتسي القهوة عندما أقبلت عليها سيرينا. كانت سيدة ذات شعر رمادي بادية العطف وقدمت نفسها على أنها السيدة ديبي ثم أبتسمت قائلة: «كيف حالك يا سيرينا؟ هل يمكنني أن أناديك بذلك؟»

قالت سيرينا مبتسمة: «بالطبع».

«أنا.. أرى أنك لم تحصلي على وظيفة منذ تركت الدراما يا سيرينا؟»

«لا... لقد قررت أن أقوم بما يشبه أجازة عمل حول أستراليا. حتى



www.liilas.com

الآن فهمى فى الغالب... أجازة. لقد حصلت على بعض وظائف هنا وهناك ولكنها كانت فقط لملء الوقت».

دست سيرينا أصابعها، فى حجرها أخذت تعقدها وتعيدها وهى تتمنى لو كانت تحسن الكذب بدرجة أفضل.

سألتها السيدة دينبى: «هل لديك أستعداد للعمل بهذه الوظيفة لمدة طويلة؟»

قالت سيرينا بحماسة: أوه... نعم، أنا أقصد أننى لو ثبت أننى ملائمة... لو ظننتم أننى ملائمة فسيسعدنى جداً أن أبقى».

«وماذا عن عائلتك؟»

كانت سيرينا تخشى هذا السؤال، ولكنها أستطاعت أن تقول فى لهجة رصينة: «لقد توفى والدى ورغم أن لى زوجة أب فإننا لسنا.. متفاهمين تماماً» وتوقفت وقد شحب لونها.

ولكن السيدة دينبى أومأت بفهم وسألتها: «أخبرينى.. هل سبق لك الحياة فى الريف؟ إن روزوود معزولة تماماً. ورغم أننا نحيا هناك فى سعة وسعادة لكن الأمر يحتاج بعضاً من التكيف والتوافق وبالذات بالنسبة لفتاة من المدينة».

أسترخت أعصاب سيرينا وقالت: «لن يكون ذلك مشكلة. لقد ولدت ونشأت فى إحدى مقاطعات رعى الأغنام فى ويسترن فيكتوريا، ولقد ركبت الخيل لأول مرة وأنا فى الخامسة ثم ابتسمت وهى تضيف:

«أنا أحسب أن هذين التوأمين مفتونين بركوب الخيل».

ضحكت السيدة دينبى بصوت خفيض وقالت: «أنت لست على خطأ فى ذلك». وتابعت: «أنها مصدر إزعاج دائم لى فى هذا الصدد. ربما يجب أن أعطيك خلفية ما بصفة مسبقة؟. أنا أعمل كمديرة للمنزل فى روزوود». وأضاف بصوت حزين: «فى واقع الأمر أننى هناك منذ فترة تبدو أطول منه أن أذكرها» ثم ملأ الحزن عينيها وهى تقول: ولسوء الحظ.. ذهب والد التوأمين ضحية حادثة مروعة منذ بضع سنوات



فانتقلت رعايتهم لى مباشرة. وحتى الآن فلا نوجد مشكلة. حسناً... ولأكون صادقة فربما يجب أن أقول أنها مشكلة تقدم سنها. إننى أنا وغيرى نجده شيئاً صعباً بصفة مطردة أن نراقبهم ونقتفى أثرهم. ولذلك فكرنا فى أحضار مربية تكون مهمتها الوحيدة هى العناية بها، وأن تساعدهما على أحراز قدر من التعلم وإلا فسيكون هناك الأحتمال الذى لا ريب فيه أن يشبا غير متحضرين على الأطلاق. غير أن عمهما المسئول عنهما الآن لا يريد مجرد مربية. هو يريد الحصول على من يكون لديها الوقت والرغبة فى المساحة وركوب الخيل معهما. ويكون لديها الوقت لتقرأ لهما وتساعدهما على تصحيح أخطائهما. هل يمكنك يا سيرينا تخيل نوع الإنسانه التى تبحث عنها؟»

«أظن ذلك... إنها إنسانه لتكون أماً إلى حد ما أو ربما لتكون كأنها أخت كبرى».

سددت لها السيدة دينبى نظرة حانية غير عادية وقالت برقة: «هذه هى الفكرة العامة. وبالطبع فالفرار النهائى لا يتوقف على. أنا أحاول أختصار القائمة التى أعدتها وكالة التوظيف لأوفر وقت مخدومى. وأيضاً لأنه أيا كان من سيحصل على الوظيفة فإنه سيكون على أتصال مباشرى. ولذا فمن المهم أن نتقابل وجهاً لوجه».

قالت سيرينا بهدوء: «بالطبع» ثم أضافت: «هل... متى تظنين أنكم ستحذون قراراً؟».

«ربما فى وقت متأخر من اليوم. هل يمكنك حضور مقابلة أخرى... مثلاً.. فى وقت مبكر من المساء؟»

قالت سيرينا بحماسة: «أوه... نعم» ثم أضافت: «وليس لدى أى ترتيبات أخرى. ولذلك فيمكننى أن أبدأ وقتما تشاءون».

قالت السيدة دينبى: «هذا شىء طيب أن نعرفه» ثم رفعت يدها مسلمة للسلام وهى تقول: «بالتأكيد سوف أتصل بك فى أى حالة أخرى. شكراً على أهتمامك».



www.liilas.com

في السادسة من مساء ذلك اليوم كانت سيرينا في قمة اليأس رغم أنها كانت تذكر نفسها بأن مفهوم المساء المبكر يمكن أن يختلف من شخص لآخر.

على أية حال فقد فقدت الأمل تماماً في السابعة وبدأت تشعر بانقباض غريب في صدرها. وبدأت تشعر بالخوف من تخيلاتها الكئيبة للمستقبل. وعندئذ جاءها صوت السيدة بنسون ودوداً ينادي من الخارج وهي تقف على درج البيت.

ردت سيرينا: «نعم. أنا هنا» ثم تابعت: «أظن أنهم قد أختاروا فتاة أخرى».

ولكنهم لم يفعلوا. لقد كانت السيدة دينبي تسأل عن امكانية حضورها خلال نصف ساعة مثلاً.

وضعت سيرينا سماعة التليفون وقد أم بها نوع آخر من أحباس الأنفاس. وقالت للسيدة بنسون في صوت مرتجف: «ربما يقبلونني. وعلى الأقل فأنا الآن ذاهبة لمقابلة المدير. أوه يا عزيزتي أشعر بأن ساقي لا تحملاني».

قالت السيدة بنسون مشجعة: «إن ما تحتاجينه الآن هو كوب من الكوبا القوية. سوف أعدها لك حالما ترتدين ملابسك. تحركي. لا تقفي هكذا».

وبينما كان المصعد يحملها إلى الدور العاشر بالفندق الذي زارته في وقت مبكر اليوم أمتدت يدها تمر على تنورتها (جونلتها) ذات اللون الأصفر الشاحب. ثم فحصت أزرار المعصم في بلوزتها الحريرية. وعندئذ لمست الشلالة الحريرية التي تلملم شعرها الجميل الغزير في أحتشام على هيئة ذيل حصان. ونظرت إلى حزامها الناعم الذي يلف خصرها لتتأكد من موافقته لزيها وكذلك لحذاءها الجلدي ذي الكعب المتوسط الأرتفاع. وحادثت نفسها بأسترقاق... أتمنى أن أبدو كمربية أطفال. وعلى الأقل فإن التنورة تغطي ركبتي إذا راعيت ذلك أثناء جلوسي وكذلك تغطي



بلوزتي ذراعيّ. وعلى أية حال فكيف تبدو مربيات الأطفال؟ ربما كان يجب أن أرتدي ملابس ركوب الخيل...؟ أوه.. يا إلهي. أرجوك ساعدني لأحصل على هذه الوظيفة.

قابلتها السيدة دينبي على باب الجناح. وقالت بحرارة: «سيرينا. أدخلي. أنا آسفة لأننا تأخرنا إلى هذا الحد في الأتصال بك. ولكنني قررت التحدث مع ناظرة مدرستك. وقد أستلزم الأمر بعض الوقت للعثور عليها. وبالمناسبة فقد أعطت عنك شهادة مشرفة. أدخلي مباشرة يا عزيزتي. أنا أريد تقديمك لخدومي سين وبنت وورث» وأنعطفت إلى ممر داخلي وهي تقول: سين هذه هي سيرينا سانت جون» ثم أضافت في لهجة ودود: «سوف أدعكما معاً» وأوصدت الباب خلفها.

أندفعت يد سيرينا تغطي فمها عندما أمتد بصرها عبر الحجرة. كانت أول فكرة راودتها أنها رمادية وليست خضراوتين. مضت حوالي ثانيتين قبل أن تأتيها أي أفكار أخرى. وملأتها رغبة عارمة لو أنها كانت تجيد فن الأستراليين القدماء في الأختفاء عن العيون. ولكن لم تكن هناك أشجار سنط أو ساحر يساعدها في تحقيق رغبتها. فقط كان هناك رجلاً طويلاً ذا شعر أسود مصفر وعينين ماكرتين. وأرتسمت على شفتيه أبتسامة ساخرة وهو يقول متشدقاً: «حسناً. حسناً ها قد التقينا مرة أخرى يا صغيرتي».



www.liilas.com
قمر الليل

# الفصل الثانى

## ( الصفقة )

تراجعت سيرينا وأحست بوجهها يتوهج والعرق يملأ كفيها. ولكن ذلك شيئاً هيناً بالمكارنة بخفقات قلبها المتلاحقة والدوار المفاجىء الذى أصابها خاصة أنها لم تتسنح تناول طعام طول اليوم.

ترنحت فى وقفتها وقالت بصوت واهن: «أنت؟»

قطب جبينه وقال متشدقاً: «حقاً إن الحياة مليئة بالمفاجآت. ولكن من الأفضل أن تجلسى قبل أن تسقطى من الإعياء».

قالت: «لا... لا. أنا أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب... أوه. أرجوك». كان صوتها متوسلاً بينما تراءى شبحه أمامها. وأنتهى بها الأمر أن جاوت على أحد المقاعد بينما صب لها شراباً وقدمه لها. قال فى هدوء ولكن فى تصميم واضح: «أشربى هذا».

«أنا...»

قال بلهجة آمرة: «مدى يدك».

رفعت سيرينا يدها فى تراخ وتناولت الكوب وتجرعت الشراب الحار فسرت ببدنها قشعريرة بسيطة. قال سين وينت وورث: «جرعة أخرى». وبعد جرعة أخرى تناول الكوب من يدها المرتعشتين وجلس فى مقابلها. لاحظ الدماء وهى تعود حثيثاً إلى وجنتيها فقال: «حسناً. هذا يجب



أن يعطيك حيوية تكفى للأجابة على بعض الأسئلة... مثل... ماهى الأختلاقات الكاذبة التى قصصتيها على السيدة دينبى لكى تفوزى بهذه الغابلة؟»

قالت سيرينا بصوت ضعيف: «أنا لم أقل لها أى أكاذيب».

قال بصوت هادىء: «لا... هذا شىء غريب. لقد قدمت لى موجزاً طيباً جداً عنك ولكنك لم تشر أطلاقاً إلى ملهى بليكان. ربما خيبت أنت أن تشيرى له؟ من المحتمل... عن قصد؟»

كان شراب البراندى يجرى فى أحشائها بعنف محدثاً أثراً غير عادى. وسألته فى قسوة: «إذن. ماذا فى ذلك؟ أنت نفسك طلبت منى أبداً صفحة جديدة منذ ليلتين فقط لو كنت تذكر. ولكننى حتى فى ذلك الوقت كان لدى إنطباع بأنك تعاديت كثيراً فى نصيحتك لأنها أدهشتك.. فضلاً عن ترويعى من الحياة ومرقه الفيلات».

قال فى صوت رزين رغم الومضه الساخرة فى عينيه: «طفلتى العزيزة. أنا مسرور بأنك التفت لنصيحتى. صدقينى. ورغم ذلك فأنا لست سعيداً بفكرة أنك قصصت على السيدة دينبى حفنة من الأكاذيب وذلك لسبب واحد وهو أنه يمكن أن يضعها فى موقف حرج جداً».

قالت سيرينا: «على وجه الدقة... أنا لم أكذب. فالأشخاص الذين تهدوا لى حقيقيين وقد أخبرتنى أنها تأكدت من ذلك».

سألها ساخراً: «ألم تسمعى مطلقاً عن الكذب بالحذف؟»

عضت سيرينا على شفتها. وقالت بتوتر «إذن أخبرنى كيف يمكننى أن أبدأ بداية جديدة نظيفة إذا كان على أن أخبر كل شخص بأننى كنت أعمل كنادلة فى ملهى (بليكان)؟ وكم من الناس سيصدقون بأننى كنت قبلت العمل بذلك المكان لأننى كنت قد فقدت الأمل؟ أخبرنى بذلك إن أستطعت».

لوى قسمات وجهه وقال: «أنصتى يا سيرينا. أنا لم أولد بالأمس. هناك بدائل للهى بليكان أمام أى شخص مهما كان فاقداً للأمل. هناك



قمر الليل

عائلة البطالة على سبيل المثال. كما أنني أثق في أنه لا يوجد من يخل عليك بالأمن الأجتماعي فيضطرك العمل في ملهى سيء السمعة. إذن فمن الواضح أن هناك في مكان ما عائلة تفكر فيك كثيراً ولذا أرسلتك إلى مدرسة خاصة باهظة التكاليف والتي لا شك أنها زودتك بتعليم رفيع المستوى. وكما أكدت السيدة دبني فإن لديك شهادة عالية رفيعة المستوى. ولكنك الآن على بعد أميال من منزلك وتحاولين أقناعي بأنك تعانين من الفاقة؟ هذا لا ينطلي علي يا عزيزتي. إلا إذا..» وتوقف ثم نظر لها بإمعان وقد ضاقت عيناه فجأة.

سألته سيرينا في حذر: «ماذا إذن؟»

«إلا إذا لم تكوني فعلاً سيرينا سانت جون على الإطلاق»

«أنا... أوه» أطبقت سيرينا فمها بصوت مسموع وأرتسم على وجهها تعبير أكثر حذراً. لكن سين وينت وورث كان ينتظر وقد أحاط به جو من التحفز أعاد لذهنها حلمها حول الفر وتربصه للانقضاض عليها.

قالت في صوت ضعيف ولكنه متزد: «أنا سيرينا سانت جون ولكنني أدرك أنني أخطأت في... في محاولتي خداع السيدة دبني بهذه الطريقة و...»

قاطعها قائلاً: «أنا سعيد لأنك أدركت ذلك يا سيرينا» ونهض واقفاً. حدقت فيه بتوتر ثم خفضت بصرها ليستقر على يديها.

وتابع قائلاً: لأنك أدركت.. وأنا عندما أقول ذلك لست بالضرورة أتهمك به ولكن أماكن من هذا النوع يكون لها في الغالب إرتباطات بفيض بالمخدرات والبغاء وهكذا» وتململت سيرينا في ضجر ولكنه تابع يقول: «مرة أخرى فأنا لا أقول ذلك لأنني أقصده في حد ذاته ولكن عندما تبحثين عن شخص تكلفين إليه رعاية طفلين صغيرين فليس بإمكانك الا تهتمي جداً بمن تختارين».

قالت بصوت أجش: «أنا أعي ذلك. ولكن لم يكن لي دخل بشيء كهذا. وإذا كان الأمر قد أستمر فلم أكن لأدركه.» ونهضت واقفة



وهي تقول: «أرجو أن تعتذر بالنيابة عني للسيدة دبني فربما أكون قد أضعت الكثير من وقتها ومن وقتك».

وتوارت عن خلفه وقد نكست رأسها ولم تجد في نفسها المقدرة على النظر في عينيه. لم يكن بها سوى رغبة شديدة في الهرب بأسرع ما يمكنها بعيداً عن حضوره البغيض قبل أن تنخرط في البكاء. فهذه هي المرة الثانية التي يضعها فيها الخزي على يديه في مثل هذا الوقت القصير.

وهنا كما لو كان قد تولدت لديه أفكار أخرى. فبينما كانت تندفع نحو الباب سمعته يقول: «أجلسي يا سيرينا». أرتفعت رأسها بحركة متشنجة وأستدارت تحدق فيه بعيون بنفسجية جاحظة. كان لا يزال واقفاً بجوار مقعده واضعاً يديه في جيبه وقد بدت في عينيه نظرة ما.. هل هي سخرية؟

ترددت للحظة. ومرة أخرى أحست أن هذه النظرة الخضراء الرمادية تلفها في أحيولة غريبة. وعندما تذكرت آخر مرة حدث فيها ذلك سرت في جسدها رعشة غضب وجنتيها. ورغم ذلك أرتعد جسدها وأستدارت نحو الباب مرة أخرى. كادت تمسك بمقبض الباب عندما وصل سين وينت إليها دون أن يتحرك من مكانه فقال ببطء:

«لا تخدعيني للسعي وراءك وأعادتك يا سيرينا. لقد تقدمت أنت بهذه الوظيفة ولكني أنا الذي أقرر متى تنتهي المقابلة».

وبين أن تستدير له قالت بصوت متلعثم: «أنا... أنا لا أفهم. لقد قلت لها أنني...».

قال بصوت رقيق: «ليس تماماً. هناك وسيلة حيث يمكننا... أن نصل إلى تفاهم».

بلعت سيرينا شفتيها بينما أرخت يدها إلى جانبها ببطء. وقطبت جبينها في حيرة وهي تقول: «أي نوع من التفاهم. فمنذ أقل من دقيقتين كنت تظنني بأنني عاهرة أو مدمنة مخدرات.. وربما كليهما.. أو بأنني محتالة».

وكرر: «أجلسي يا سيرينا» لكن هذه المرة كانت هناك نبرة تحذيرية



www.liilas.com
قمر الليل

واضحة فى صوته.

حدقت فيه بتمرد ولم تتحرك من مكانها. تقدم نحوها ودفعها إلى أحد المقاعد. وعندئذ أدركت أن تمردها المحدود لا يعدو شيئاً إزاء قوته البالغة.

وغمغم قائلاً: «أظن أنك قد تعلمت شيئاً فى الليلة الماضية».

وجهت له نظرة خاطفة متوهجة بالغضب وقالت: «لقد تعلمت التدقيق فى الأختيار» والتقطت غلالتها الحريرية التى كانت تجمع بها شعرها ووضعته فى حجرها حيث كانت قد أنزلقت أثناء مقاومتها الواهية وتابعت قائلة: «لقد تعلمت شيئاً بخصوص ترك نفسى عرضة للاستغلال. وبالمصادفة فقد كان ذلك درس لا أحتاج إليه فى الواقع» ثم حدقت فيه بغضب وهى تضيف: «لا أدرى كيف يدفعنى كل ذلك للبقاء فى حضرتك وقتاً أطول».

ارتسمت على وجهه ابتسامة بسيطة وهو يقول: «لقد استمتعت الكثير من الحيوية. أليس كذلك؟» ثم أضاف بلا مبالاة: «ألست تريدين الوظيفة؟»

شهقت سيرينا ثم بدأت تتكلم بدون أى ترابط فى حديثها.

أنتظر حتى صمتت ثم قال: «لا. أنا لا أخدعك ولا أعذبك... إذا ما كان ذلك هو ما تحاولين قوله. كل ما أفعله أننى أعطيك الفرصة التى تحدثت عنها بإنفعال شديد منذ قليل».

مال نحوها ونزع غلالتها الحريرية البنية من بين أصابعها التى كانت تمسكها وتنسل خيوطها فى عصبية. وسألته وقد امتلأت عيناها بالدموع: «كيف... ولكن كيف يمكنك إذا كنت تظن بى هذه الأشياء».

قال بهدوء: «لأن الكلمة الأساسية هى تظن» ثم تابع: «أنا لا أعرف أى شىء سوى أنك أوقعت نفسك فى ورطة وأنا على أستعداد لمساعدتك فى الخروج منها».

سألته بصوت مرتعش: «ولكن ماذا لو كانت بى كل هذه الأشياء؟ أنا أقصد هل تصدق أى شىء مما قلته لك أم لا؟»



«أنا لست متأكداً مما يجب أن أصدقه. لو أنك أستطعت أن تكونى أمينة معى وتخبرينى بصدق كيف حدث كل ذلك..؟» وتلاقت عيونهم.

ترددت سيرينا ثم خفضت بصرها وهمست «لا أستطيع... حقيقة لا أستطيع».

هز كتفيه ثم قال: «حسن جداً» ثم جلس فى مقابلها وتابع: «إذن فسنعقد صفقة. إذا كنت قد خرجت عن الخط المستقيم فإننى سأمنحك فرصة للأصلاح. والآن» ورفع يده عندما همت بالكلام وأستطرد: «قبل أن تبادرين بالرد فإذا كانت هذه الفكرة تهينك فإننى أيضاً سأبرئك لفقدان الأدلة الكافية. فحسب كل ما أعرفه ربما تكونين فتاة غرة بريئة تورطت فى شىء لم يكن بإختيارك. ولكن الوظيفة وظيفتك بشرط أن تجعلى هذين الطفلين أهم جزء فى حياتك وألا تتورطى فى أى عمل مزعج بما فى ذلك النوع الرومانسى».

أغمضت سيرينا عينيها. وأراحت رأسها على يدها وقد أخذها الذهول التام بتغير مجرى الأحداث. وحادثت نفسها.. كيف كان يمكن أن أكون ببساطة ضحية مثل تلك المصادفة المجنونة، فضلاً عن سوء الفهم؟ وذلك إذا ما كنت قد ذهبت إلى الشاطىء فى صباح الأمس. ففى الوقت الذى كنت سأعود فيه للمنزل من المحتمل أن يكونوا قد أوقفوا مقابلة المتقدمين. وعلى الناحية الأخرى.. هل كانت فى موقف يسمح لها برفض عمل كهذا حتى لو كان أدنى لوجودها فى هذا الموقف البغيض؟ وأعتبارها متهمة بكل ما قد يخطر على بالها من الرذائل؟ ووضعها فى موقف من تقدم لها الفرصة لأصلاح نفسها. وكتمت الضحكة التى أندفعت إلى حلقها وأخذت نفساً عميقاً.

قال ببطء: «أنظر.. سوف أقبلها طالما أن بأمكانى الوفاء بهذا الشرط». وتجاهلت حاجبى سين وبنت وورث اللذين أرتفعا فى تهكم. وتابعت تقول فى هدوء: «إذا أديت العمل جيداً فسوف أصلح نفسى» ولم تستطع منع التواء شفتيها وهى تنطق بكلمة «أصلح» وتابعت:



www.liilas.com

«سأودى عملاً طيباً مع هؤلاء الأطفال. أن لم تسألنى أية أسئلة أخرى أو تختبر وتستطلع... حسناً» وأضافت بصوت حاد: «أنت تعرف ما أقصده لأنك إذا حاولت أن تتقب فى جذورى فسأرحل سريعاً ولن تكد تلحظ أى الطرق أختفيت فيها».

نظر لها سين وينت وورث فى حيرة ثم قال بملء فيه: «هذا ليس سهلاً فى روزوود ولكن إذا أردت ذلك فسوف أعهد إليك بهذه المهمة على أساس محدد. سوف نجعل ذلك أتفاقاً خاصاً يجدد كل شهر إذا أردنا ذلك. ولكن إذا فشلت فى المهن وأغرقت عن المسار المحدد وحاولت خداعى فى ذلك فسوف أجد طريقة لتسليمك لمن هربت منه أيا كان».

قال كلماته الأخيرة بصوت رقيق ولكن فى تصميم ملحوظ.

لم يفت ذلك سيرينا، وعضت على طرف أحد أصابعها فى قلق. ليس هناك مشكلة فى أن تكون مربية سوى هذه الشكوك. كانت المشكلة هى: هل تثق محافظته على أداء ما يخصه فى هذه الصفقة؟

قالت ببطء: «سيكون شيئاً جديراً بالأزدراء أن تتراجع عن كلمتك».

ونهض ثم مد يده وجلبها ليوقفها على قدميها ثم قال: «أنت تعرفين الشروط وعندما أعقد صفقة فإننى التزم بها. ويجب أن تطمئنى لذلك. أنا أكبر من أن أقسم لك وأرجوك حتى الموت».

خرجت سيرينا زفرات غاضبة وهى تشعر كأنها عادت إلى سن السادية من عمرها وقالت: «هل تعلم أننى لا أحبك كثيراً؟ أنت شديد الس... أنا لا أعرف الكلمة الملائمة. ولكن لينك تعلم كم هو شىء مثير للحنق أن أكون فى مثل هذا الموقف. وكل ذلك لأننى لم أفطن إلى أهمية ركوبى سيارة أجره فى ليلة ما. من الغريب جداً أن ترى كيف يمكن لحياتك؟... أن تنقلب رأساً على عقب بمجرد قرار واحد بسيط كهذا؟»

قال فى أسى: «أوه... أنا أتفق معك». كان ينظر بعينى نمر إلى وجهها الذى بدا عليه مزيج من الدهشة والغضب. وتابع: «هذا فضلاً عن ترويعك من الحياة وأستراق القبلات منك. كل ما أطلبه منك أن



ترجعى ذلك إلى دوافعى الخيره. وبالمناسبة.. لقد أعددت نفسى لأدفع لك مرتب أسبوع مقدماً لكى أساعدك تجاه مافد يكون لديك من أرتباطات أخرى» ثم سألها. «هل يساهم ذلك بأى قدر فى تحسين سمعتى فى تقديرك؟» كانت عيناه لا تزالان تتفحصان وجهها وهما يلمعان بالسخرية.

وفضلت سيرينا التزام الصدق فقالت وقد لوت قسمات وجهها: «سوف يساعدنى ذلك على دفع أجرة المسكن. فشكراً لك».

وفى غمار الأفكار الحيرة والمترددة التى طافت بعقل سيرينا فى الأيام القليلة التالية تذكرت أن سين وينت ووورث قد ذكر ملهى بليكان بالأسم قبل أن تذكر هى ذلك. وتعجبت إذا كيف عرف أن ذلك الملهى؟ فهناك ملاه كثيرة فى تلك المنطقة ولم يكن هناك فى زيها مايشير إلى بليكان على وجه التحديد. ولذلك فلابد أنه كان يعرف الزى وهذا يعنى أنه هو نفسه لابد كان هناك. وطابت بذهنها كل الأفكار المتضاربه. ولكن فطرتها السليمة أشارت عليها بأن تطرد من تفكيرها كل الغيظ الذى أحسته تجاه مخدومها الجديد. ولم يكن ذلك سهلاً. وأستغرقت فى التفكير... فهو ليس سهلاً ولكنه ضرورى.

الشىء الآخر الغريب أنه لم يذكر إذا ما كان للتوأمين أماً. لقد قالت السيدة دينبى أن والدها قد قتل... ليس والديها بل والدهما. فهل هناك سر بخصوص أمهما؟. هزت كتفيها وأستقرت على أن كل ذلك سيكتشف لها فى حينه بدون شك.

بعد أسبوع من تلك المقابلة العاصفة تم أنتقالها من نادلة ملهى فاشلة إلى مربية أطفال وبدا ذلك اليوم لها وكأنه حلم عندما وقفت على درج المنزل فى مقاطعة روزوود التاريخية ترقب غروب الشمس.

فى هذا الصباح طارت من كولانجاتا فى طائرة خفيفة ذات لون أبيض وقد كتب عليها «ممتلكات روزوود». كانت هى الراكبة الوحيدة وقد تقاسمت الطائرة مع الطيار ومجموعة من حزم الورق المقوى. وعرفها



www.liilas.com

الطيار باسمه: بيل أو جراوى. كان رجلاً نحيلاً وقد تدلى بعض من شعره الرمادى الناعم على جبهته.

لم يمض وقت طويل على أقلاعها حتى قال فى جمل قصيرة مختصرة أنها ستقابلان كثيراً لأنه هو الآخر يعيش فى نفس المنزل مع سين وبنت وورث وأبنى أخيه والسيدة ديبنى.

قال فى ملاحظة عابرة: «أنت تحتاجين إلى برود أعصابك وأستجماع دكائك».

«أوه... لماذا؟»

قال متوعداً: «إنها كالبرق الخاطف».

«هل تقصد التوأمين؟»

قال: «بالتأكيد ولكنها طفلتين ظريفتين رغم ذلك». وعندئذ حملق فيها كأنها يستشف رد فعلها. وبدا كأنه يريد أن يضيف شيئاً. ولكن عندما عاود الكلام أكتشفا أنها فوق سلسلة جبال احتازاها سريعاً ليحلقا فوق المنطقة الخصبة جنوب كوينز لاند والتى تسمى دارلينج داونز.

حدقت سيرينا فى الريف الجميل الممتد أسفلها وقالت: «إنه رائع جداً». كانت المنطقة مغطاة بأصطبلات الخيول وحقول تربية الماشية بمختلف أنواعها وقد أحاطت بها الأعشاب وزراعات الحبوب. وبعد الحدود الغربية لدواتر فقد كانت الأرض أكثر جفافاً وأقل خصوبة. وأمتدت الصورة الطبيعية إلى حيث تتداخل حقول القمح والذرة.

قال: «إن الأرض ليست خضراء ولا جميلة إلى هذا الحد حول روزوود».

«لا؟» ثم قالت بلهجة مشجعة: «حدثنى عن روزوود».

ورغم عدم أنتباهه فى الحديث فقد وجدت عندما هبطا أخيراً أن بيل قد أعطاها وصفاً دقيقاً ساحراً للمنطقة.

وقال فى إيجاز: «ريف الماشية» ثم تابع: «والأغنام. قد يبدو جافاً ومغرباً بالنسبة لك. ولكنه أفضل مما رأيته على مدى أعوام».



لم تجب سيرينا بينما كانت الطائرة الصغيرة تتجه نحو الأرض. والحق يقال أنها لم تجد الكلمة المناسبة لتصف أحساسها المفاجىء الذى لا يصدق تجاه هذا الباء والجمال الصارخ فى تلك الصورة الطبيعية المجردة.

كانت هناك لجنة أستقبال تنتظرها عند نهاية ممر الهبوط. كانوا يقفون تحت مظله ضخمة تغطى مجموعة من العربات والشاحنات الكبيرة والدراجات البخارية القوية. كانت طائرة هليوكوبتر براقة تقف على مساحة واسعة ذات أرضية مغطاة بالخرسانه بجوار المظلة وبالتحديد فوق صليب مرسوم فى مركزها.

نزلت من الطائرة وقد داخلها بعض التوجس حيث فوجئت بهذا الكم من الخطين بها وراعها السكون الذى ساد عند ظهورها. وعندئذ أندفع تجاهها ولدان متماثلان تماماً لهما شعر أشقر جميل وقدما نفسيهما على أنهما وينشارد وبنت وورث وكاميرون وبنت وورث.

وبادر أحدهما بالقول: «إننا توأمين».

ضحكت سيرينا وقالت: «يمكننى أن أرى ذلك. لست أدرى كيف يمكننى أن أميز بينكما؟»

أستوعبت سيرينا الموقف المحيط بها وأبتسمت لنفسها أبتسامة ساخرة. فى الواقع قد يبدو وينشاد وكاميرون متشابهين. ولكن لكل منهما شخصية مختلفة تماماً. ولذلك تمنت الا تكون هناك مشكلة فى التفريق بينهما. والشىء الذى أثار دهشتها بدرجة أكبر كان هو حجم المقاطعة حيث رأته وكذلك عدد من يعيشون ويعملون فيها. وقد تم ترتيب رحلة لها بمصاحبة دليل لمشاهدة المعالم القريبة ومنها سدود عديدة وجداول يمكن أستخدامها فى السباحة وترويض الخيول وغير ذلك. ثم تقديمها لكثير من المستخدمين. وأحست أن المقاطعة أشبه مايكون بأمبراطورية صغيرة. ثم أعطاؤها فكرة مبسطة عما بعد مقبولاً ومابعد مرفوضاً فى المقاطعة. وأحست أن روزوود بأعتبارها أمبراطورية صغيرة فلابد أن هناك سلماً أجتماعياً وأن قمته هى منزل الأسرة. ووجدت أن وظيفة مربية أطفال تعد



مكتبة الإسكندرية

وظيفة مميزة لأنها تتضمن المعيشة في هذا المنزل الكبير. وابتسمت لنفسها لدى ما قوبلت به من احترام وقالت: «آه لو كانوا يعلمون».

كان سين وبت وورق يحكث بالقرب منها ليتأكد أن معظم هذا التدليم المبكر قد أفاد من وجودها. وبمجرد أن تراه كانت سيرينا تحاول جدياً أن تبدو طبيعية في وجوده. ولكنها أحست ببعض الارتياح عندما سمعته يعتذر لأنشغاله ويتركها للسيدة دينبي.

تمتمت لنفسها: «لقد حدث ذات يوم ولم يتم بعد» وأسندت بعض السأم إلى عمود الشرفة. كانت السيدة دينبي قد نبهتها أن بإمكانها ترك التوأمين لها في هذه الشرفة والاسترخاء قليلاً قبل العشاء.

كان المنزل قديماً ولكن بحالة ممتازة. كانت تحيط به شرفة تتصل بكل حجرات النوم. ومن خلال هذه الشرفة كانت حجرة نوم سيرينا تطل على رقعة خضراء تنتشر بها أحواض الزهور. وكانت هناك إحدى أشجار الصنوبر المهيبة التي ارتفعت كأنما هي حارس يقف بجوار بوابة الحديقة.

عندما هممت بالدخول لتستعد للعشاء لمحت عيناها بريقاً قرنفلياً يلوح بين أغصان الصنوبر. وامتلأت السماء بأصوات صاخبة لسرب من البيغاوات ذات الألوان الرمادية والقرنفلية. وأخذت تنقض على الشجرة ثم تحوم حولها وأخيراً استقرت على فروعها.

حدقت فيها سيرينا مسلوبة اللب، ولكن الطيور لم تبق طويلاً. لقد حلقوا كأنما كانوا يستجيبون لأشارة غير مرئية. ودارا حول الشجرة مصدرين ضوضاء رهيبة ثم ابتعدوا مختفين في الظلام.

ابتسمت برقة عندما خيم الهدوء مرة أخرى. ولكن فجأة كانت هناك دموع في عينيها وسالت على وجنتيها عندما تذكرت بيتها. وتذكرت سرب البيغاوات ذات الأعراف الصفراء الذي كان يزورهم بانتظام. تشققت سيرينا دموعها ورأته كيف أن كل ذلك بعيداً جداً عنها الآن... ليس فقط في المسافة ولكن في كل شيء آخر. ونهدل كتفاها وهي تحاول أن تسد الطريق على ذكريات طفولتها السعيدة الهانئة. فليست هناك فائدة



تذكر الماضي. إنه فقط يزيد من سوء الأمور.

وتنشفت سيرينا دموعها مرة أخرى واستدارت لتدخل وهي تلعق الدموع من على شفتها العليا. وما كادت تستدير حتى فوجئت بسين وبنت وورق.

هدأ به بهدئها.

قالت في تلعثم: «أنا... أنا آسفة. لم أدرك أنك موجود».

ورفع يده من على ذراعها وأشار للشجرة قائلاً: «هذا ليس مفاجئاً. إنهم يحدثون جلبة واضحة. أليس كذلك؟» ثم استقرت عيناه الخضراء الرمادية على عينيها. وضاقت نظرته وهو يسألها: «لماذا الدموع؟»

أزوردت سيرينا لعابها عدة مرات. وجاست يدها في جيبها بحثاً عن منديل. وقالت: «لست أدري» وتمخطت ثم أضافت: «لم تكن رؤية هذه الطيور سوى شيء جميل. وعندئذ...» وهزت كتفيها وطرفت عينها عدة مرات ثم قالت: «ها أنا قد أصبحت بخير الآن».

نظر لها سين متأملاً وقال: «كما تعرفين، فهي ليست جريمة أن تشعري بالوحدة وافتقاد أصدقائك في يومك الأول. ولكن من معرفتي بالتوأمين والسيدة دينبي وبيل فإنك ستكونين كفرد من العائلة».

ولسبب ما جعل ذلك الدموع تملأ عينيها مرة أخرى. ولأسباب أخرى غريبة ابتسم سين محاولاً أن يسري عنها. ودفع خصلة من شعرها خلف أذنها وأحاطها بأحد ذراعيه وضغط كتفيها قائلاً: «أنت تبدين في الثامنة عشرة عندما تبكين» وأضاف بصوت هامس: «وهو ما يجعلني أتساءل إن كان قد أصبح لدي الآن ثلاثة أطفال».

وحيث أن ذلك قد حدث فقد كان بالضبط ما تتمناه سيرينا. أمالت رأسها الصغيرة في كبرياء ونظرت إليه. وقبل أن تنطق بكلمة أرخى عنها ذراعه ثم نظر إلى ساعته قائلاً: «لديك حوالي نصف ساعة لتستعيدي حيويتك. أراك على العشاء». وخرج تاركاً سيرينا تعض شفتها في أحباط.



www.liilas.com
ممر الليل

كانت متعبة ومتحيرة. وحدقت بحزن في سقف حجرتها المظلمة. كان النوم لا يزال يستعصي عليها ويمجيء الليل أنخفضت درجة الحرارة وهدأ المنزل وتعددت أصوات صرير أبواب وبعض أصوات أخرى غريبة. ووجدت نفسها لا تزال بمكانها مفتوحة العينين. وتقلبت في فراشها.

كان سريراً واسعاً فسيحاً ذا فرش وثير. ولم تجد مبرراً لعدم أستطاعتها النوم عليه. وفي واقع الأمر فقد كان واحداً من السمات العديدة المريحة في منزل روزوود. وعرفت سيرينا خلال حولها المبكرة أنه قد بني منذ حوالي مائة عام. وقد أضيف له منزل خشبي ولكنه ظل ذا طابع أمريكي قديم بحجراته ذات السقف المرتفع والشرفة التي تحيط كرفاء من حرارة الصيف. ومصطلبات النيران التي أعدت لليالي الشتاء الباردة. كان المنزل بسيطاً وغير متكلف الزينة رغم اللمسات العريقة ومظاهر الثراء مثل الأثاث المصنوع من أخشاب الورد في الردهة وحجرة الطعام، ومثل السجاجيد الوثيرة ذات اللون الأزرق الرائع التي تملأ هذه الحجرات.

كان التوأمان يملأن المنزل ضوءاً ومرحاً.

صدرت منها ضحكة خافتة لدى ذكرها التوأمين. لقد تطابق أنطباعها الأول مع وصف بيل أو جراي لها فهي حشد من الطاقة الوافرة والأزعاج البالغ. ولكن كان الجميع يحبونها لذلك ويتقبلونه منها إلى حد غريب.

توترت سيرينا وقطبت جبينها عندما سمعت طرقاً خفيفاً على الباب الداخلي المؤدي إلى الشرفة وعندما مدت يدها لتضيء المصباح المجاور لفراشها سمعت الطرق مرة أخرى. وعندئذ فتح الباب وتسلل منه ولدان صغيران ومعهما كلب ضخم.

سألت في قلق: «ما هذا؟ هل هناك خطأ؟»

كان ريتشارد هو الذي أجابها بعد مجموعة من الأشارات فهمتها بأنها طلب بأن تخفض من صوتها. وهمس: «إنه ديجبي».

قطبت جبينها متسائلة: «ديجبي؟» ووثبت جانباً في وجل عندما أفلت الكلب الأسترالي من قبضة ريتشارد وقفز إلى الفراش. ربما لم تر



في حياتها كلباً يمثل هذا المظهر الوحشي فضلاً عن قطعة القماش ذات المزيج من الألوان التي كانت تغطي جسده.

وتابع ريتشارد: «نعم يا أستاذه. إنه عيد ميلاده. أليس كذلك يا كامبرون؟» ولوح بيده ودون أن ينتظر تأكيد أخيه تابع قائلاً: «أصيفي أو أنقصي يوماً أو يومين». وبإعتبار أنك من المفترض أن تكوني أفضل صديق لنا بدءاً من الآن فقد فكرنا أنك ربما ترحبين بحضور حفلته».

«حسناً. سأفعل» قالتها سيرينا في سرعة وأقتضاب وقد كنت أنفاسها محاولة تجنب الكلب الضاري الذي لم يكتف بأن يتصرف كما يشاء في فراشها بل أخذ يحاول لعق وجهها مظهراً تودده. وقالت: «لكنني لا أظن أنني قد قابلت ديجبي؟ فمن هو؟ وبالمناسبة فمتى تكون الحفلة؟ كان بإمكانكما إخباري في الصباح..»

ولكن التوأمين أغرقا في نوبة عارمة من الضحك بينما أتجه الكلب نحوها مصدراً نباحاً قصيراً حاداً في أذنها اليسرى. وخفت نباح الكلب عندما بادر ريتشارد وكامبرون بالأنقضاض عليه.

أستلزم الأمر بعض الوقت حتى أستطاعت أن تخلص نفسها من تلك البركة التي تكونت من الأذرع والأرجل والكلاب. وعندما تمكنت من ذلك أخيراً همست في صوت ضاحك: «لقد فهمتكما. هذا هو ديجبي أليس كذلك؟» وأشارت إلى الكلب.

رد ريتشارد هامساً بلهجة مشجعة: «لقد أصبت. هل تريدين الحضور؟ لقد أعددنا كل شيء في حجرة نومنا» وشجعها بنظرة حادة صغيرة.

أدركت سيرينا الموقف. ورأت أنها لا تزال قيد التجربة. ولكن ما الضرر من أحتفال يقام في منتصف الليل لكلب أثير؟

بعد دقائق كانت تنظر في تعجب إلى الحيوان ذي المظهر المخيف وهو يلتهم ما أكدها ريتشارد وكامبرون في إجلال أنه ضعامه المفضل. كان كل شيء قد تم أعداده سراً طوال اليوم وتخزينه تحت فراش ريتشارد.



www.liilas.com

سندويتشات اللحم وقطع الجبن المغطاة بمربة الفراولة فبدت كأنها كعكة كبيرة. وكان هناك وعاء مليء بمثلجات (آيس كريم) منصهرة. كل ذلك ثم التهامه في تلذذ.

وهمس كاميرون: «ولد.. هل سبق إن أستمتع بذلك على الأطلاق.

وطوح ذراعيه ليحيط بها الكلب وهو يقول: عيد ميلاد سعيد يا ديجبي».

قال ريتشارد مخاطباً سيرينا: «إنه سيقضي الليلة معنا أيضاً يا أستاذة. وبصراحة فلست أرى سبباً لعدم السماح له بالتجول بحرية في المنزل. ولكن ليلة واحدة لن تحدث ضرراً».

ولكن هنا أختارت سيرينا أن تضع حداً. كان هناك شمعة مضاءة موضوعة في كعكة كأسية الشكل مزينة بثمار الكرز. وبينما كان ديجبي يضع عينيه على تلك الكعكة جثت سيرينا على ركبتيها في ضوء هذه الشمعة مابين التوأمين وقالت: أنصتا يا أولاد. وأرجو كم أن تنادتني بسيرينا وإلا فإنني سأضطر لمناداة كل منكما بالسيد وبنت وورث. في وقت ما كان لدى كلب يحب كل هذه الأصناف من الطعام. ولكن كانت له عادة. أنه عندما يتناول منها الكثير فإنه يفقد وعيه. يفقد وعيه ككلب. ولذلك فسنضطر لتركه بالخارج. هل توافقان؟

كان ريتشارد هو الذي رد بعد أن فكر في الأمر ملياً فقال بابتسامة مفاجئة: أنت على حق. فقد يحطم ديجبي كل طيب ونمين». ثم قال لتوأمه مواسياً: «لا تأبه لذلك يا كاميرون فسوف نأخذ للسباحة في الغد». ثم أضاف مخاطباً سيرينا: «إن لدى كاميرون بعض التعاطف مع ديجبي».

قال كاميرون بغضب: «وماذا في ذلك؟ إنه صديق طيب».

قالت سيرينا محاولة تهدئته: «أنا متأكدة» ثم تابعت: «دعونا نخرجه الآن. وسأساعدكما في تنظيف هذا المكان».

أخرجوا الكلب بأقل قدر من الضوضاء رغم أن سيرينا لم تتمالك نفسها من التعجب أكثر من مرة في أثناء ذلك عما كانت ستفعله لو أن



مخدومها ضبطها وهي تتسلل خلال المنزل في طابور يضم معها التوأمين والكلب. ولكن لم يتحرك أي فرد. وأخيراً تم تنظيف حجرة النوم. ورقد كل من الولدين في فراشه.

وفي ضوء شمعة أحكمت سيرينا العطاء عليها وقالت في حرارة: «تصبحون على خير». ولكنها لم تكد تصل إلى الباب حتى خطر لها خاطر مفاجيء. أقتربت من فراش التوأمين مرة أخرى وقالت بهدوء: كيف أشعلها هذه الشمعة يا أولاد؟

وأستقبلت كلماتها بصمت مترقب. وعندئذ قال ريتشارد ببساطة: «تقاب. لقد وجدت عليه».

وهمست بصوت جاد: «حسناً. أعتقد أن من الأفضل أن تعطوه لي. ثم إنكم لن تحتاجونه الآن. أليس كذلك؟» ورفعت حاجبيها وهي تنقل بصرها بينهما.

وتردد ريتشارد ثم هز كتفيه ودس يده في ثنيات فراشه وأخرج علبه الثقاب. وفي نفس الوقت سقطت عليه سجائر مجعدة من أثر الأضغاط.

خيم صمت مطبق للحظة طويلة: وأخيراً تنحنحت سيرينا والتقطت العلبة من على الأرض وقد أتقد تفكيرها ثم قالت بصوت مغبط: «سوف أعقد صفقة معكما. من حقي أن أبلغ هذا لعمكما. ولكن إذا قدمتما لي وعداً جاداً بالأ تدخنا مرة أخرى فلن أخبره هذه المرة. هل هذا ميثاق؟

همس كاميرون: «نحن لا ندخن في حقيقة الأمر يا سيرينا. لقد فكرنا أن نجرب نفسين من الدخان. لقد عثرنا عليها بالأمس. أليس كذلك يا ريتشي؟

كان ريتشارد صامتاً ولم تغادر عيناه وجه سيرينا.

قالت سيرينا بهدوء: «والآن حسناً. أنا أصدقكما. ولكنني لست متأكدة كما سيصدقه عمكما».

«لقد قلت أنك لن...»

قالت ببرود: «فقط إذا ما وعدتني يا ريتشارد. ثم أضافت «وأنت



www.liilas.com

يا كامبرون» وتمنت الا يبدو تأخيرها ذكر كامبرون وكأنه فكرة طرأت لها متأخرة. إلا أنها كانت قد كونت انطباعاً أن ريتشارد هو العرض في أغلب المشاكل التي يثيرها التوأمان. وأدركت فجأة أنه سيكون لها بعض من معارك السيطرة مع السيد ريتشارد وبنت وورث قبل أن تربحه.

أخيراً قال ريتشارد: «حسناً نحن نعد بذلك».

سألت سيرينا: «هل تحافظان على وعودكما».

بدا ريتشارد كما لو كان قد طعن في كبرياءه فقال: «بالطبع نحن نفعل».

قالت في لهجة مرحة: «حسناً وحيث أن ذلك قد أنتهى. فتصبحون على خير يا أولاد».

لم تكد تصل إلى حجرتها حتى أطلت ضحكة صغيرة لكل ما حدث. وعندما أستقرت في فراشها مرة أخرى أدركت أن هذه الوظيفة تستلزم بعض الأحتياطات المتقنة إذا ما كانت تنوى أدائها على نحو جيد. وبكلمات أخرى فيجب أن تكون على بعد خطوة من الصغيرين ريتشارد وبنت وورث وكامبرون وبنت وورث. وقطبت جبينها في الظلام.. فهي في الحقيقة كانت تتوقع ولدين صغيرين عاديين. وبينما كان النوم يداعب جفونها حادثت نفسها أن المشكلة ليست في أنهما غير عاديين ولكن أنها غير صريحين وغير موثوق بها على عكس ما كانت تتوقع... أوه.. حسناً. إن هذا يعني أنني يجب أن أتنبه دائماً لأنني أنوى أن أقوم بهذه الوظيفة بدرجة طيبة جداً. وغطت في سبات عميق.

# الفصل الثالث

## (طفلتي العنيده)

دائماً كان للأفطار والغداء طابعاً غير رسمي في روزوود. وحتى في وجود ضيوف في المنزل. لم يكن معتاداً بين أهل المنزل أن يروا بعضهم كثيراً خلال اليوم حتى موعد العشاء. كان بيل أوجراي الذي يعيد اليد اليمنى لسين رجلاً متعدد المواهب بالأضافة إلى كونه طياراً خاصاً بالمقاطعة. وفي الغالب كان سين يستيقظ قبل الفجر ويخرج ولا يعود حتى نزل الظلام. كان هذا ملائماً لسيرينا رغم أنها فوجئت بهذه اليد المطلقة التي منحت لها تجاه التوأمين منذ اللحظة الأولى. وأثناء أحدى وجبات العشاء بعد وصولها بحوالي ثلاثة أسابيع أكتشفت أن الأمر لم يكن كذلك على نحو مطلق. وأيضاً تبلور حذرها تجاه التوأمين بصورة ما.

وفي كل مساء كان يتم أعداد المائدة الطويلة الجميلة المصنوعة من خشب الورد والموجودة في حجرة الطعام. كان ذلك يحدث دائماً حتى لو لم يكن بالمنزل غيرهم هم الستة. وكان ينتظر من كل منهم أن يرتدي ملابساً أنيقة ثم يتخذون أماكنهم في الساعة المحددة.

لم يكن التوأمين يستحسنان فكرة التأنق في أرتداء الملابس. وكانت سيرينا ترتدي دائماً ثوباً متسعاً. وفي هذه الليلة كان ثوباً أبيضاً جميلاً ذا نسيج قطني رقيق به نقط زرقاء داكنة. وكان يكشف عن ذراعيها.



www.liilas.com
قمر الليل

وأرتدت حزاماً جلدياً ضيقاً ذا لون أزرق داكن وحذاء أزرق داكن بدا متوفقاً مع زيها. ومشطت شعرها حتى بدا كأنه سحابة ذهبية براقة. وشدت جوانبه وعقدتها خلف أذنيها وثبتتها بدبوس مزين (بروش) ثم خطر لها أن تذهب إلى الحديقة لتحضر غصناً من الياسمين تثبته بشعرها أيضاً.

وعندئذ ذهبت تمارس مسئولياتها وتشرف على مندام التوأمين. وأعادت ريتشارد ليغسل أذنيه وهو ما فعله بغير اتقان فأرسلته ليغسلها مرة أخرى.

كان نتيجة ذلك أن ريتشارد أخذ يدمدم هامساً بكلمات غامضة عندما أخذ مكانه إلى المائدة. وبينما كانت السيدة ديبي تضع الحساء اللذين الذي صنعته بنفسها سأله سين: «ما هذا الذي قلته يا ريتشارد؟»

رد ريتشارد بصوت واضح: «لقد قلت... أن سامي بانكس لا يضطر لحك أذنيه لتنظيفها قبل أن يسمح له بتناول العشاء. فلماذا يجب على ذلك؟» ووجه نظرة غاضبة إلى سيرينا.

كان سامي بانكس هو أبن أحد فرسان الحدود. وقد فقد والدته في وقت مبكر وكان يعيش مع والده الذي كان رجلاً مثقفاً هادئاً بدا وكأنما أدار ظهره للعالم. ونتيجة ذلك فإن سامي الذي كان يكبر التوأمين بعامين أصبح مزيجاً غريباً من الهمجية والنضج المبكر. وحيث أن كان صديقها الحميم فقد كان يشاركها في دروسها الحرة. وكان كأنه شوكة في جنبه سيرينا خلال جهودها لتهذيب وتثقيف الثلاثة.

تدخل كاميرون قائلاً: «هذا صحيح». كان عادة يقف على بعد خطوة أو خطوتين خلف شقيقه. لقد ولد بعده بنصف ساعة، ولكن يمكن الأعتماد عليه دائماً لمسانده ريتشارد. وتابع قائلاً: «أنا أشك في أن ذلك يرجع لكون سيرينا بنت: أقصد أن هذا هو سبب حرصها على أن تكون نظيفة إلى هذا الحد».

أرتسم على وجه سيرينا أبتسامة طفيفة وتشاغلت بتناول حساءها.

وجه لها مخدومها نظرة ساخرة وقال: «حسناً. كما تعرفون فإن البنات لسن



الوحيدات اللواتي ينفردن بالنظافة بين البشر. أنا أيضاً أنظف أذني يومياً».

أصدر بيل صرخة ضاحكة وقال: «قد تكون فكرة أن تفحصا أذني سامي بانكس في وقت ما. فقد تجد أن بإمكانكما زرع البطاطس بداخلها».

فهقه كاميرون. ولكن ريتشارد نظر هازئاً ولم يبدو عليه المدرء بأية حال. وأتضح ذلك من معاودته الهجوم وإن كان من زاوية غير مباشرة فقال: «أنت على حق يا كاميرون. أليس من الممتع كثيراً أن تكون بنتاً. سوف ينظر لك الناس كثيراً. ألم تلاحظ ذلك؟ ربما يكون ذلك هو سبب أهتمامهن الزائد بنظافتهن».

فكر كاميرون قليلاً ثم قال: «إنهم يفعلون. هل تذكر الفنيين الذين كانوا يعدون الهليوكوبتر للطيران منذ بضعة أيام؟ لقد نظر أحدهم إلى سيرينا بشدة لدرجة أنه لم ينتبه إلى مفتاح الربط الثقيل الذي بحمله فسقط على أصبع قدمه. ماذا قال يا ريتشارد؟»

تصلبت سيرينا عندما لوى ريتشارد ملامح وجهه وقال: «لقد قال ماذا يفعل هذا الطائر الصغير الرائع الجمال هنا بعيداً عن أغصان الشجر؟ ثم صدرت منه بعض الكلمات النابية ربما لأنه جرح أصبعه» وأظهر ريتشارد عفة ملائكية كأنما هو نفسه لا يقصد هذا السباب بل أبدى ضجره من هؤلاء الذين يفعلون ذلك في حالات غضبهم». وتابع قائلاً: عندئذ صفر الفتى الآخر لها. الا تذكر ذلك يا كاميرون؟»

تظاهرت سيرينا بالأنهماك في تناول حساءها عندما أومأ كاميرون برأسه مشجعاً وقال ببطء: «أنا أذكر. لقد كان ذلك عندما مررت أمامهم مع سيرينا التي حاولت منعك من الأقتراب من الهليوكوبتر».

ووجه ريتشارد نظرة شريرة لشقيقه.

وتصادف أن أقبلت السيدة ديبي لتجدتها: قالت لريتشارد تنبه لحقوق الآخرين ومشاعرهم: «ريتشارد: أظن أنك متضايق بعض الشيء لأن



www.liilas.com

سيرينا أعادتك لتنظيف أذنيك. لكن تعلم بأن سين وأنا أعتدنا أن تفعل ذلك. ولهذا فلا يمكنك أن تلقى بمسئولية ذلك على أن سيرينا بنت. وفى الواقع فيجب أن تنظر إلى الجانب المشرق. وعلى الأقل فهى ليست فتاة من ذلك النوع الذى يبالى عندما يصيبه البلل والطين مثلما حدث فى أحد الأيام عندما دفعها ولدان صغيران أعرفهما إلى جدول المياه بكامل ملابسها. ولم تصاب بالأغماء عند رؤيتها ضفدعة فى فراشها رغم أننى أرى أن هذا سيكون شيئاً أكثر أحباطاً.. لهذين الولدين الصغيرين ذاتها».

تلاقت نظرات ريتشارد وكاميرون وتغير لونها ثم أنفجرا ضاحكين وأخيراً قال ريتشارد متذمراً: «لا... لقد تقبلت الأمر كله وكأنها رجل.. أليس كذلك يا سيرينا؟»

ظلت سيرينا تتمنى فى ترقب لو تعرف ما يمكن أن يفعله سين تجاه حادث الفليوكوبتر. ولم تستطع منع نفسها من إرسال نظرة سريعة قلقة بإتجاهه. وفوجئت بأن كان ينظر لها وقد بدا على قسماته الضحك.

أسترخت بصورة واضحة وأستدارت إلى ريتشارد قائلة: «شكراً على تحيتك يا ريتشارد هل يعنى ذلك أنكم صفحتما عنى لكونى فتاة».

قال ريتشارد فى صخب: «بالطبع» ولكن سيرينا أحست ببعض الشكوك فى صدقه عندما غير الموضوع بدهاء قائلاً: «سين إننا لم نخرج للنزهة منذ زمن طويل فمتى سيمكننا ذلك؟»

ووعده عمه قائلاً: «سوف أفكر فى ذلك»: كانت لهجته عادية مما دفع سيرينا للأعتقاد بأن موضوع الحادث قد أغلق. ولكن بعد برهة قصيرة عاودت النظر إليه لتجد أنه ينظر إليها بنظرة مركزه محدقه غامضة أختفت منها الأبتسامة وأحست برعشة تسرى فى أوصالها.

بعد العشاء أنتقلوا إلى الردهه حيث أعتادوا تناول القهوة. وبينما كانت السيدة دينبى تصب لهم القهوة قال سين: «هل بإمكانك إحضار فنجانك إلى غرفتى يا سيرينا؟ أنا أريد أن أتحدث معك».



غاص قلبها كأنه قطعة حجر.

خيم الصمت عندما أغلقت سيرينا فمها ونظرت له بتحد عبر مكتبه.

ملأها الغضب عندما وجدته ينظرها بتعبير صارم أشعرها بسخريته الداخلية. كانت عيناه رماديه تماماً فى تلك الليلة. كان يرتدى قميصاً قطنياً رمادى اللون وسروالاً من الجينز. بدا زيه ملائماً تماماً له وأبرز بنية جسده الطويل عريض الكتفين. وقد كشفت ياقة قميصه عن عنقه الداكن بلون صفحة وجهه. وجهه الذى يبدو أحياناً صعب القراءة بدرجة لا تصدق. وجهه الذى كان يلازمها إلى حد ما. والذى بدا كأنه نومها مغناطيسياً رغم أنها لم تتجاوب معه خلال تلك القبلة التى لا تنسى أطلاقاً والتى أسرفها منها. أثراها سقطت ضحية فى تلك الليلة بسبب نظرته الخاطفة ذات الفتنة القوية المدمرة التى لا تشك فى أنه أعتاد أن ينظر بها إلى النساء ويدعمها خبرته الواسعة بهن.

أما فى هذه الليلة فقد كانت هذه الصفة مختفية بدرجة ملحوظة بسبب لم تستطع الوصول إليه. وقد أزعجها ذلك بدرجة أكبر.

قالت بلهجة واضحة صريحة: «إذا كنت قد أثبيت من السخرية منى — وأنا أعرف أنك تفعل — فهل يمكننى الأنصراف. وبالطبع طالما أنك لا تصدقنى وهو ما كان يجب أن أعتاد عليه تماماً» وكان صوتها ساخراً.

أبتسم وهو مستغرق فى تذكر ما مضى بينهما. ودس أصابعه فى شعره الكثيف ذى اللون الأسمر الشوب بالصفرة ومال للأمام قائلاً:

«سيرينا.. من عملك أن الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع؟»

فقدت إتزانها وتلعثمت وهى تقول: «أنا... ماذا تقصد؟ إنه حقيقى تماماً ذلك الذى قلته لك. ولقد أكده كاميرون. لقد كنا عائدين من أحدى حولاتنا على ظهور الخيل. وأراد ريتشار التوقف لأنه مفتون بالأشياء الميكانيكية. لكننى لم أكن لأسمح له لأننى لم أجد داعياً للتعامل مع هذين... الرجلين» ورفعت رأسها فى أنفة.



www.liilas.com

هز كتفيه وقال: «أنا أصدقك». وعبثت يده بكرة رخامية موضوعة فوق بعض الأوراق على المكتب كمثقل لمنعها من التطاير وتابع قائلاً: «في واقع الأمر فلن يكن هذا أطلاقاً هو ما أردت التحدث معك بشأنه. ولكنك لم تعطيني فرصة لأنطق بكلمة واحدة».

طرفت عين سيرينا وهدأت فجأة وكأنها بالون أطفال مثقوب. وقالت: «لكنك نظرت.. لي هناك» وأشارت بيدها إلى غرفة الطعام وتابعت: «أظن أنك كنت تنظر لي بعينين باردتين كما لو أنني كنت نموذجاً كريهاً لكائن وضيع».

قال بملء فيه: «عزيزتي. سأضطر لمراعاة طريقتي في النظر. ألا يجب على ذلك؟ وخاصة أنني كنت أريد تحيتك على أسلوبك الطيب في التعامل مع التوأمين».

أتسعت عينا سيرينا ولكن أحساسها المتقد بعدم الأنصاف لم يخمد تماماً. وصدرت آخر ومضات ذلك الأحساس حيث قالت: «من الغريب أنك لاحظت ذلك» وعندئذ عضت شفتها بقلق.

قال بصوت هادىء: «أوه. إن لي طرقي ووسائلي».

أرتفعت ذقنها مرة أخرى عندما أدركت المقصود بذلك: «هل تقصد.. أن الآخرين كانوا يتجسسون علي؟»

«ليس تجسساً على وجه الدقة».

قاطعها بلهجة آخرة: سيرينا! هل لك أن تهدئي وتعطيني فرصة لأتم كلامي» وصمت ناظراً لها بنظرة مبتسمة مشجعة.

«كنت سأقول أن هذا ليس كذباً على وجه الدقة ولكنه حذف للحقائق. وهو يبدو كشيء جعلك أفضل مني في وقت ما. وفي الواقع فهذه الحالة مماثلة بالنسبة لي. ولكن أستمر..» وثنت يديها فوق صدرها بدا وجهها حليماً مشجعاً.

ضاقت عينا سين وزم شفتيه ثم أضاءت عيناه ببريق مازح وقال ساخراً: «لقد أصبت. ورغم ذلك فقد كانت دوافعي نقية تماماً. فليس



لديك شك في أن التوأمين ليسا دائماً مصدر سرور. ولذلك فمن أجلهم ومن أجلك أعتقدت أنه قد يكون... نافعاً. ولكني لم أرغب في أن تشعري كما لو كان هناك من يقف فوق رأسك دائماً ويتحفز للأنقضاض عليك إذا ما أرتكبت خطأ. إن ذلك يكون شيئاً مرهقاً. أليس كذلك؟ ولكن الجميع شهدوا بأنك تغلبت على المشاكل بجدارة». وأضاف مازحاً: «لدرجة أنك فاجئتني يا صغيرتي».

«أنا... وأنا لا اعتقد أنك يجب أن تقول لي ذلك».

«لم لا؟»

فكرت سيرينا قليلاً ثم قالت ببعض الأرتباك: «حسناً. أنا أقصد.. حسناً. من المفترض أن تكون الهندس المعماري لحياتي الجديدة. أليس كذلك؟ فكيف يمكنني الأصلاح مادمت تداوم على تذكيري بشيء أفضل أن أنساه». وتوقفت فجأة وقطبت جبينها ثم تابعت: «هذا لا يبدو صحيحاً تماماً. ولكن...»

قال بابتسامة مقتضبة: «أنا أفهم رغم ذلك. هل هناك بعض الأشياء يكون من الصعب نسيانها؟»

أومأت سيرينا برأسها.

فسأل بهدوء: «مثل ماذا؟»

هزت كتفيها وقالت: «لابد أنك تعلم. مثل أن تُشاهد مستلزماً في ملهى ليلي. ألم يسبق لك أن فعلت أخطاء في حياتك. أخطاء وجدتها صعبة النسيان».

قال بلهجة جافة: «قليل. لكني لازلت أجد شيئاً صعباً أن أرى خطأ الذي بلغ حد وضعك في مثل هذه الوظيفة السخيفة. في الواقع هناك شيء واحد قد يتبادر إلى الذهن. أنا أظن أن هذه البشرة الرقيقة الناعمة وهذا الجسد الصغير الجميل والشعر الحريري والعيون البنفسجية ذات الرموش السوداء لابد وأن لها بعض المسئولية عن ذلك. ثم إن هذا عصر التحرر وحتى لو وجدت حاملاً على نحو طائش وتم طردك من



www.liilas.com

المنزل..»

كانت سيرينا تستمع إليه أسترساله في الحديث وهي فاغره الفم. ولكن في هذه اللحظة برقت عيناها بتيران بنفسجية. فقالت بأنفاس مضطربة: «حامل على نحو طائش. أنا... أنظر. حسناً. حقيقة. هذا أمر جديد. متى فكرت في ذلك؟ وماذا تظن أنني قد فعلت بنتيجة هذا الحمل الطائش؟ هل تم أو... لا. رميت به على مدخل أحد المناجم مثلما كان يحدث في الماضي البعيد. كيف يمكنك أن..؟»

«هل تقصين على ذلك أو..»

وانفجرت قائلة: «أنا لا أقص عليك شيئاً... أنا..»

ولكن قاطعها قائلاً ببرود: «عزيزتي إنه يحدث أحياناً لأفضل الناس فنيا» وهز كتفيه قائلاً: «هو في الغالب بسبب رجال غير مسئولين وآباء يعتقدون أنهم أقوم الناس أخلاقاً. ومن يدري ماذا كانت الضغوط بصدد ذلك؟ فهناك بعض الفتيات البائسات ذوات الحظ السيء يترك لهن حل ذلك العب سواء كان ولادة طفل أو التعرض لصدمة الأجهاض. ولوى شفتيه قائلاً: «قد يكون لي بعض الأخطاء وقد لا يرضيك ذلك عني. ولكنني لست الشخص الذي يستخدم ذلك ضدك».

حدقت فيه سيرينا وقد ملأها الحيرة والأحساس بأنها تصدقه ولكنها لا تريد ذلك. ولم يكن ذلك هو المهم في هذا الصدد. ولكن بصفة عامة فإن آرائها في سين وبنت وورث كانت تتخذ عن غير عمد شكلاً يقارب الأستحسان. ولكن الشيء الغريب أن ذلك كان يحدث رغماً عنها.

عضت شفتيها وقطبت جبينها ثم قالت بعد جهد: «لم يحدث.. لم يحدث ذلك لي. لم يكن ذلك سبب رحيلي..» وصمتت فجأة ثم أندفعت قائلة: «لقد وعدت بألا تفعل ذلك.. لقد قلت..»

«لقد وعدت بأنني لن أفعل أي شيء بخصوص إعادتك أو أتخاذ أي خطوات لذلك مثل عمل أي أستفصاء عنك» ثم تفرس فيها بهدوء وتابع:



«ولكنني لم أعد بالأ أتساءل وأتعجب من أنه قد يكون شيئاً عديم الفائدة.. الأ تثقي بأحد».

أغمضت سيرينا عينيها وهي لا تصدقه فقد بدا لها أن رغبتها في ذلك لا تقاوم. ولكنها تنهدت وقالت: «شكراً لك لا أفضل. يمكنني أن... أدبر أموري بنفسي».

تصلب فمه للحظة ثم تراجع في مقعده. وعندئذ قال: «حسناً. هذا يرجع لك. هناك شيء آخر كنت أريد التحدث معك بشأنه الآن. لقد أمضيت ما يمكن أن نسميه مدة التدريب. وسوف تعود والدة التوأمين في خلال أسبوعين لتمكث هنا فترة. قد تكون والدتهم هي أحد الأسباب التي جعلتك تواجهين.. بعض المقاومة من ريتشارد على الأقل». وتناول الكرة الرخامية الموضوعة أمامه فوق الورق وتابع بأسغراق: «أنا.. لا أريد أن أثقل عليك بأمور العائلة. ولكن يبدو أنك لم يمكنك تجنب ذلك. يجب أن أنبهك أن ريتشارد له سجل حافل في كونه صعب التعامل معه، ويكون أكثر صعوبة في وجودها».

ه أخرى حدقت فيه سيرينا وقد فغرت فمها حتى أنه كاد يبتسم لذلك ولكنه تابع قائلاً: «لا تنزعجي لذلك فسوف تكون على حذر. وإذا أستمررت على نفس الطريق الذي تسيرين فيه فهذا هو كل المطلوب».

وأخيراً قالت سيرينا: «أنا.. أفهم.. أنا لم أكن أدري أن لهم أماً. إنهم لم يذكروها على الأطلاق».

«لقد تم طلاقها من أخي قبل وفاته. ورغم أن لها مطلق الحرية أن تراهما وقتما تشاء وحتى في معيشتها معهما إلا أنها تفضل هذا الوضع بالنسبة لهما».

طرفت عينا سيرينا وقالت بصوت خفيض: «أوه.. حسناً. شكراً لك لأنك نبهتني لذلك هل هي... هي تعلم بوجودي؟»

قال سين بتلقائية: «بالطبع. لقد أستحسنت تماماً فكرة مربية

أطفال». ويرفض وتبعته سيرينا فقد بدا واضحاً أن المقابلة أنتهت. وأتجه نحو الباب يفتحه لها.

وبينما كانت تمر أمامه وضع يده على كتفها ثم سحب غصن الياسمين من شعرها وشمه. وسألها بلا مبالاة: «هل هناك غرض معين لوجود الياسمين في شعرك؟»

تصلبت سيرينا. كان عليها أن تميل رأسها للخلف حتى تستطيع النظر إليه لأنها يقفان متقاربين جداً. وقالت باقتضاب: «لا».

دس الغصن في شعرها مرة أخرى وقال متشدقاً: «أنت سريعة الغضب» وهز كتفيه قائلاً: «كل ما قصدته أن ذلك قد يكون لأجل عيد ميلاد نسيت أن تخبرينا به أو أي شيء من هذا القبيل».

عضت سيرينا شفتيها وقالت: أو.. لا... أنا.. كل ما في الأمر أنني أحسست بأنني سعيدة عندما كنت أرتدي ملابسي».

«وها أنذا قد جعلتك تتضايقين» ومد يده يضبط غصن الياسمين في مكانه وقال: «أنا آسف» ومس أسفل ذقنها بأصابعه ثم تابع: «يبدو أنه يجب علي أن أصفح من نفسي أنا الآخر. تصبحين على خير يا سيرينا. وأنا أشكر لك تحملك كل هذه المتاعب مع ريتشارد وكاميرون. وآسف لكل الأزعاج الذي أضطررت لتحمله. إنها أثيران جداً لدي».

وجدت سيرينا أنه من الصعب أن تخلد إلى النوم في هذه الليلة. فلم تستطع منع نفسها من التفكير ملياً في حديثها مع سين. كما يجب أن تعترف بأن الفضول يكاد يقتلها بخصوص هذه الأم الغامضة التي تركت ولدها في رعاية سين. ولكنها لم تتخيل أن تسأل أي أحد عنها.

غير أن السيدة دينبي هي التي روت فلماً سيرينا بعد يومين ودون أن تسألها. فسبب ما أنقضت على المنزل في عاصفة من التنظيف التام. وكانت تتجول هنا وهناك في قلق وأرتباك. كانت تبدو متوترة على غير عادتها فأقتربت سيرينا في ذلك الصباح وهي تتأنق في تنظيف بعض الزهريات اللامعة أصلاً. وتناولت سيرينا منها الزهريات قادتها إلى أحد



المقاعد في المطبخ. وطلبت منها أن تستريح وبينما تعد لها كوباً من الشاي.

غاصت السيدة دينبي في المقعد وهي تقول: «هذا كرم عظيم منك يا عزيزتي لست أدري كيف كنت سأتصرف بدونك».

أبتسمت سيرينا وقالت: «هل هناك شيء ما؟»

ردت السيدة دينبي بسرعة: «لا... لماذا؟»

«لقد قمت بتنظيف المكان بدقة متناهية رغم أنه كان نظيفاً أصلاً».

لزمت السيدة دينبي قسمات وجهها وتنهدت قائلة: «أنا.. أظن هذا هو أسلوب لتخفيف توتري».

«لم أعرف أن لديك أي توتر. هل لك أن تخبريني؟» جلست سيرينا في مقابلها وبدأت تصب الشاي.

ترددت السيدة دينبي ثم قالت: «أظن أنها ديلفين».

«ديلفين؟»

«السيدة أندرو وينت وورث رغم أنها تخلت عن هذا اللقب. إنها ستأتي خلال أسبوعين» «أوه... والدة التوأمين؟ نعم... لقد أخبرني سين؟»

بدا على السيدة دينبي الأرتياح وهي تسأل: «أفعل هذا؟»

سألتها سيرينا: «كيف تبدو؟»

«إنها.. جميلة ولكن ربما يمكنني أن أحذرك يا سيرينا».

قالت سيرينا: «إذا كنت ستقولين ما أعتقد أنك ستقولين بخصوص ريتشارد فقد فعل سين ذلك أيضاً».

«أوه. هذا طيب. من الأفضل لك أن تكوني على علم رغم أن سين في العادة لا يحب نشر مشاكلنا».

تمتمت سيرينا: «من الطبيعي أن..» وأضافت وقد قطبت جبينها: «لابد أن يكون من غير المناسب أن تتركها بمفردها هنا».

تنهدت السيدة دينبي مرة أخرى وقالت: «إنها قصة حزينة طويلة يا سيرينا. إن ديلفين تعمل راقصة. وهي بارعة جداً مما أعطاها سمعة



www.liilas.com

طيبة. لقد بدأت كراقصة باليه ثم تحولت إلى الرقص الحديث. وهي الآن الراقصة الأولى لفرقة مشهورة جداً. وللإيجاز أقول لك أنها تزوجت أندرو عندما كانت صغيرة وفقيرة. وفي البداية كانا غارقان في الحب ولكن بعد بضعة شهور كان يتشاجران مثل القط والفأر. كان يريد أن يعيش هنا مثلما كان فيما مضى من حياته بينما كانت تريد هي أن تعيش في سيلفي وتستمر في الرقص. ولسوء الحظ فإن أندرو لم يكن ملائماً لها رغم أنه كان رفيقاً كرحيق الأزهار». ومسحت السيدة دينبي بطرف مريلتها دمعة سالت على خدها.

«ماذا حدث؟»

تأملت السيدة دينبي يديها ثم قالت أخيراً: «لقد أستسلم. ولكنه بعد عامين تم طلاقهما وعاد أندرو مع التوأمين. وحتى بعد وفاته فقد كانت ديلفين راضية. بإستمرار هذا الوضع. مع سين». وسألت في أسى: «ما... ما رأيك في أمرأة كهذه؟»

والحق يقال... لم تجد سيرينا ما تقوله.

وبلهجة صادقة تابعت السيدة دينبي قائلة: «وبالطبع مع أسلوب حياتها فقد كان من الأفضل كثيراً أن تدعهما هنا. وهي تأتي لرؤيتهما من حين لآخر. ولكن..» توقفت فجأة وهزت كتفيها.

قالت سيرينا بتفكير عميق: «على ما أدري فقد وصلا إلى سن لا يقبلان فيه هذه الأشياء تماماً».

«إن كاميرون لا يزال يعتقد أنها رائعة. وقد أعتاد ريتشارد ذلك. ولكنه لا يتحدث عنها الآن. وهما يحتفظان في حجرة نومهما بصورة لها ذات أطار فضي. وهو يحبها عندما ترحل».

تنهدت سيرينا وقالت: «لست أدري لماذا.. أوه يا عزيزتي»... ثم أضافت: «هل يعرف سين ذلك؟».

«أجل. وهذا هو السبب كما ترين أننا بصفة عامة نبذل جهداً خاصاً لجعل الأمور عادية بقدر الإمكان في وجودها. أقصد كما لو أن الطلاق لم



يحدث. ولكن هذه المرة لدى أحساس بأن سين لن يكون كذلك حسناً. ربما تعرفين ما أقصده».

وافقتها سيرينا في تعاطف ثم شحب لونها قليلاً وأندفعت قائلة: «ولكن إذا كانت لديها تلك الموهبة..» وتوقفت ثم عاودت الكلام: «بعض الناس عندما تكون لديهم موهبة أو مهارة فلا يمكنهم تجاهلها مطلقاً. وتكون كأنها قوة بداخلهم لا يمكنهم التخلص منها. هي..»

قاطعتها السيدة دينبي: «هذا حقيقي. يمكنك أن ترى ذلك في يديها وفي مشيتها حيويتها ونشاطها». وأضافت بإبتسامة «كم أنت حكيمة بالنسبة لسنك يا سيرينا» ثم تابعت بحزن: «لسوء الحظ فن الصعب بالنسبة لنا إلى حد ما أن نكون غير منحازين بخصوص ديلفين».

سألت سيرينا بفضول: «هل يشبهها ريتشارد وكاميرون؟»

«حسناً. إنه مزيج غريب إنها يشبهان أندرو كثيراً. وإنه بشيء يمزق قلبي وأظنه يمزق قلب سين أيضاً أن كاميرون يبدو وكأنه ورث طبيعة والده فهو رقيق مراع لحقوق الآخرين ويستغرق كثيراً في أحلام اليقظة».

«وريتشارد؟»

تناولت السيدة دينبي كوب الشاي وقالت: «ريتشارد... عزيزي. إنه مزيج خالص من ديلفين وسين مع بعض الخصائص المبتكرة إلى حد كبير. كأنه ديناميت كما قد تكونين لاحظت ذلك».

ضحكت سيرينا وقالت: أنا لم أهتم كثيراً بالضفادع في فراشي ولا بالفئران في أدراجي ولكنها تلك النظرة الواثقة الثاقبة التي ينظر لي بها من حين لآخر. أنت على حق... إن سين يفعل نفس الشيء».

وتبادلا الأبتسام ثم بدا الجد على ملامح السيدة دينبي وقالت: «لقد أعتاد سين وأندرو أن يكونا قريبين جداً» وصمتت برهة ثم أضافت: «أوه حسناً. شكراً على إنصاتك يا سيرينا. أرجو ألا أكون قد أخبرتك بشيء كنت تفضلين الا تعرفيه. لكنني أشعر الآن ببعض التحسن».

بمرور الوقت كانت سيرينا تراقب ريتشارد بعيني صقر. ولكن ما حدث



www.liilas.com

أن حذرها لم يمنعه من تنفيذ ما صمم عليه.

كان شهر مارس يوشك على الأنتهاء. وكانت الليالى تتقاصر بينما تهب بعض الرياح الباردة. كانت سيرينا تفكر فى ذلك وهى عائدة مع التوأمين إلى المنزل بعد جولة على الخيول فى عصر أحد الأيام.

نظرت لساعتها وقالت: «يجب ألا تتباطأ يا رفاق فسرعان ما سيحل الظلام».

قال ريتشارد بأسلوب سيد يحادث خادمه: «يمكننى أن أعرف طريقى هنا وأنا معصوب العينين».

قال كاميرون: «هذا لأننا لسنا بعيدين عن المنزل. أنا أعرف أيضاً» ثم أوقف جواده قائلاً: أوه سيرينا. هل ترين هذا؟» وتوسل قائلاً: «هل يمكننى مجرد النزول والقاء نظرة أقرب؟».

قال ريتشارد بضجر: «أنها ليست سوى سحلية عجوز منهالكة. لابد أنك رأيت مئات منهم».

وتوسل كاميرون قائلاً: «أرجوك يا سيرينا».

وترددت سيرينا: فبينما كانت هواية ريتشارد هى الأشياء الميكانيكية فقد كان كاميرون مولعاً بأى نوع من الزواحف.

قال: «حسناً.. ولكنه تنبه إلى أنها مجرد نظرة سريعة» وشجعته بأن نزلت عن جوادها وقالت: «إنها أضخم واحدة رأيتها» ثم أضافت فى تعجب وهما يقتربان بحذر من الصخرة التى ترقد عليها السحلية: «أنظر.. كيف تنفخ نفسها».

وشهق كاميرون قائلاً: «أوه.. هيه ريتشى».

ولكنه أستدار هو وسيرينا عندما سمعا صوت حوافر فرس يعدو مسرعاً. وشهقا فى فزع عندما رأيا ريتشارد يختفى فى سحابة من الغبار فى عكس الأتجاه المؤدى للمنزل.

سألت سيرينا شقيقه: «أين.. أين هو ذاهب؟»

دس كاميرون يده فى يد سيرينا وهو يقول بصوت خفيض: «ليس



مسموحاً له أن يفعل ذلك. يجب ألا يبتعد بمفرده. سوفى يوقع نفسه فى مشكلة كبيرة».

التقطت سيرينا نفساً عميقاً وقالت: «كاميرون.. هل يعرف طريقه هنالك؟»

قال كاميرون فى صوت مرتجف: «ليس. ليس فى الظلام. سوف يجلده سين بسبب ذلك. كان يجب ألا نتوقف. ماذا سنفعل يا سيرينا؟»

قالت بصوت رزين: «كاميرون. الآن يجب أن تعدنى بأن تفعل بالضبط ما أقوله لك. اركب» وأمتطى كل منهما جواده وسلكت طريقاً بين مجموعة من التلال حتى أصبح من الممكن رؤية المنزل.

«والآن يجب أن تعود إلى المنزل مباشرة يا كاميرون».

سألها كاميرون وقد إمتلأت عيناه بالدموع: «ولكن ماذا أقول لسين عندما أصل إلى هناك؟» قالت سيرينا بصوت مهدىء: «فقط أخبره أن جواد ريتشارد قد أنفلت من شىء غريب وقد فر به. ويمكنك أن تصف له المكان الذى كنا به. والأتجاه الذى سلكه ريتشارد. هل فهمتنى؟»

أومأ كاميرون بارتياح.

تابعت سيرينا. «والآن فسوف يحل الظلام عما قريب. ولذلك فيجب أن تخبر سين أو السيدة دينيى بمجرد وصولك. وأخبرهم بأننى قد أنطلقت فى أثره. أنا متأكدة إلى حد ما بأن الجياد ستعرف طريقها للمنزل ولذلك فستكون بخير» ودست يدها فى شعره الأشقر ثم تابعت: «على اننى اعتمد عليك».

ووعدها كاميرون قائلاً: «سوف انطلق بسرعة الريح».

«حسناً. من الأفضل أن نسير بهدوء فنحن لا نريد أن نفقد كلنا معاً. تحرك».

وفعل كاميرون مثلما أمرته. وأستدارت سيرينا بجوادها وهى لا تدرك إنها لا تستطيع أن تتعامل مع الخيول مثلما يفعل ريتشارد ولم تدرك أيضاً. أنها كانت قد أجتازت من إصطبل الخيول جواداً مراوغاً كل همة فى نهاية



www.liilas.com

اليوم أن يعود للمنزل ليتناول وجبة البرسيم التى كانت تنتظره فى المساء. وأياه ما كان الامر فقد إشترك مقاومته بينما كانت اشعة الشمس تغرب فى مجره رائعة وتغيب عن البقعة التى يبدو أن رينشارد قد إختفى فيها.

كان أحد حيوانات الكابخارو هو الذى فجر الشرارة للمعركة بين سيرينا وجوادها. فقد قفز من بين اشجار الموجاس العالية. واجفل الجواد وتراجع فسقطت سيرينا على الأرض بكامل جسدها وتمددت ذاهلة لثانية وثانيتين. وإستغل الجواد هذه الفرصه فأنطلق مسرعاً عائداً إلى المنزل.

كان أول ما خطر ببالها هو فكرة لا منطقية.

«أنت تستحقين ذلك يا سيرينا لأنك حرصت كاميرون على الكذب. هل سيصدق سين أن حصانين قد أصابها الفزع وفرا هاربين؟»

نهضت ببطء ثم جلست فجأة وأدركت أنها لا تزال تترنح من أثر سقطتها. نظرت حولها دون أى أمل فى العون. وعندما سحب الضوء كان جمال الطبيعة حولها يجل عن الوصف. كانت سيمفونية من الألوان الوردية التى غطت الأرض الرملية. ونحت السماء القاتمة كان هناك جذع أبيض أجرد لإحدى الأشجار. وعندئذ بدأت الألوان تتبدل أمام بصرها كما لو كانت تنظر إلى صورة معكوسة الألوان. وبدأت الألوان الخفيفة تشحب عندما سار ضوء الشفق.

وفجأة إرتعد جسدها ونهضت بعزيمة قوية فى هذه المرة. كان سيراً مؤلماً بكل ما فى الكلمة من معنى. لم تكن تدرى كم تبعد عن المنزل ولكنها قدرت ذلك بحوالى ميل آخر على الأقل رغم ان جوادها لم يتقدم بها كثيراً. وسوف تكون محظوظة إذا استطاعت العودة قبل أن يحل الظلام تماماً. كانت بحاجة إلى الأضواء لترشدها. وحثت الخطى عندما تذكرت رينشارد. رينشارد الذى يذكر الجميع بوالده المتوفى. رغم إختلاف طبيعتها.

وغمغمت بصوت عال: «الهى الحبيب.. هل سيساعدوننى على الأطلاق إذا ما إفتقدت رينشارد» ولا تدرى سيرينا كيف خلت طريقها.



تأكدت من ذلك بعد أكثر من نصف ساعة من السير الجاد. وتهاوت على الأرض وهى تقول بصوت باك: «لكننى لا يمكن أن أكون قد تجاوزت المنزل.. إلا إذا كنت قد غيرت إتجاهى تدريجياً دون أن أدرى لأننى لازلت أترنح من أثر السقطة.. يمكن أن أكون فى أى مكان الآن».

جلست وقد وضعت رأسها بين ركبتيها عما يقرب من خمس دقائق محاولة أن تهدئى من روع نفسها. همست فى يأس: «فقط لو كان هناك قمر». ولكن عندما إرتفعت ببصرها لم تر مجرد نجم. وتابعت تقول لنفسها: «إن الغيم يحجب السماء» ثم قفزت عندما حدث لها شيئين فى نفس اللحظة: أولها قطرة مطر كبيرة سقطت عليها. وثانيها تذكرها أن المطر كان متوقعاً فى نهاية اليوم. ففى هذه المنطقة تعد كل قطرة من مياه الأمطار شيئاً نفيساً. ولذا فقد كان كل سكانها متابعين شرهين للنشرات الجوية الأذاعية. وقد أستمعت إلى سين وبيل يتحادثان فى الصباح عن أحتمال سقوط الأمطار.

وخرجت أناتها عندما سقط المزيد من المطر: «أوه. لا. لماذا الليلة؟ أقصد أننى أعرف أنهم يريدون المطر. ولكن هل يجب أن يكون الليلة من بين كل الليالى؟»

كان المطر خفيفاً ومتقطعاً فى البداية. وتهدئت بإرتياح وحسبته سيكون رذاذاً عارضاً. ونهضت ودارت ببصرها فيما حولها بحثاً عن مكان مريح تجلس فيه وتقدمت بضع خطوات لتدرك أن الأرض تحذر فيما أمامها قليلاً. ووجدت أمامها صخرة ضخمة. تحسستها بيديها وهى تدور حولها. ورأت أنها يمكن أن تستند إليها حيث قد تجد بعض الحماية من المطر. وللأحتياط فقد دارت حولها وهى تقفز هنا وهناك وتجر قدميها على الأرض ثم قالت: «والآن لا يمكن أن يظل هناك ثعباناً يحترم نفسه» وتهاوت على الأرض متهالكة.

وكأنما كان ذلك إشارة غير مرئية للسماء من فوقها. فبدون أى إنذار



قمر الليل

سابق أختفت كل القطرات المتقطعة وفتحت السماء أبوابها لينهمر المطر على رأس سيرينا فيما يشبه سيلاً متصلاً من المياه.

لم يكن هناك ما يمكنها عمله غير أنها جلست القرفصاء. ولم يقف الأمر عند تشربها بالمياه بل وتشبعت الأرض من تحتها بالمياه تماماً.

ولم تدركم مضى عليها من الوقت. ولكن أخيراً تحول المطر إلى رذاذ متقطع بعد فترة بدت كأنها ساعات طويلة. وأستطاعت أن تقف كانت شبحاً بائساً مشبعاً بالمياه. ووجدت أنها تقف وسط سيل من المياه يغطى قدميها حتى الكعبين. وتخير القمر هذه اللحظة ليبزغ من خلف الغمام ويكشف لها حقيقة أكثر رعباً. كان سيل المياه يتسع أمام ناظريها. شهقت في رعب حقيقي لدى هذه الورطة. كانت السيول تتلوى وهي تندفع خلال مجرى جاف لواحد من روافد الأنهار القديمة. ولكن المجرى لم يعد الآن جافاً على الأطلاق.

مضت الدقائق التالية كأنها كابوس. وفي كل خطوة تخطوها كانت تتراجع خطوتين إلى الوراء حيث كانت ذوامات المياه تطبق على قدميها. وأنزلقت قدمها وكان عليها أن تشق طريقها بأظافرها إلى جرف صغير سرعان ما غمرته المياه هو الآخر. وترادى أمامها ضوء فظنته لأول وهلة أن القمر قد دار حوطا بطريقة ما أو أنها قد فقدت إدراكها للأتجاهات مرة أخرى.

وعندئذ وبينما كانت تئن وتنشب أظافرها بقوة في أي شيء تصل إليه يداها أدركت أنه لم يكن هناك قمر بل ضوء كشاف باهر.

صرخت: «أوه. الحمد لله». وسقطت على الأرض ولم تهتم بالنهوض. بل أخذت تندفع حبواً على يديها وقدميها. فلابد أن وراء هذا الضوء مأمناً وسيارة قوية ومن يساعدها إذا أستطاعوا رؤيتها.

صاحت: «النجدة.. أوه.. أرجوك لا تبتعد.. أنا هنا.. أوه. شكراً للسماء» وتراءى أمامها شبح غامض. نهضت بصعوبة وأضطراب والقت نفسها بين ذراعي ذلك الشبح الذي كان يرتدي معطفاً واقياً من المطر. لم



تدرك ولم تهتم من يكون فقد كان في عقلها فكرة واحدة: «ريتشارد يجب أن نجد ريتشارد».

وبدون أي كلمة أنتقطها منقذها وحملها على كتفيه. كانت لا تزال تهذي بكلمات غير مترابطة بينما وصل بها إلى ما وراء مصدر هذا الضوء. وأتضح أنه صادر عن سيارة لاندروفر كبيرة حيث وضعها بعناية في المقعد الخلفي. ثم صعد إلى السيارة وجاست يده في الظلام قليلاً وأضاء مصباح بطارية كهربية قوية. ووجدت سيرينا نفسها تحملق في عيني سين وينت وورث الرمادية الباردة.

فغرت فاها وأغمضت عينيها في كلل شديد. ونمتمت: «أنا أسفة جداً». وسقطت على الأطار الأحتياطي الموضوع خلفها.

ولكن وقع يديه على كتفيها جعل أهدابها تطرف.

هزها بشدة وهو يقعدها وقال: «إذن أنت تستطيعين التماسك. كان يمكن أن تلقى حتفك بأي من طرق عديدة. فضلاً عن كل المشاكل التي وضعتنا فيها والتي لم تنته بعد».

حدقت بفزع في أحد الأعصاب المتوترة بفكه وهمست: «لم تعثروا عليه؟».

عندئذ أرغى وأزبد. وأجفلت عندما غرس أصابعه في كتفها قائلاً بشراسة: «ريتشارد. لقد وصل إلى المنزل سالماً بعد حلول الظلام بقليل لأنه كان لديه فهماً سليماً فالتصق بجواده وتركه يتخذ طريقه إلى المنزل».

أحست سيرينا بارتياح منعها من الكلام مما أتاح لسين الفرصة أن يتابع قائلاً في صوت أجش: «بينما أنت... الوافدة الجديدة إلى رودزوود... لم تتوقفي لمجرد التفكير في أن لديك أقل فرصة للعثور عليه».

قالت سيرينا بومضة من التحدي: أنا كنت سأدع جوادي يتخذ طريقه للمنزل بعد بعض البحث بالمنطقة. أنا لست بهذا الغباء. فقط..»



قمر الليل

قال باستخفاف: «فقط لم تستطيعى البقاء فوقه».

إنعقد لسانها ثم أستطاعت أن ترد بحرارة: «لم يكن ذلك خطئى. إنه أغبى جواد ركبته وأنا الاحظ أنك لاتركب جواداً هرماً أحمقاً عنيداً ليس فى رأسه سوى التهام غذاءه» كانت تشير إلى الجواد الأسود الجميل المخصص لأستخدامه وحده.

قال بلهجة باردة: «هذا خارج الموضوع». وهزها بعنف قائلاً: «ولكى يرداد سوء الأمور فبدلاً من أن تمكثى حيث كان يمكننا العثور عليك منذ ساعات فقد سرت أميال لعينة فى هذا الوابل اللعين من الأمطار لتصلى إلى مجرى ذلك النهر».

قالت بنغم: «أنا لم.. أعنى عن قصد إلى هذا المكان. ولكن كان لابد أن أصاب بالدوار بعد ما سقطت. ولا...» أندفعت رأسها للخلف بشدة فوصلت قائلة: «أنت تؤلمنى».

توقف سين عن هزها وحدق فيها وهو يقول بلهجة جافة: «إن ذلك هو ماعناجينه. ولو كان لدى أى إدراك سليم لوضعتك فوق ركبتى وظللت أضربك حتى أسحق أنعاسك المتقده بمجرد أن أعلمك التوقف والتفكير قبل الأندفاع إلى مثل تلك الأعمال الطائشة التى يبدو أنك أدمنتها.. هل تدركين أنك كان يمكن أن تغرقى فضلاً عن أشياء كثيرة أخرى. أليس كذلك ياسيرينا؟»

أرتعشت شفتاها وقالت: «أنا... أجل» وكفكفت الدموع التى ملأت عينيها وهى تقول: «أنا آسفة جداً: كل ما فكرت فيه هو العثور عليه. لاشىء غير ذلك».

أخذ نفساً عميقاً وبدا أن بعض التوتر بدأ يزول عنه. ثم غمغم متعجباً عندما لم تستطع كتمان التشنجات التى ملأت حلقها. وبدأت تنحب جدياً فجذبها بين ذراعيه وقال بلهجة رقيقة: «حسناً.. لقد أنتهى الأمر الآن ياصغيرتى».

ولكن يبدو أنه لم ينته بالنسبة لسيرينا حيث أنتابها مايشبه الأنفعال



الهستيرى. وفشلت فى كبح دموعها أو أهتزازات كتفيها المؤلمة والتى دفعت جسدها. عندما أستغرقت فى نحيبها- إلى صدره فبصه الرطب.

وأخيراً قال فى حسم: «هيه» ورفعها عن صدره ونظر لها مبتسماً وقال: «هذا يكفى... إنك تبدين كأرنب غريق على أية حال. ولكن هذا سيزيد من سوء الأمور ليس إلا».

كبحت سيرينا دموعها وأستدارت بعيداً عنه فى أضطراب شديد. ولكن عندما سمعته يضحك هامساً شدت على قبضتها وشخدت كل ماتملك من إرادة لتستعيد بعضاً من رباطة جأشها. وأخيراً هدأ نشيجها المبرح وأستطاعت أن تستدير له لتجد أنه كان يتأملها وفى عينيه بعض من بريق ساخر وكأنه كان يتذكر واقعة أخرى عندما أنقذها بينما كانت مبتلة ومنسحة وقد لطخها الوحل.

خفضت سيرينا بصرها تتأمل نفسها وتنهدت فى غضب ثم جذبت منديلاً مبتلاً من جيبها وتمتمت. وقالت ببعض اللا مبالاة: «أنا أكرهك. أنا أعرف ماتفكر فيه. ومايحيرنى هو لماذا لابد وأن تكون أنك دائماً؟ لماذا لم يتمكن بيل من العثور علىّ الليلة؟»

قال بهدوء: «كان ذلك سيؤخر فقط من اللوم. وبمناسبة الحديث عن بيل فقد حان الوقت لأعرفه أنك سليمة وبخير. إنه بالمنزل يسوق عملية البحث».

كان ذلك يتم من خلال جهاز لاسلكى موجود باللاندروفر. ورغم أن سيرينا كانت قد قررت الا تحاول مجرد النظر لخدومها مرة أخرى فإنها لم تستطع منع نفسها عند سماعها الحادثة التى أجراها. مع بيل. وعندما أنهى المكالمة كانت تحملق فيه وقد فغرت فمها.

وسألته فى إرتياب: «طوال الليل؟ هل تقصد أننا سنبقى هنا طول الليل؟»

رد ساخراً: لاأدرى سبباً يدفعك لهذه الدهشة. لقد غرقت تماماً فى



قمر الليل

مجرى أحد الأنهار ويوجد الآن نهر قد يكون أكثر عمقاً يفصلنا عن المنزل.
وخلاصة القول أننا الآن محاصرون».

قالت فى تلعثم: «ولكن... ولكن هذه لاندروفر».

هز كتفيه قائلاً: «بالضبط. فلا يمكننى أن أنبت لها أجنحة ولا أجعلها تطفو. ولذلك فليس لدينا خيار. ويجب أن نلزم هذا المكان المرتفع من الأرض حتى الصباح. وإذا لم تهدأ السيول حتى ذلك الحين فيمكنهم إنقاذنا بالهليوكوبتر. لكنى لا أعتقد أنه ستكون هناك ضرورة لذلك. فحسب المعلومات التى حصل عليها بيل فإن هذا المكان إنهمار محدود للمطر. وإذا لم يحدث مزيد من المطر فى الأراضى المرتفعة فإن الأرض ستشرب المياة مثل ورقة نشاف... أعتقد أنه قد حان الوقت لتخلصى من هذه الملابس المبتلة. أنت تجلسين فى بركة مياة».

ردت سيرينا: «شكراً لك.. ولكنى سأبقى فيهم».

قال فى صوت متزن: «لا... لن تفعلى ذلك». ومال تجاهها قائلاً: «عندما تصفو السماء من السحب فسوف يزداد البرد. أنت تنادين البرد كى يصيبك».

«أنت تبدو فجأة شديدة المراعاة للآخرين. ولكن بصرف النظر عن أى شىء آخر فليس لدى ملابس أخرى أرتديها..»

«أوه. نعم... لديك» ومد يده إلى المقعد الأمامى وتناول سلة مصنوعة من أغصان صغيرة جافة مجدولة وقال: «لقد وضعت السيدة ديتبى بعض مؤن الطوارىء» وأخرج زجاجة ترموس وإناء بلاستيكى ثم قال: «ها هى بعض الملابس الجافة لك وأيضاً منشفة» ورمى بسروال جينز نظيف وقميص من الصوف الناعم.

ونظرت سيرينا إلى الملابس ثم أرجعت بصرها إليه وقد أكتسى وجهها بتصميم معاند. وقالت: «لن أبدل ملابسى وأنت تجلس هكذا».

لوى شفتيه قائلاً: «لن أرى».

قالت بمرارة: «أنت على حق. فلن يكون هناك ما يمكن رؤيته. إذا كنت



تريدنى أن أبدل ملابسى فيمكنك الخروج فى المطر مرة أخرى». ثم انفجرت قائلة: «هل أنت متأكد أننا يجب أن نمكث هنا طوال الليل؟»

قال فى هدوء خطر: «سيرينا. سوف أشرح لك الأمر مرة أخرى. إن هذا ريف متقلب الظروف إنها متاهة من القنوات ومجارى الأنهار وهى ممتلئة بالحفر والصخور وجذوع الأشجار. وحتى فى ضوء النهار الساطع فلن يكون أمراً سهلاً أن نعود للبيت. والآن هل ستخلعين هذه الملابس المبتلة أم أننى يجب أن..؟»

تمتمت: «لست أدرى ما الذى أوصلنا لذلك؟»

لم تكن متأكدة تماماً مما دفعها لتقول ذلك. ولكن بد أن هناك شىء غير عادى طرأ على حارسها إزاء ذلك. كان تأثير كلماتها غير متوقع. غمغم بين بشىء غامض وجذبها تجاهه حتى صارت تصف جالسة ونصف راكعة أمامه. وقال بغضب: «إذا كنت تتخيلين أننى قد رتبت كل ذلك لأخدعك فأطردى هذه الفكرة. وإذا لم تكونى تذكرين فلقد أوليت ظهرى لفرصة ذهبية لعمل ذلك من قبل. وإذا كان هو مجرد العناد فدعينى أبين لك مرة أخرى ذاك الأثر الضئيل الذى تتركه مفاتنك الصبيانية الفجه علىّ».

شهقت قائلة: «لا» وأستدارت بعيداً وهى تحاول دفع يديه التى بدأت تفك أزرار بلوزتها. وصرخت فى كلمات غير مترابطة: «لا تفعل.. كيف تجرؤ».

قال بهدوء: «سوف أخبرك لماذا أجرؤ» وأخذ ينزع بلوزتها وصديرية تدثيها بخفة رغم مقاومتها اللاهثة بينما حاولت باستماتة أن تستر نفسها. وقال «لأننى أقوى منك. ولأن أمراض الرئة هى آخر ما تحتاجه ولأننى لا أبالى اطلاقاً بجبائك العذرى الممتهن. هيا» ناولها منشفة قائلاً بلهجة آمرة: «استخدميها» وسرعان ما تناولتها وأخذت تلف نفسها فيها.

أغمضت سيرينا عينيها بينما راحت تنتابها موجات من البرودة والحرارة.



قمر الليل

وأخذت تجفف جسدها على نحو محموم وقد أتقد وجهها بالأرتباك.

قالت: «حسناً» ثم نزع المنشفة من بين أصابعها وناولها البلوزة التى أندفعت بداخلها وراحت تغلق أزرارها كيفما أتفق.

قال بلهجة آمرة: «توقفى» ونزع أصابعها المرتبكة المرتجفة فى ضجر وأغلق كل الأزرار على نحو صحيح من أسفل البلوزة حتى عنقها. وقال: «قد يمكنك عمل الباقى طالما أنك تعرفين شيئاً ما قبل أن نتقدم خطوة واحدة».

أتسعت عيناها فى حذر بينما أمتلأت عيناه بنظرة باردة وتابع قائلاً: «وهو أننى ليس لدى أية نية لإغتصابك أو التغرير بك بأى طريقة يا سيرينا».

«أنا... حسناً» وعبس وجهها ورفضت مواصلة الكلام. ثم أندفعت قائلة: «ولكننى لازلت أكرهك».

أنبسطت تجاعيد وجهه. ولكنه واقفها قائلاً: «أنا أعرف. ولكن ربما يكون من الأفضل أن تشعرى بالكراهية تجاهى بدلاً من أن تفقدى صوابك من الفزع» ثم تابع «هل تصدقى. أعتقد أن المطر توقف» وصمت وأرهفا السمع. وفعلاً كان المطر قد توقف فقال: «سوف أنزل وأتجول فيما حولنا حتى تقومى بالباقى».

سارعت سيرينا إلى تنفيذ ذلك بمجرد أن أطل برأسه إلى الظلام ثم قفز من السيارة. أكملت أرتداء ملابسها بسرعة وأستخدمت الملابس المبتلة لتنظيف بركة المياة من أرضية السيارة قدر ما أستطاعت. وبدأت تفرك شعرها عندما قفز سين إلى داخل السيارة مرة أخرى.

التفت عيونها فى نظرة خاطفة ولكنها صرفت بصرها بسرعة وأنهمكت فى تجفيف شعرها. وومضت أبتسامة على شفتيه ولكنه قال: «جوعانة؟» ومد يده إلى الصندوق البلاستيك.

واصلت سيرينا حل شعرها قليلاً ثم طوت المنشفة بعناية شديدة وقالت: «سين؟»



«أو... هه».

قالت بصوت خفيض: «أنا آسفة لما سببته من إزعاج. ولا أريدك أن تظننى أجحد فضلك فى انقاذى».

لاح الضحك فى عينيه الخضراء الرمادية ولكنه قال فى صوت رزين: «شكراً لك» ونزع غطاء الصندوق ليكشف عن ذجاجة مشوية باردة ذهبية اللون، وبعض أرغفة مغطاة بالزبد وثلاثة شطائر من فطير محلى بثمار التفاح ودعاها قائلاً: «النهمى».

ترددت سيرينا وواصلت ثنى المنشفة إلى طيات أصغر.

«الآن يجب الا توتر نوبات الندم هذه فى شهيتك» وناولها فخذ دجاجة، حلقت فيه ثم رفعت عينيها إلى عينيه.. وفجأة.. أبتسمت فى وجل وقالت: «أنا جائعة.. جائعة جداً».

بعد برهة قصيرة كانت سيرينا تلعق أصابعها بدون خجل. وقالت بلهجة حالمة: «لقد كان رائعاً. هل أنت متأكد أنك لاتشتهى هذه القطعة الأخيرة من فطير التفاح؟»

فك سين الترموس وهو يقول: «متأكد تماماً.. أظن أنك بحاجة لبعض القهوة».

أومأت برأسها وبدأت تستعد بينما سحب دورقاً زجاجياً من الصندوق البلاستيك وسكب كما وافراً من محتوياته فى فنجان القهوة البلاستيك الذى قدمه لها. وأجاب على نظرتها المتسائلة قائلاً: «براندى.. قد يساعدك على النوم».

جعدت أنفها عندما أرتشفت الشراب الدافىء فى أستغراق. وقالت بإبتسامة متوهجة: «إنه قوى إلى حدماً ولكنها أخذت رشفة أخرى. وأسترخت فى مقعدها وقالت: «هل تعرف ما أشعر به».

«لا... ماذا». ومدد ساقيه الطويلتين وأستند على ذراع مقعده. كان قد أطفأ البطارية ذات الضوء الشديد وأشعل مصباحاً غازياً صغيراً يتدلى من سقف السيارة مصدر ضوءاً خافتاً دافئاً على أرضية السيارة بينما



www.liilas.com

ألقى بظلال على أركانها.

ردت سيرينا: «أنا أحب هذه البقعة من العالم».

بدا لطيفاً وساخراً وهو يقول: «أنا.. سعيد بأن أسمعك تقولين ذلك».

تجاهلت سيرينا السخرية وأرتشفت جرعة أخرى من قوتها وقالت: «نعم أنا أفعل. إنه يجعلني أشعر ـ لست أدري ـ كما لو كنت أستكشف قلب أستراليا. ورغم أننا نعيش في منزل فإنني أشعر كأننا، في رحلة صيد وأن كل يوم له إثارة خاصة. أفرغت فنجانها في فمها وناولته له ليملئه مرة أخرى وهي تقول: «هل تشعر بذلك؟» ودون أن تنتظر أجابته تابعت قائلة: أنت تقرأ عن كوبر جربك، وديامنتينا، وأنهار جورجينا، والأبار الأرتوازية الضخمة، وأشجار الموجاس، وطيور الأمو، وميتيل العظيم» وطرفت عينها عندما أضاف بعض البراندى إلى فنجانها مرة أخرى ولكنها لم تعترض وواصلت كلامها قائلة: «وبيغاوات الككتوه..» وشكرته وهي تتناول الفنجان وأرتشفت بعض جرعات في تأمل ثم تابعت: «ولكن في الواقع فإن الوجود هنا أكثر سحراً».

قال بصوت هادىء: نحن قريبين جداً من جنوب ديامنتينا. إن نهري لوبرجو والبارو هما اللذان يغذيان هذه المنطقة من كوينزلاند».

رفعت سيرينا يدها معترضة وقالت: «في الواقع أنا لا أبالي بذلك. فكلها أرض جميلة بكل ما في الكلمة من معنى. هل لديك نفس الأحساس؟ أم أنك قد تعودت عليه لأنك عشت هنا طوال حياتك؟»

قال سين ببطء: «ليس تماماً» كانت عيناه تمسحان وجهها الذاهل وهو ينبض بالحياة في الضوء الخافت.

«هذا طيب.. هل تعلم أنني كنت دائماً أتوق لرؤية هذه البقعة من العالم. وفي الواقع فأنا أرى كل ما هو غريب في أستراليا مثل طريق بيردز فايل، والنولابور حين تبدو كبساط من الزهور الخلابة وكذلك بحيرة أير وغير ذلك من الأماكن الكثيرة». وتجرعت فنجانها وحدقت ذاهلة في سقف السيارة كما لو كانت تتخيل كل تلك المشاهد. وتثاءبت وأصابها



الفواق في نفس الوقت. قالت في أسى «آه يا عزيزي.. هل تظن أنني قد سكرت».

أهترت شفتاه ثم أعتدل في جلسته وفتح صندوقاً طويلاً أخرج منه لفة غليظة من الحبال، وبعض الأدوات وأخيراً حشيتي فراش مملوئين قطناً وأيضاً بعض البطاطين ووسادتين بغطيها قماش ذا لون أبيض ورمادي. وأعاد الحبال والأدوات كما كانت ثم قال أخيراً: «ربما تكونين على أستعداد للنوم».

قال سيرينا: «في الواقع أنا لا أمانع في جرعة أخرى» وأخذت تراقبه وهو يبسط الفراشين. ودست قدميها تحت فراشها على نحو غير ملائم وقالت: «إنه مريح جداً».

«أنا أنصحك بذلك. يمكن أن تحدث لك اشياء غريبة وأنت فاقدة الوعي بفعل الشراب. وقد تجدى أنك تتمادى في كراهيتي». وتناول فنجانها الفارغ من بين أصابعها وقال: «جربي ذلك.. أرقدي فوق الفراش. فسيكون أكثر ليناً. ولدينا بطانيتين لكل منا».

رقدت سيرينا في أمتنان حيث أحست فجأة برغبة شديدة في النوم. وغمغمت بصوت غير واضح بينما كان يغطيها بالبطاطين. وتثاءبت وقالت: هل تعرف.. كأنك أحضرت منزلاً من المنزل. أنا متأكدة أنني كان يمكن أن أحبك لو لم نلتق في مثل هذه الظروف المرعبة. أنت شخص جدير بالثقة وأنت شريف جداً. وهو ما يعجبني في الناس. حسناً.. لكنني ما عدا هذه المرة فلا أجدني أستطيع الوثوق بك».

ولم تكمل تعليقاتها اللا مترابطة الناعسة. وراحت في سبات عميق وقد توسدت إحدى يديها.

أطال سين النظر إليها وقد رفع إحدى حاجبيه متهكماً. ثم أحكم حولها البطاطين ورقد هو الآخر قائلاً: «أحلام سعيدة.. يا طفلتي العنيدة».

أستيقظت سيرينا ببطء.

ومن خلال فرجة في سقف السيارة رأت أن ضوء النهار يعم المكان ولكنها



www.liilas.com

ظلت راقدة. وعندئذ بدأ عقلها يدرك وضعها الغريب وهى ترقد فى أطمئنان بين ذراعى مخدومها.

هبت على عجل ولم تستطع كبح أنه خرجت من أعماقها.

ونهض سين نفسه وهو يدفع شعره عن جبهته ويحك الظلال الزرقاء على جانبى فكيه قائلاً: «ماذا حدث؟ ما الأمر؟ ألا تشعرين أنك بخير؟». واحتدت نظرته عندما رأى تخضب وجنتيها قالت فى هجة جادة: «أنا بخير».

«لماذا التأوه إذن؟ أوه» وبدرت منه ابتسامة مقتضبة وقال: «لقد كان ذلك مجرد حضن أخوى لتدفئة كل منا. يمكننى أن أؤكد لك ذلك. فبعد ما قلته بالأمس ظننت أنك لن تبالى بهذا».

عضت سيرينا شفتها وحاولت تذكر ما قالته بالأمس. وتذكرت على نحو غامض أنها قد أخبرته بأنها تثق فيه. وتذكرت أيضاً أن البرد قد أشتدت أثناء الليل وأنها قد تنبهت وأرتجفت وأنها بالفعل بسطت يدها..

أندفعت قائلة: «لم يكن ذلك. وإذا كان لك أن تعلم فإننى أشعر كما لو كنت متصلبة كلوح خشبى».

«حسناً... أنا أكره أن يكون الأحساس بالشىء السىء مثل الأحساس بالشىء الطيب» وهز كتفيه قائلاً: «ولكن هذا ليس مفاجئاً. ربما يجب أن تحصلى على بعض التدريب قبل أن تجوبى البلاد على قدميك بعد أن تسقطى من على جوادك فى المرة القادمة».

الزمتها كلماته الصمت التام رغم أنها سددت نحوه نظرة بارقة. وعندما أنزلها من اللاندروفر وأشار إلى أحجره قريبة من الشجيرات ذهب غضبها لدى ما رأته. لقد وقعت عيناها على مشهد متألق فى صفاء الماس. كانت الأرض لاتزال مبللة ولكن كانت السماء وأشجار الموجاس وأشجار السنط ذات القمم المتساوية تبرز فى صفاء زاه مذهل وسط الهواء البارد للصبح المبكر.

التقطت نفساً عميقاً لدى هذا الجمال الذى فوجئت به. وقالت فى



ذهول: «أنا لا أستطيع تصديق ذلك. فى الليلة الماضية كنت متأكدة أننى سأغرق. إين ذهبت كل هذه المياه؟»

«أنا أخبرك. إنها تتشرب أكثر بكثير مما نروبها به». ثم أضاف: «يمكننا العودة إلى المنزل دون إنتظار من ينقذنا».

ورغم ذلك فقد كان سيرهما بالسيارة صعباً فى هذه الظروف التى تشبع فيها كل شىء بالماء. وقد ندرت كلماتها خلال رحلة العودة للمنزل حيث ركز سين على قيادة السيارة بينما أخذت سيرينا تحدق مبتهجة فى الجمال المحيط بها.

ولكن عندما أقتربا من المنزل توقفت عن التحديق بإنبهار فيما حولها. وخطر لها هاجس أن سين لم يكن مزاجه على مايرام. ودفعها ذلك للأحساس بالذنب لما سببته من إزعاج. وحاولت الأعتذار مرة أخرى لكنه أوقفها بإشارة حادة من يده. وقال: «لاتنزعجى بخصوص ذلك. ولكن هناك شىء واحد. ما الذى دفع جواد ريتشارد للفرار؟»

مصمصت سيرينا شفتها. وقالت: «لقد كان... حيوان كانجارو».

أدار رأسه تجاهها وثبتت عيناه على عينيها فيما بدا كأنه دهر. وعندما صرف بصره أخيراً إلى المناظر الطبيعية التى كانا يمران بها أحست بقلبها يخفق فى قلق.

«أنا أقدر أنك تحاولين التغطية على ريتشارد. ولكننى سأقدرك أكثر عندما لاتجديه شيئاً سهلاً إلى هذا الحد أن تقولى أكاذيب».

ردت سيرينا بسرعة: «لم يحدث أطلاقاً أن وجدت من السهل أن أقول أكاذيب» ثم تبسمت خلسة وأضافت فى حذر: «وعلى أية حال فكيف عرفت أننى أكذب».

قال لى كاميرون أنه كان ثعباناً وقال ريتشارد أنه جواناً. وأضاف بوجه خال من التعبير: «لابد أن فرد ما يكذب».

فكرت سيرينا قليلاً ثم قالت ببطء: «هناك أكاذيب. ولم أكن أود الدخول فى مصيدة كهذه لكننى أظن أنك ستدعنى أعالج هذا الأمر



www.liilas.com

بأسلوبى الخاص. لقد كذبت عليك لتأكدى أن ريتشارد ينتظر منى أن أحميه. فهل هذه الكذبة البسيطة ينبغى ذكرها؟»

«سيرينا، طالما أن الأمر يمس ريتشارد، فأنا أفضل أن يكون له ثقة عمياء فيك. وفى الواقع فهذا أمر».

قالت فى إنفعال: «إن جلده لن يفيد فى حل المشكلة».

قطب جبينه متسائلاً: «من قال أننى كنت سأجده؟»

«كا..» وتوقفت سريعاً ثم عاودت الكلام قائلة: «لقد هددت منذ ليلة واحدة فقط بأن تسحق أنفاسى».

«هذا لأنك كبيرة إلى حد يكفى لان تدركى الأمور بصورة أفضل. أو هكذا ينبغى» وفغرت فمها عندما قال بلهجة آمرة: «والآن أنصتى لى قبل أن تأخذك الحماسة وتندفعى لتقولى لى مرة أخرى بأنك تكرهيننى. فأنا أقدر أنك فعلت ما فعلت بدافع من أفضل نواياك. وأنا أيضاً أقدر محاولتك أكتساب ثقة ريتشارد. ولن افعل أى شىء يعطل ذلك بلا داع. ولكننى أريد أن أكون على علم دائم بما يحدث».

أقشعرت سيرينا للهجته التى قال بها ذلك ولكنها كانت صامته.

وناداها: «سيرينا؟»

ألتقطت أنفاسها ثم قالت فى أمتعاض: «حسناً. ماذا سنفعل بخصوص ليلة أمس؟ إنه.. هل تذكر كيف أننى لم أدعه يشاهدهم وهم يعدون الهليوكوبتر للأنطلاق؟ حسناً. بالأمس أراد كاميرون أن يتوقف ويلقى نظرة على سحلية هرمة. ربما رأى ريتشارد ذلك على أنه عدم مساواة ولذلك... ولذلك أنطلق بفرسه. وبدأ الظلام يحل تدريجياً. وقد كان جوادى هو الذى أسقطنى بسبب حيوان كانجارو وأنطلق هارباً. ولكننى متأكدة أنه كان لديه دافع آخر».

«حسناً. أنا أفهم. لن أفعل شيئاً هذه المرة. وعلى أية حال فقد أصابه رعب شديد عندما عرف بأنك ضد ضللت طريقك. ولذلك فستدعها تمر هذه المرة. ولكن يجب أن تنتبهى جيداً تجاه ريتشارد يا سيرينا».



وعدته قائلة: «سأفعل». وأستراحت عندما عرفت أن تغير مزاج سين كان بسبب ريتشارد أكثر من كونه بسببها. وقد يكون أيضاً بسبب زوجة أخية الشاردة التى ستعود عما قريب.

التزمت الصمت طوال المسافة الباقية من الرحلة وهى تحاول تخيل صورة ديلفين وتعجبت.. كيف تكون معاملة سين لها رداً على معاملتها له ولأولاد أخيه. وبالطبع كان ذلك سراً ورغم هذا..

سألها سين: «ماذا بك؟»

أفاقت سيرينا من تخيلاتها وحملقت فيه قائلة: «لا شىء».

وهز كتفيه قائلاً: «لقد أرتعد جسدك بل وبدا عليك القلق الشديد».

تلعثمت سيرينا وهى تقول: «أنا... أنا كنت... حسناً. أنا لا أحب أن أقول لك كذبة أخرى فى هذا الوقت المبكر من الصباح. ولكننى لا أظن أننى يمكن أن أخبرك بالحقيقة لأنه فى الواقع شىء لا يخصنى ولذلك..»

رفع سين عينيه بإتجاه السماء وقاطعها بلهجة جافة: «لا بأس. ها قد وصلنا للمنزل». وتوقف باللاندروفر بجوار سوار الحديقة. وقال بإقتضاب: «إنزلى».

«لن أموت. هناك بعض الأمور التى أريد الأطمئنان عليها أولاً. هل تفعلين ما يقال لك لمرة واحدة يا سيرينا».

وفعلت فى صمت مؤلم ولم تر أسنانه تصر فى غضب قبل أن ينطلق باللاندروفر مسرعاً مديراً إطاراتها بشدة فى الطمى.

مستند ليلاس الثقافية
قمر الليل

# الفصل الرابع

## (أمرك يا والدى)

لما أثارا أشمئزاز سيرينا أن السيدة دينيى أصرت على معاملتها طوال اليوم على أنها مريضة.

أعترضت سيرينا قائلة: «ولكننى بخير» كانت السيدة قد أمرتها بأخذ حمام دافىء أضافت له بنفسها مزيجاً غامضاً من المساحيق.

قالت السيدة دينيى: «إذا كنت بخير فلماذا تتوقفين هكذا للتفكير قبل إتخاذ خطوة؟ والآن أفعلى بالضبط ما أقوله لك يا سيرينا» ثم هددتها قائلة: «وإلا فإننى سأستدعى سين للتعامل معك».

أسرعت سيرينا بالأذعان.

ولكن بمجرد أن تمددت فى حوض الأستحمام وجدت أفكارها تسير فى منعطف غير متوقع.. وتساءلت هل لى ذلك الجسد الصبيانى الفج؟ أم أنه يقصد... الجو العام المحيط بى؟

وعندما خطت أخيراً خارج حوض الأستحمام توقفت وهى تجفف جسدها، وأخذت تتأمله فى المرآة بعيون ناقدة. لم يكن فاتناً ولكنه رقيق.

وقالت متأملة: «لقد قال ذات مرة شيئاً عن جسد صغير جميل. فلابد أنه جسدى. أتراه ذلك أم أنه يفضل نسائه أطول وأكثر إمتلاء... ربما..»



وقفت غارقة فى أفكارها برهة من الوقت ثم أغمضت عينيها عندما أعتراها أحساس غريب بالأرتباك. كان إحساساً غريباً ولكنه كان أيضاً مألوفاً على نحو غريب. وفجأة أسرعت بارتداء ملابسها وقد توردت وجنتاها.

كان رينشارد وكاميرون يصران هما الآخران على صحبتها كلما سمحت لها دينيى. كانا يقومان لها ببعض المهام البسيطة بينما أسترخت هى فى فراشها. بل وأبدى رينشادر أستعداده أن يقرأ لها قصة.

تأملته سيرينا خفية وهو يقرأ فى تعثر. لم يكن هناك شك فى أن لديه أحساس بالفهر. وبين حين وآخر كان ينظر إليها فى ترقب كما لو كان القلق يقتله. وظل كاميرون متشبثاً بيدها وبدا كما لو كان يريد أن يلقى بذراعيه حول عنقها.

وعندما أغلق رينشادر الكتاب قالت فى صوت رزين: «أعتقد أننا بحاجة لأن نتحدث يا أولاد» وقفزت نظرة رينشارد الحدقة من الكتاب إلى وجهها. وسألها مباشرة: «هل أخبرته؟»

«كان يجب علىّ. لقد كان يعرف أن أحدنا يكذب حيث أختلفت رواياتنا لما حدث. ولكنه لم يفعل شيئاً هذه المرة». وتوقفت برهة ثم تابعت: «لقد كان غاضباً جداً بسببى».

قطب رينشارد جبينه قائلاً: «بسببك؟»

«نعم. فكما تعرف فإن عملى هو العناية بكما وليس أن أجعل نفسى أضل الطريق وأسبب كل هذه المتاعب للجميع».

أعترض رينشارد وقال فى أنفعال: «ولكن هذا ليس عدلاً».

إنه كذلك بوجه ما. ولكن سبب كل ذلك أساساً. هو رغبتك فى مخالفته... يعنى أننا غير متوافقين وأننى لا أؤدى عملى على الوجه الأكمل. هل تدركان ذلك؟ وإذا أستمر هذا فإن سين سيفكر فى التخلص منى وإحضار مربية أخرى». وحدقت فيه سيرينا وقالت: «هل ذلك... ما تريده؟»



www.liilas.com

قال رينشارد في ارتباك: «أنا... لا» وأضاف بصوت مبحوح: «بالطبع لا». وأستدار فجأة إلى كاميرون وسأله: «لماذا لا تذهب وتحضر لسيرينا فنجاناً آخر من القهوة. لقد برد هذا الفنجان».

بدا على كاميرون التردد ولكنه ذهب بعد تحذير صارم بألا يتحدث في أي شيء حتى يعود. وضاقت عينا سيرينا عندما أنزلق رينشارد عندما أنزلق رينشارد من على السرير وأغلق الباب بخفة. وسألته عندما عاد: ما هذا الذي لا تريد أن يسمعه كاميرون؟»

تنهد رينشارد بقوه. وقال في تهكم شديد: «لقد فعلت... أقصد عندما سمعنا أن فتاة ستأتي لتتولى رعايتنا» ثم توقف ونظر لها في عجز.

قالت بعد برهة: «أعتقد أنني أفهم. أظن أن هذا هو سبب وضع الضمادع وكل هذه الأشياء في فراشي؟»

تورد وجه رينشارد. وقال بحزن: «لقد ظن سامي بانكس أنك سترحلين عندما تضع في حذاءك حيوان أبوبريص. ولكنك لا تبدين مثل باقي البنات أليس كذلك؟ بل إنك أحتفظت به كحيوان أليف».

لوت سيرينا قسمات وجهها وقالت: «حسناً. أنا آسفة لتحبيب آمال سامي بانكس. وتذكرت الزيادة المطردة في أحجام وأعداد الحيوانات البرية التي كانت قد أخذت تستوطن حجرتها. وتابعت قائلة: ولكنني سأقول لك شيئاً يا رينشارد. إذا وجدت غله شارده هنا بدءاً من الآن فلن أكتفي بلطم أذنيك ولكن أذني سامي بانكس أيضاً. ولا تظن أنني لن أفعل ذلك. أنت لم ترجنوني بعد».

حملق فيها رينشارد وهو يستوعب قولها. ثم أشار إلى السقف وقال: «حسناً وماذا عن حيوان أبوبريص؟»

هزت سيرينا كتفيها وقالت: «يمكنه أن يبقى. فأنا أستطيع التعامل معه. لقد كنت تريد إرهابي في البداية لأنك رأيت نفسك أكبر من أن تكون لك مربية من الفتيات». حسناً.. ولكن ماذا عن الآن؟ هل تخطط لجعل سين يتشاجر معي ويستغني عني؟»



بدا رينشارد مرتبكاً وقال: «في الواقع أنا لم أخطط لذلك... لقد كنت غاضباً بالأمس وودت لو أنك ترحلين».

«لأنني تركت كاميرون يتوقف ليشاهد السحلية المرمة بينما لم أتوقف لأجعلك ترى الهليوكوبتر أثناء اعدادها للطيران».

مضغ رينشارد شفته وقال: «لم يكن شيئاً عادلاً تماماً. ولكنه... كاميرون».

«كاميرون؟»

قال بلهجة قاسية: «نعم. إن عاطفته تجاهك تزداد بمرور الوقت. هو يريدك أن تبقى. ولكنني سمعت الحداد يقول لبيل أن فتاة مثلك سوف يصيبها الأعياء خلال شهرين وهو لم يعرف ما يفكر فيه سين.

لقد كان كاميرون... بعد رحيل أمنا. يدفن رأسه في وسادته وينخرط في البكاء. وهو لا يظن أنني أعرف. ولذلك فماذا سيحدث بعدما يزداد حبه لك ثم تتركينا؟»

وحدقت عيناها البنفسجيتان في عينيه الزرقاوين المملوئين بالغضب وراحت تفكر فيما قاله. ثم قالت بصوت هادىء: «أنا أفهم ذلك يا رينشاد». أود أن أخبرك بأنني أخطط للبقاء أعواماً. وبلا شك سأبقى أكثر من مجرد شهور قلائل. ولكنني لا أستطيع ضمان ذلك. فيمكن أن تتغير الأمور».

«هل ستفعلين حقيقة؟»

تبسمت ساخرة وقالت: «نعم سأفعل. ومن ناحية أخرى فإن كاميرون سوف يكبر تدريجياً وسيجد أنه لا يحتاج كثيراً إلى شخص مثلي. وسوف يكون قادراً على إدراك الأمور بدرجة أفضل فيما يختص بوالدتكم» وأضافت بعناية: «وأنت أيضاً يمكنك أن تدرك ذلك. ففي هذه الأثناء فإن أفضل شيء تفعله بحقا هو كل ما يمكننا عمله».

وعندما أحس بعودة كاميرون حذرها رينشارد مسرعاً بقوله: «لا تخبريه بأني قد قلت لك ذلك».

«بالطبع لن أفعل. هل ستحاول... أن تكف عن المنازعات والأزعاج؟»



www.liilas.com

هز كتفيه وقال: «سأحاول. لا يمكننى أن أعد بأى شىء».

لم تجد سيرينا بدا من الأقتناع بذلك لأن كاميرون دخل وقد برز لسانه قليلاً وهو يضغط عليه لشدة حرصه على عدم إراقة القهوة.

تناولت منه فنجان القهوة وقالت: «ما الداعى لذلك.. شكراً لك يا كاميرون... هل فعلت كل ذلك بنفسك؟». وصدرت منها آهة أستحسان خافته عندما أومأ كاميرون برأسه وهو ينسلق السرير ليجلس إلى جوار شقيقه. ولكنها أرتشفت الشراب الفاتر الباهت بإنفعال مصطنع.

فى الصباح التالى أحست بتحسن كبير ولكنها كانت قلقة بعض الشىء لأنها لم ترسين منذ أن أنزلها بجوار سور الحديقة. وأعلن بيل أنه سيأخذ التوأمين سامى بانكس فى نزهة بالسيارة وافق عليها سين وكان يجب عليها أن تستريح فترة الصباح.

أعترضت قائلة: «لكننى بخير تماماً؟»

قال بيل بإقتضاب: «أوامر مديرين».

دفعها ريتشارد وكاميرون لإدراك أنها يجب أن تستريح وتسترخى تماماً. كانوا جميعاً من نفس الرأى.

وتمتمت: «يمكننى تخيل... أن... وبمناسبة الحديث عن المدير فأين هو؟ إنه لم يتناول العشاء فى الليلة الماضية».

قال بيل: «لقد عاد للبيت متأخراً. وسيقضى معظم اليوم بالخارج».

ولم تجد بداً من أن تقنع بهذه التعليقات من بيل.

لم تقبل السيدة دبنبى جهودها للمساعدة فى أعمال المنزل. وقالت لها: «إذهبى... وأقرأى كتاباً يا سيرينا. أنت تستحقين قضاء بعض الوقت فى الراحة يا حبيبتى».

ولكن ما حدث أن سيرينا التى تهوى القراءة أصلاً لم تستطع العثور على كتاب واحد يثير أهتمامها. ولذلك قامت بترتيب أدراجها وغسلت بعضاً من ملابسها الداخلية ذات الألوان الجميلة. ثم جلست فى الجزء الخاص بغرفتها من الشرفة. إنتابها إحساس حاد بالوحدة وهى تحدق عبر



الحديقة. وأحست كما لو أن الجميع يأبون أن يكون لهم بها أية صلة.

وهمست لنفسها: «لقد كنت مصدر ضيق له. يمكننى أن أقول ذلك. أقصد أنه وجدنى مملة جداً. هل هذا هو أسلوب عقابى؟ لقد كنت أود الذهاب فى نزهة مع بيل والأولاد بدلاً من ذلك».

وأستغرقت فى خيالاتها المحبطة. ولم تسمع صوت حوافر الخيول وهى تعدو تجاه البوابة الرئيسية التى كانت تقع على الجانب الآخر من المنزل. ولم تسمع صوت الأقدام وهى تخطو خلال المنزل ولا غمغمة الأصوات. ولم تدرك أن مخدومها قد دخل غرفة نومها. وعبر الحجرة دون أن يحدث أى صوت. ووقف لدى الباب الداخلى المؤدى للشرفة. وأخذ يتأمل وجهها الحزين وقد رفع أحد حاجبيه.

ولم تدرك وجوده الا عندما قال: «ما هذا؟ أنت تبدين كأنك تحضرين قداساً سرياً». ووثبت سيرينا وقد أمتقع لونها. وقالت متلعثمة: «أنا... أنا لم أنتبه لوجودك».

ولوى شفتيه قائلاً: «لقد كنت مستغرقة فى التفكير. هل من المسموح لى أن أعرف فيما كنت تفكرين؟»

عضت سيرينا شفتها وقالت فى وقار: «إذا كان لابد. فقد كنت أفكر فى أنك... أنك قررت مقاطعتى».

وأنفجر ضاحكاً وقال: «طفلتى العزيزة. ماذا على الأرض يدفعنى لذلك؟»

قالت فى لهجة جادة: «لم تكن ودياً معى تماماً صباح الأمس. أنا أدرك تماماً كل المشاكل التى سببتها لك. ولكننى أعتذرت وحاولت أن أفسر ما حدث. ولذلك..»

قاطعها ساخراً: «لقد قبلت كل أعتذاراتك وتفسيراتك. وإذا لم أكن... ودياً معك تماماً فى تلك الأثناء فذلك لأننى كانت لدى أشياء أخرى تشغل تفكيرى. كيف أنت؟ هل يمكنك ركوب الخيل الآن؟»

قالت سيرينا بإرتباك: «لكن... أنا بخير».



www.liilas.com

قال بملء فيه: «في آخرة مرة قلت ذلك لم يكن كلامك صحيحاً تماماً».

وردت سريعاً: «حسناً. أنا بخير الآن. لم أعد أشعر بتيبس في أعضائي يعوقني عن الحركة. ولقد سقطت من فوق ظهور الخيل عدداً من المرات يجعلني لا أتلهف على العودة لركوبها... إذا كان هذا ما يدور بفكرك. وفي الواقع يمكن أن أعود في أي وقت لركوب..»

وقاطعها قائلاً: «ليس هذا بالضبط ما يدور بفكري. ولذلك فيمكنك أن توفري كلامك.. وسخطك. كل ما عليك إرتداء ملابس ركوب الخيل على أن ترتدي تحتها ملابس السباحة. أحضري منشفة معك وفايلينى عند البوابة الأمامية خلال خمس دقائق». دار على عقبيه وخرج.

طرفت عينا سيرينا وفتحت فمها لتعترضه ولكنها غيرت رأيها. لقد كان قد ذهب على أية حال. ورغم ذلك فقد كان وجهها خالياً من أي تعبير عندما وصلت إلى البوابة الأمامية بعد ستة دقائق ولكنها كانت لاهثة الأنفاس.

كان هناك جوادين مربوطين إلى سور الحديقة الذي إتكأ عليه سين وقد ثنى ذراعيه أمام صدره. كان أحد الجوادين هو حصانه الأسود الطويل. ولكن الفرس الآخر كانت هي التي أنستها عزمها على أن تبدو باردة وغير متجاوبة. كانت فرساً ذات لون بني براق وعيون ذكية رقيقة. وخرجت كلمات سيرينا رغماً عنها: «أوه. اليست رائعة الجمال» وتابعت وهي تمرر يدها على الأنف الحريري: «من أين أتت؟»

«لقد كانت هنا طوال الوقت ولكنها كانت في مكان آخر من المقاطعة. هل أعجبتك؟» لم تكن سيرينا تنصت له بل خرجت شهمانها وهي تداعب شعر رأس الفرس. ولكن كلمات سين التالية هي التي جذبت إنتباهها.

«حسناً. إنها لك».

سحبت سيرينا يدها سريعاً كأنما قد مستها النيران. وأتسعت عيناها البنفسجيتان في ذهول. وتلعثمت وهي تقول: «لي.. لك.. كيف يمكن أن تكون لي؟»



إبتسم وقال بنوذة: «الأمر بسيط جداً. لقد تم تخصيصها لك وحدك طوال إقامتك معنا لكي لا تضطري إلى ركوب خيول حقاء عنيدة وكل همها في إلتهام طعامها. ولكن سيكون عليك أن تعتني بها بنفسك. هل تريدين تجربتها؟»

وبعدما أنطلقا بالجوادين في جولة رائعة وأخذ يسيران جنباً إلى جنب أستطاعت سيرينا أن تعبر عما يدور بداخلها تماماً.

قالت: «إن لدي أحساس بغيض».

رمقها سين ساخراً وقال: «أوه».

وأوضحت قائلة: «للتفكير في تلك... الأفكار السلبية تجاهك فيما سبق».

ولوى شفتيه وقال: «أوه. لا تنزعجي بخصوص ذلك. لقد... أعتدت عليه تماماً الآن».

«هذا لا يؤدي إلا إلى زيادة الأحساس الذي أشعر به».

قال: «يا إلهي. لقد كنت أفكر في شيء آخر هذا الصباح. شيء يجعلك تشعرين بتحسن دائم» وهز كتفيه قائلاً: «ولكن إذا كان هذا هو كل ما أحققه..»

نظرت له سيرينا في أرتياب وقالت: «والآن أنت تعذبني».

وغمغم قائلاً: «أقتلي هذه الفكرة».

قالت: «ماذا الذي يجعلني أشعر بتحسن؟» وربتت على عنق الفرس قائلة:

«بالمناسبة... ما أسمها؟»

سألي. وبالمناسبة هل سبق أن رأيت مجاري جافة وقد أمتلئت بمياه الأمطار وحولها أشجار الكوليبا؟»

قالت سيرينا ببطء: لا. ونظرت فيما حولها. كان يسيران وسط غابة من أشجار السرو. وقد أمتدت خلفها مساحات لا نهائية مغطاة بالأعشاب. أعشاب مبتشيل وفايندرز التي تشكل مراعي ممتازة.



منتديات ليلاس الثقافية

قال سين: «إذن فسوف أريك! إحداها». وأنطلق بجواده وتبعته بقرسها. وبعد حوالى خمس عشرة دقيقة وصلا إلى سلسلة غير متصلة من العيون التى كانت تمتلىء بالمياه وقد تزاحمت الطيور حولها وعلى أشجار الكولبيا المحيطة. كما أنتشرت على أشجار الأوكالبتوس العتيقة ذات العقد الكثيرة والجذوع الضخمة والأوراق الرقيقة.

سلب جمال المشهد لب سيرينا. وأستغرقت فى صمت ذاهل. وأخيراً قالت فى صوت منهب: «لم أرى شىء مثل ذلك على الأطلاق».

«هل ترغبين فى السباحة؟ هذه عميقة إلى حد ما. وقد تكون باردة ولكن ذلك سيكون مفيداً لكدماتك».

وترجلا عن جواديها وربطاهما إلى إحدى الأشجار. وملأ سين قبعته وسقاهما. ثم فك أحد جيبى سرج جواده وأخرج غلايه لإعداد الشاى لا يسافر بدونها راع واع. ونصب حاملاً ذا ثلاثة أرجل. وقال: «حسناً. عندما تنتهى من السباحة سيكون الماء قد غلى. أراهن أنى سأهزمك فى السباحة».

بدا الماء بلون الشاى الرائق إلى حد ما ولكنه بدا رائعاً عندما توغلا فيه. وعندما غاصت سيرينا فى الماء لأول مرة كادت أنفاسها تزهق. وشهقت قائلة:

«كنت أظن أن الماء يتفجر هنا أحياناً وهو ي... ي.... يغلى؟»

«إن هذا الماء لا ينبع من بئرا وتوازى بل يسقط من السماء. وتزيد الليالى من برودته».

«أنت على حق... أرجو أن تقدر كدماتى ما أفعله لأجلها».

وضحك.. وعندما خرجا أوقفها ساكنة بزى الاستحمام البكينى الأزرق وأخذ يتفحص جسدها.

وهمم وهو يلمس مكان إحدى الكدمات على فخذها وأخرى على ذراعها وقال: يتضح من ذلك أنك سقطت على جانبك. من حسن حظك أنك لم تصابى بكسور». ثم ناولها منشفة قائلاً: «جففى جسدك



حتى أعد الشاى».

قالت بإبتسامة شيطانية: «أمرك يا والدى».

ورد فى هدوء: «كل ما فى الأمر أننى أحب التحقق من كل مسئولياتى» ثم تابع قائلاً: «ما رأيك فى بعض المهدئات المنعشة مع الشاى؟»

قهقهت قائلة: «رائع».

وجلسا فى ضوء الشمس الذى يتخلل الأشجار وهما يحتسيان الشاى الحلى الحاد المذاق. وحكى لها عن مختلف أنواع الطيور التى ترد هذه العيون والجداول.

«وفى بعض المواسم الطيبة قد يمكنك رؤية طيور البجع».

وصاحت: «البجع».

«نعم. وهناك أيضاً طيور البروانس. ولكن هل تعرفين بخاوات ككتوه المبحور ميتشيل».

«لقد عرفت عنهم بعض الشىء أثناء الدراسة ولكنى لم أر أياً منهم حتى الآن. ولكن الوانهم وردية وبيضاء. أليس كذلك؟»

«نعم. وللأسف فإن عددهم يتناقص بإستمرار... هل تريدين مزيداً من الشراب؟»

«شكراً يا سين... كان يجب أن نحضر التوأمين».

«لقد رأيت أنك تستحقين أجازة بعيداً عنهم. فحتى المربية المتفانية التى لا تكل تحتاج أجازة».

«ومعاملة رائعة» وانقطعت نفساً عميقاً وهى تنظر حولها قائلة: «لا أدرى ما أقوله سوى... شكراً لك».

كان سين يجلس القرفصاء واضعاً رجلاً فوق أخرى وقد برز منظارى أستحمام من بين شعره المندى الذى لم يهتم بتجفيفه. ولاح شبح أبتسامة على شفتيه وهو يقول منهكما: «على أية حال فأنت كما تعلمين... طفلة غريبة».

ترددت سيرينا. ورجعت آخر قطرات الشراب بكوبها فى عصبية ثم قالت:



قمر الليل

«أحياناً أتمنى أن تعاملنى كأمرأة».

ساد الصمت والسكون حتى قال: «المرة الوحيدة التى فعلت فيها ذلك بدا عليك ذهول غريب وتشاجرت معى بشدة».

فغرت سيرينا فمها. وأندفعت قائلة: «هل تقصد... أوه أنا لا أقصد شيئاً كهذا على الأطلاق. لا... أنا أقصد. أنا لا أريدك أن تُقبلنى أو أى شىء كهذا» والتهبت وجنتاها وحاولت مواصلة الحديث ولكن تداخلت كلماتها على نحو غير معقول.

«أعاملك إذن كإنسانه راشدة. هل هذا ما تقصدين؟»

حملقت فيه سيرينا وقالت بإرتياح غامر: «أوه... أجل» ثم أضطربت مرة أخرى وقالت: «أرجو الا تظن أننى أنتقد هذه المعاملة الرائعة. أقصد أنه ليس شيئاً طفولياً أن أستمتع بشىء كهذا. أليس كذلك؟ أنا...» وصمتت فجأة.

قال بإستغراق: «ربما لا... فرغم ذلك فإن هذا السرور التلقائى لدى الأشياء الصغيرة جداً هو شىء مختلف».

«هل تقصد... مختلف عن نوع النساء اللاتى تعرفهن؟» وفجأة نسيت سيرينا أضطرابها وبدا عليها الشغف الشديد وقالت: «هل تعرف كثيرات منهن؟»

سدد إليها سين نظرة بارقة ساخرة وقال: «عدد كاف».

قالت بجدية: «حسناً. أنا لا أريد التطفل. ولكننى تعجبت بخصوص ذلك؟ عندما قابلتك لأول مرة تخيلت أن هناك الكثيرات منهن» ثم أسرعت تقول بلهجة مؤكدة: «طبعاً فى نفس الوقت».

قال متشدقاً: «شكراً لك».

وتابعت قائلة: «أو على الأقل إحداهن جادة». وتجمد جبينها فى أرتباك عندما قالت: «ولكن لا توجد... أى واحدة».

سألها: «كيف عرفت ذلك؟»

«إذا كانت هناك واحدة على نحو جاد فعلاً. أقصد أنك لو كنت تحب



بجدية فبالتأكيد كنت ستتحدث عنها... تكتب لها... أو.. تكون معها» ثم سألته فى قلق واضح: «أم أنها حالة حب من طرف واحد؟»

حدق فيها بوجه جامد خال من التعبير تماماً لما يقرب من دقيقة كاملة. ثم قال فى صوت رقيق بلغة الحزن: «عزيزتى سيرينا... لقد أدركت أننى أتعدى المجهول عندما أعطيتك الوظيفة. ولكننى حتى لم أتحقق من أى جزء منه».

تورد وجهها خجلاً وقالت: «أنا آسفة».

قال بلهجة آمرة: «لا تتكلفين النزعت معى على طول الخط».

سألته فى أرتياب: «إذن فأنت لا تشعر بالأهانة».

أبتسم فجأة وقال: «أنا لست متأكد تماماً. لقد فهمت أنك لا تتفيلين فكرة أننى غير مرتبط بواحدة إذا كان هذا ما تقصدين؟»

هزت سيرينا كتفيها وقالت: «إنه يبدو وإضاعة للوقت. إن لك دخلاً ضخماً وإذا كنت تخطط للإنجاب.. فأعتقد أنه خطأ أن تنتظر طويلاً جداً... رغم أننى لا أعرف عمرك بالضبط».

قال فى أدب جم: «أنا فى الثانية والثلاثين. فأنا كبير إلى درجة تكفى لأن تكون إحدى قدماى فى القبر».

قالت بضحكة خافتة: «أنت الآن تعذبنى».

«أنا آسف لم أقصد ذلك».

وعقبت قائلة: «إن ذلك يرضيننى» ولكن عندما تابعت النظر فى سغف واضح ومنوقع أضاف فى سخرية: «أعتقد أننى سأحتفظ بحقى فى خصوصية حياتى العاطفية يا عزيزتى الوصيفة. أنا أفضل أن يكون الأمر بهذه الصورة. وعلى أية حال فهذا حق تقاتلين من أجله بشدة عندما يتعلق بحياتك العاطفية».

سألت سيرينا: «ما هى الحياة العاطفية؟»

«أليس لديك أياً منها؟»

قالت فى حدة واضحة: «ليس الحب» ثم تورد وجهها وصرفت نظرها



ممنوعات ليلاس التعارفية
قمر الليل

بعيداً.

بعد برهة قال: «أظن أنه لا فائدة من سؤالك عن التفصيلات».

وهمست: «لا» ثم أشرق وجهها وصوتها وقالت: «أنت لم تسألني عما تم بيني وبين ريتشارد؟»

قال بلهجة جافة بعض الشيء: «حسناً... أستمري... إني منلهف».

وحكت له ما جرى بينها وبين ريتشارد.

قال ببطء: «أنا أفهم.. هل تظنين أنك قد أقنعته؟»

لوت سيرينا قسمات وجهها وقالت: «من الصعب أن يقال ذلك بخصوص ريتشارد. لكن أظن أنه في على الأقل وجود.. درجة من التعبير عما به فسيخفف ذلك عنه. هل..» وتوقفت فجأة قبل أن تتابع: «هل والدتهم تعي هذه المشاكل؟»

«إن ديلقين ذات عقل ضيق إلى حد غريب» كان صوته بارداً لدرجة أن سيرينا أحست بقشعريرة داخلية بينما تابع قائلاً: «أعتقد أن الوقت قد حان.. لأعطاءها فكرة عن ذلك».

«يجب أن تكون حذراً جداً. أليس كذلك؟» وأتسعت عيناها وبدا عليها بعض من الترقب وتابعت: «أنا أقصد أن التوأمين لو ظنا أنكما... تتشاحنان أو أي شيء من هذا القبيل فيمكن أن يزيد ذلك من إحباطهم».

«هذا هو ما يدفعها للأعتقاد بأنها تضعني فوق برميل بارود ونظر بعيداً إلى ضياء الشمس وضاقت عيناه وفجأة أصبح فمه جامداً منجهماً.

قالت سيرينا ببعض العجز: «أوه... يا عزيزي. على كل أنا آسفة لأنني ذكرت ذلك. ولكنك حكيت لي عنه».

قال في ضجر: «بالطبع لابد أن تخبريني».

قال في حزن: «حسناً. هذا ما ظننته. ولكن كان بإمكاني الأنتظار حتى لا أفسد هذا الصباح الجميل».



نظر لها بغضب وقال: «سيرينا» ثم أسترخت قسماته فجأة وتابع: «حسناً. إننا لن نفسد صباحك الجميل. سوف نركب خيولنا عائدين. وسوف أريك مزيداً من العجائب. ولدينا أسبوع قبل أن تصل ديلقين. ولذا فيمكننا أن نفعل فيه أفضل ما يمكننا». وعندما رأى نظرتها المرتابة أضاف: «لا تنزعجي... فلن أفعل أي شيء يصيب التوأمين بالأحباط».

خلال هذا الأسبوع أدركت سيرينا العديد من الأشياء، فقد أحست فعلاً أنها فرد من العائلة لسبب واحد وهو أنها كانت تستمتع بالحياة. وسبب آخر أن ذلك لم يحدث منذ زمن بعيد. ولكن كان هناك شيئاً ما حيرها في هذا الأسبوع الهادىء. إذ حتى ريتشارد فقد كف عن إحداث أي إزعاج كانت تشعر كأنها تقف على شفا شيء ما. وعلى سبيل المجاز فيمكن القول بأنها كانت تكتم أنفاسها. كانت تحاول فهم سبب تلك الحالة الغريبة من الترقب الذي ألم بها بينما كانت تقوم ببعض الأعمال مثل مساعدة السيدة دينبي في صنع الخبز، أو أن تلعب مع القط الصغير الذي عثر عليه التوأمان وقدماه لها. وشكت أن يكون ذلك تكفيراً عن آثام ريتشارد.

وعندما أحضراه اندفع كأنه كرة من الزغب الأبيض والأسود وقفز من صندوق الأحذية الذي حبساه فيه. وأخذ يموء مهتاجاً بينما بدت كل أسنانه الحاده ولسانه الوردي.

سألتها سيرينا ضاحكة: «أين عثرتما عليه؟»

قال كامبرون بمرح: «في الأصطبلات».

وأقبل عليهم سين بينما كانوا يجلسون القرفصاء أمام السرير على أرضية غرفة نوم التوأمين وقد تزاحموا وتداخلت أعضاؤهم كأنهم لغز من الصورة المقطوعة المتداخلة الأجزاء.

وسأل: «ما هذا؟»

إندفع ريتشارد قائلاً بتلقائية: «لقد وجدناه في حظيرة العلف».



www.liilas.com

قال سين: لقد سبق أن أوضحت لكما أن المكان يمكن أن يكتظ بالقطط ... ألم أفعل؟»

قال كاميرون: «هذا فط ذكر» ثم تابع فى توسل: «يجب أن ترى كيف يحب سيرينا بينما كل ما يريد أن يفعله بنا هو أن يخمشنا بأظافره».

«هل تحبه سيرينا».

تدخل ريتشارد قائلاً: «إنها تحادثه أحاديث طفل رضيع وقد صنعت له سلة خاصة فى حجرة نومها وهى تطعمه كل ثلاث ساعات بقطاره (بزازة) لأنه يزال صغير على ما أظن».

سأل سين فى استسلام: «وماذا سميته؟»

انفرجت شفتا سيرينا وهى تتابع الحديث وقالت: «أوه ... يا عزيزى. هل فعلت شيئاً خطأ. لقد ظننت أن بأمكانى تدريبه على حفظ فراشى نظيفاً من الفئران والضفادع» وأضافت سريعاً: «إذا ما عادت هناك أية حاجة لذلك مرة أخرى».

«هل أفهم أنك تأخذين جانب ريتشارد وكاميرون يا سيرينا؟»

ابتسمت له سيرينا ابتسامة جذابة. وكنوع من الأجابة رفعت القط الصغير ليراه. كان حجمه يزيد بالكاد عن كفها. وقالت: «أظن أننى يمكن أن أسميه روبرت. بالطبع فى حالة ما إذا سمحت له بالبقاء».

قال سين متهكماً: «روبرت؟»

«أنا أعرف أنه أسم رنان بالنسبة لقط صغير كهذا. ولكننى ظننت أن ذلك قد يشجعه على النمو وعمل الأشياء الطيبة».

لوى سين شفتيه وقال: «إذا لم تكن هذه رشوة فلا أدرى ماذا تكون. حسن جداً. يمكنه أن يبقى. لكننى أرفض أن أناديه روبرت حتى أرى تبريرا لذلك؟»

وطوق التوأمان عنقه فى سرور بالغ. وعندما رأت سيرينا وديمبتها مع عمها أدركت أنها ستحظى بإنقضاض آخر من تلك الهجمات اللاهثة.

ورغم ذلك فعندما رقدت فى فراشها بالليل رأت أن مفادتها لروزوود



أصبحت أمراً يزداد صعوبة على نحو مخيف.

ثم كان يوم.. يجب أن نعيه جيداً فى ذاكرتها.

إنه اليوم الذى عادت فيه ديلفين. لقد ذهب بيل إلى سيدنى لإحضارها. وبدا لسيرينا أن الجميع ــ فيما عدا سين ــ يبدو عليهم القلق الشديد والتوتر.

ولكن عندما جاءت الساعة المنتظرة ووقفوا تحت المطلة يرقبون هبوط الطائرة ونزول راكبتها أدركت سيرينا أن ديلفين تختلف عن كل الصور التى رسمتها فى مخيلتها لوالدة التوأمين. تلك الصور التى شابتها فكرة أنها لابد منحجرة القلب بحيث لا تتحدث بأقل الكلمات.

كانت ديلفين جميلة. كانت طويلة ذات شعر أشقر مخطط بلون رمادى وذات قوام فاتن أبرزه سروالها الجينز والبلوزة البيضاء فبدا كأنه قوام عارضة أزياء.

عندما قفزت من الطائرة رفعت رأسها فجأة والتقطت نفساً عميقاً فى أعجاب. ووجدت سيرينا نفسها تندفع فى دوامة أخرى من تلك الأفكار المفاجئة. ورأت أنها تبدو كمزيج متألق من الزينه والجمال مما قد يروق لسين.

عندئذ كان التوأمان يجذبان يدى أمهما ويتجهان بها إلى سيرينا. قالت ديلفين بأنفاس لاهثة: «مرحباً يا سيرينا.. لقد كنت أتطلع للقائك». كانت عيناها الخضراوتان الصافيتان تفيضان بالدفء والود.

كان من المستحيل الا ترد سيرينا بالأبتسام.

وعندما أستعدت سيرينا للنوم فى ذلك اليوم وجدت نفسها تمضع شفتها بأستغراق وهى تحاول ترتيب الأمور فى عقلها. مثل.. كراهية سين والسيدة دينبى لديلفين؟ هل يمكن أن تكون إنسانه بمثل هذه الدفء والود منحجرة القلب بالدرجة التى يظنانها هل سمحا لنفورهما التلقائى من طلاق زوجين غير متلائمين أن يؤثر على حكمهما؟

وتمتمت تحدث نفسها: «حسناً.. هناك نقطة غير طبيعية فى تركها لأبناءها هنا. ولكنها شرحت ذلك لى» وتذكرت الحديث الذى داربينها



www.liilas.com

وبين ديلفين بينما كانا يستعدان للعشاء ...

كان تقف في حجرتها بقميص داخلي من الحرير العاجي اللون. وسمعت طرقه خفيفة على بابها.

فلما سمعت صوت ديلفين تقول: لا أحد غيري. هل يمكنني الدخول؟»

غمغمت سيرينا ثم أجابتها بالدخول. ونظرت فيما حولها بحثاً عن رداءها ولكنه كان لا يزال معلقاً في خزان ملابسها بينما دخلت ديلفين فقالت: «أوه.. آسفة».

«لا... لا شيء. هل هناك ما يمكنني عمله لك؟»

قالت ديلفين مبتسمة: «لقد أتيت فقط لنبادل الحديث معك. إن بيل يرعى الولدين ولذلك فقد يمكننا أن ننعم بدقائق قليلة من الهدوء والسلام. هل تعرفين..» وتوقفت وتأملت سيرينا ثم تابعت: «أنت رائعة الجمال تماماً».

أمتقع لون سيرينا وتلعثمت قائلة: «سين... شكراً لك... ولكن..»

قالت ديلفين بأعجاب: «لا... أنت كذلك».

«حسناً. للأمانة... فقد ظننتك... لدرجة أنني كنت أعجب من أستطاعتي تعلم أن أكون... أنيقة ورقيقة».

صاحت ديلفين في حزن: «أو.. يا إلهي» ألقت بنفسها على أحد المقاعد قائلة: «أنت تجعلينني أشعر وكأني أناهز المائة عام».

«أنا لم أقصد ذلك. إنه مزيج تلقائي من الأناقة الواضحة..»

«على كل فإنه شيء جميل أن تكوني... في الثامنة عشرة؟ نعم... الثامنة عشرة وأن تكوني غضة وليس بك أي عيب. وهذا ما دفعني إلى ما... لقد جئت حقيقة لأدراك» وتغير وجهها وقالت بلهجة جادة: «لابد أن تعجبي بخصوص مهمتك هنا يا سيرينا؟

قالت سيرينا بأضطراب: «أنا... حسناً. إن سين له..»

وقاطعتها قائلة: «أنا متأكدة من ذلك. ولكن أظن أن بإمكاني تقديم روايتي لك. فهل تهتمين بذلك». لمعت عينا ديلفين الخضراوتان بريق



من التحدي وهي تسدد نظراتها إلى سيرينا.

وترددت سيرينا: «أنا..»

«أنا لا أنتظر منك أن تكوني عديمة الولاء لسين أو أي شيء من هذا القبيل».

عضت سيرينا شفتها وقالت بهدوء: «أنا مثقلة بدين كبير لسين. بطريقة أو بأخرى ولذلك..» وتوقفت عندما إتسعت ديلفين قليلاً ثم تابعت: «إن... ولكنك والدتها».

«شكراً لك.. لسوء الحظ أنني لست واحدة من هؤلاء الأمهات اللاتي يمكنهن تكريس حياتهن لأطفالهن. إن لي مهنتي وهي مهنة فلحة. ولكنها أيضاً هي الشيء الوحيد الذي أجيده. ورغم معرفتي بأن سين يفق على التوأمين حالياً ويتولى كافة أمورهم فإنني لا أريد ذلك. كما يجب أن أتكفل بنفسي أيضاً. لاتخطيء فهمي. فأنا لا أقول أنني لست ممتنة لسين. ولا أقول أنني أوافق على أن هذا أسلوب حياة أفضل لها كثيراً. فكما ترين فقد أستغللت هذه الفرصة لصالحها ولكني لا أريدها أن يكونا مدينان بالفضل إلى مالا نهاية. هل تستطيعين فهمي يا سيرينا؟»

ترددت سيرينا ثم قالت ببطء: «أستطيع».

وسألتها ديلفين: «ولكن لك بعض التحفظات؟»

«أظن أنه قد يكون أمراً صعب الفهم إلى حد ما بالنسبة لها..»

قال ديلفين مشجعة: «أوه... أستمري».

«حسناً. إنها الآن أكبر سناً ويمكنها القراءة والكتابة. فلماذا لا تكتبين لها خطابات؟» وبدلاً من مجرد مجيئك لرؤيتها فربما يمكنها الذهاب أحياناً لرؤيتك. إنه... قد يزيد من إحساسها أنها جزء من حياتك».

«ماذا تشعرين... بأنه بنفسها؟».

قالت سيرينا بحذر: «بعض القليل. لكن ربما يمكنك التحدث مع سين بخصوص ذلك. إنه يعرفها بدرجة جيدة بحيث..» ثم سمعا جرس العشاء فصاحت: «أوه... إنه جرس العشاء».



www.liilas.com

سألتها ديلفين: «هل أنقذك جرس العشاء؟» وعندما أمتقع لون سيرينا ابتسمت ديلفين ابتسامة دافئة وقالت: «آسفة. أنا لست أدرى ما قاله لك سين عنى. لكننى أظن واضحاً أن لنا اختلافاتنا من وقت لآخر».

نهضت ودارت ببطء خلال الحجرة بتلك المشية الراقصة الإنسيابية. ومدت يدها ببطء تلمس مختلف الاشياء... مثل فرشاه شعر سيرينا ذات الظهر الفضى والتى طبع عليها الحرفان الأوليان من أسمها. وكذلك مرآتها وخزانة ثياب نومها ذات التطريز المخملى.. وسلة خزف رويال دولتون الرائعة والموضوعة على منضدة بجوار السرير.

وعندما رفعت رأسها كانت عيناها مملوءتان بالأستغراق والتأمل وقالت: ماالذى جعلك تعملين بوظيفة كهذه ياسيرينا؟

فكرت سيرينا ووضعت فى أعتبارها [illegible] وقالت «لقد كنت دائماً أتمنى أن أرى هذا الجزء من العالم... أنا مشدودة إليه إلى حد كبير».

بدت ديلفين حزينة وقالت: «لابد أن سين يرى أنك سقطت من السماء. لقد أعتقدنا أننا بصدد مشكلة ضخمة فى العثور على من تحب الأقامة هنا. يجب أن أراه... أقصد أرانا مدينين لك بأكثر مما قد يكون العكس».

قالت سيرينا بإبتسامة شاحبة: «أنا لا أرى ذلك».

أستمرت ديلفين تقول بلهجة دافئة: «على أية حال... أنا أحب أن أشكرك كثيراً على حسن رعايتك لرينشارد وكاميرون. إنهم بالتأكيد يهيمون بك. وبالتأكيد أننى سأخذ بنصيحتك».

«إر.. حسناً» حاولت سيرينا الحديث وهى لاتتمالك نفسها من التعجب عما سيظنه سين عن تقديمها هذه النصيحة. وقالت: «أنا...»

قالت ديلفين فى لهجة ساخرة: «لاتنزعجى. سوف أتناول هذا الأمر معه أولاً... أراك على العشاء».



وخرجت تاركة سيرينا تقف فى وسط حجرة نومها. لم تكن تشعر بإطمئنان تام. ولكن بعد لحظة أو لحظتين هزت كتفيها وأبتسمت ثم مدت يدها تتناول فستانها الكتانى الضيق ذى اللون الوردى الداكن.

وفى تلك الليلة أطمأنت على روبرت قبل أن تنام. ثم حادثت نفسها وهى ترقد فى فراشها: «على أية حال. فأنا أحبها ولابد أنها فى موقف لاتحسد عليه. وعندما يكون سين معها فلابد وأنه يعيرها أهتماماً أما السيدة دينبى فقد أستطاعت أن تكون لطيفة. إنهم لايستطيعوا أن يمثلوا على نحو طيب. أليس كذلك؟



www.liilas.com
قمر الليل

# الفصل الخامس

## (عودة الماضى)

مكثت ديلفين فى روزوود لمدة أربعة أيام. ودهش ريتشارد وكاميرون عندما أعلن أنها فى أجازة من الدراسة. بل وفى إحدى الأمسيات خرجوا للتنزه الذى كان ريتشارد مولعاً به كما قاما بطهى طعامهم فى الخلاء. وطوال الأربعة أيام لم يدر بخلد أياً منهم وجود أى توترات. وعلى الأقل لم يصل إلى سمع سيرينا أى محادثة خاصة مابين ديلفين وسين. وكان لابد أن تفترض سيرينا أنها قد سويا خلافاتهما.

وفى الليلة السابقة ليوم رحيل ديلفين، أستيقظت فى وقت متأخر لتعد لروبرت بعض اللبن الدافىء. كان الجو بارداً وكان القط يدرج المكان جيئة وذهوباً وهو يموء بصوت يدعو للرثاء. رأت أن بعض اللبن الدافىء فى جوفة قد يهدئه. وفى سكون الليل المطبق سارت فى هدوء إلى المطبخ. وعندئذ تنامى إلى سمعها بوضوح محادثة فى الحجرة المطلة على الجانب الآخر للمطبخ. ترددت سيرينا وقد تنبهت لديها رغبتها فى أستراقة السمع. ولكنها أدركت عندئذ أنها يتحدثان عنها. ولم تستطع التراجع ولو كانت حياتها متوقفة على ذلك.

كانت ديلفين تقول: «إن سيرينا طفلة غير عادية».

سألها سين: «هل هذا سبب تجولك فى منتصف الليل؟»



«فى الواقع.. لا. أنا لم أستطع النوم. وعلى أية حال فهناك بعض الأشياء التى ينبغى أن نتحدث بشأنها. وبالمناسبة فلماذا تعمل حتى هذه الساعة المتأخرة؟»

قال سين بإقتضاب: «أنا سأسافر إلى بريزبان فى الغد».

«أوه... حسناً... إنها طفلة غير عادية. أليس كذلك؟ أين وجدتها؟»

«لقد نشرت أعلانا فى الصحف. وبالمناسبة فسيؤذيها جداً نظرتك لها على أنها طفلة».

تجهم وجه سيرينا بينما ضحكت ديلفين بصوت رقيق وقالت: «إعتذاراتى لسيرينا». ثم صمتت لحظة قبل أن تتابع: «لسبب ما فهى ترى نفسها مدينة لك».

قال سين متشدقاً: «هل هى كذلك؟ لا أستطيع تخيل سبباً لهذا. المفروض أن يكون العكس تماماً».

«هذا ما ظننته. إن ريتشارد وكاميرون مشدودين لها بقوة».

ساد صمت قصير ثم قال سين: «ما الذى أثار هذه النقطة؟»

«اى نقطة؟»

إحساسها المزعوم بأنها مدينة لى». بدت نبرة سين جافة.

أجابت ديلفين: «فى الواقع كنا نتحدث بشأن التوأمين. وقد أسدت لى نصيحة أنوى العمل بها ويجب أن أنبهك لذلك ياسين».

وكتمت سيرينا أنفاسها.

قال سين مسترضحاً: «وضحى لى» وأرداد جفاف صوته.

«إنها ترى أننى يجب أن العب دوراً أهم فى حياتها. ويجب أن أزيد من أحساسها بأنها جزء من حياتى. إنها تعرف القليل عن مدى معارضتك لى فى الماضى بخصوص ذلك ياسين. وأنا لم أوضح لها هذا. ولكن..»

قاطعها سين: كل ما عارضته على الدوام هو أنك إما أن تلتصقى بها أينما ذهب وإما أن تتركيها للمربية تماماً» وأضاف بصوت أجش: «وقد



www.liilas.com

كان هذا هو سبب تركك لها هنا مع أندرو في المقام الأول. كما كانت هذه هي رغبته في بقائها هنا حتى يكبرا. أم أنك نسيت؟»

قالت ديلفين بصوت يغلب عليه النعاس: «سين... ما حدث بيني وبين أندرو كان... حسناً. كان أمراً من تلك الأمور... متى تتوقف عن عقابي بسببه؟»

سمعت سيرينا صوت أحتكاك مقعد بالأرض أثناء دفعة للخلف وأجفلت قليلاً عندما سمعت صوت سين يأتي من مسافة أقرب وهو يقول بنبرة حكم: «أعاقبك؟»

قالت ديلفين بصوت رقيق: «أنت تعرف ما أقصده».

«ديلفين إذا كنت تقصدين ما أظنه أنك تقصدينه فأعلمي أنك تضيعين وقتك.. سيبقى ريتشارد كاميرون هنا».

وبعد برهة قالت ديلفين في صوت متوتر: «يمكنني التحدث للقضاء».

«بإمكانك ولكنك لن تفعلي. فهذا الوضع يلائمك تماماً. وبحق الله لا تندفعي في الحديث عن ذلك مع سيرينا. ولا تحاولي مس أوتار قلبها».

وبدا سين كما لو كان الغضب يكمن وراء كلماته وهو يقول: «السيد تعرف كم من المشاكل يمكن أن تحدث بسبب ذلك».

«أنا لن أفعل بالطبع.. أنا لن أفعل ولكني لا أفهم ما تعنيه».

قال سين بأقتضاب: «أنت لا تعرفين سيرينا جيداً مثلما أعرفها. هذا كل ما في الأمر».

«ماذا.... ماذا لو أخبرتك أنني كنت... أفكر في الزواج مرة أخرى؟ ماذا إذن يا سين؟»

وبدا ساخراً وهو يقول: «هل ستفعلين؟... أم أن هذا مجرد تكرار لـ...»

وسمعت سيرينا أحتكاك مقعد آخر بالأرض بينما أصدر ديلفين فحيحاً مستهجناً وقالت: «أنا أكرهك أحياناً يا سين وبنت ووريث».



ولكن كل ما فعله أنه ضحك بأسلوب جعل سيرينا ترتعد بشدة.

كانت هناك فترة صمت أخرى. وأحست سيرينا أنها تستطيع رؤية سين وديلفين بوضوح بعينى خيالها. لابد أن سين يبدو هادئاً ولكن بلوح في عينيه ذلك البريق الساخر وهو يتفحص ديلفين بينما تشع هي بالعداء وقد تورد جسدها الرشيق الجميل وبرقت عيناها الخضراوتان الساحرتان بالغضب والأحباط. وحادثت سيرينا نفسها في أسى... كان بإمكاني أن أخبرك أنه يكاد يكون مستحيلاً أن تنتصري على سين وبنت وورث لكنني توسلت بأنك لا تعرفين ذلك.

وعندئذ قالت ديلفين في توتر: «على أية حال بنصيحة سيرينا. أنا لست تلك البغي المتحجرة القلب التي تتخيلها».

قال سين بملء فيه: «أنا متلهف. أي جزء من نصيحة سيرينا. أظن أنها كانت شاملة إلى حد كبير؟»

وعضت سيرينا شفتها.

قالت ديلفين: «أن يقوما بزيارتي من حين لآخر» ثم أضافت في لهجة تأكيدية: «زيارة هي الكلمة المقصودة يا سين. قبل أن تخطر ببالك الفكرة الخاطئة. بل إنني قد فكرت أنه قد يمكنني أخذها معي لمدة بضعة أسابيع عند رحيلي في الغد. أنا أرجوك حتى الموت وأقسم لك أنني لم أعرب بها ولن أعرض أخلاقها للخطر و...»

لكن سين قاطعها وغمغم قائلاً: «العقول الكبيرة تتشابه في تفكيرها. لقد كنت أنا نفسي على وشك أقتراح شيئاً ما شبيه بذلك».

وإذا كانت ديلفين قد بهتت للحظات فإن سيرينا أحست بالأرتياح يملأ صدرها.

وبدا كأن ديلفين لا تستطيع أن تصدق أذنيها وهي تقول: «إذن فأنت لا تجد بأساً في ذلك».

«ليس من عادتي أن أقترح أموراً أجد بها بأساً. فضلاً عن ذلك فأنت لم تلاحظي أن ريتشارد في الفترة الأخيرة...»



www.liilas.com

كان هذا هو سبب تركك لها هنا مع أندرو في المقام الأول. كما كانت هذه هي رغبته في بقائها هنا حتى يكبرا. أم أنك نسيت؟»

قالت ديلفين بصوت يغلب عليه النعاس: «سين... ما حدث بيني وبين أندرو كان... حسناً. كان أمراً من تلك الأمور... متى تتوقف عن عقابي بسببه؟»

سمعت سيرينا صوت أحتكاك مقعد بالأرض أثناء دفعة للخلف وأجفلت قليلاً عندما سمعت صوت سين يأتي من مسافة أقرب وهو يقول بنبرة حكم: «أعاقبك؟»

قالت ديلفين بصوت رقيق: «أنت تعرف ما أقصده».

«ديلفين إذا كنت تقصدين ما أظنه أنك تقصدينه فأعلمي أنك تضيعين وقتك.. سيبقى ريتشارد كاميرون هنا».

وبعد برهة قالت ديلفين في صوت متوتر: «يمكنني التحدث للقضاء».

«بإمكانك ولكنك لن تفعلي. فهذا الوضع يلائمك تماماً. وبحق الله لا تندفعي في الحديث عن ذلك مع سيرينا. ولا تحاولي مس أوتار قلبها».

وبدا سين كما لو كان الغضب يكمن وراء كلماته وهو يقول: «السيد تعرف كم من المشاكل يمكن أن تحدث بسبب ذلك».

«أنا لن أفعل بالطبع.. أنا لن أفعل ولكني لا أفهم ما تعنيه».

قال سين بأقتضاب: «أنت لا تعرفين سيرينا جيداً مثلما أعرفها. هذا كل ما في الأمر».

«ماذا.... ماذا لو أخبرتك أنني كنت... أفكر في الزواج مرة أخرى؟ ماذا إذن يا سين؟»

وبدا ساخراً وهو يقول: «هل ستفعلين؟... أم أن هذا مجرد تكرار لـ...»

وسمعت سيرينا أحتكاك مقعد آخر بالأرض بينما أصدر ديلفين فحيحاً مستهجناً وقالت: «أنا أكرهك أحياناً يا سين وبنت ووريث».



ولكن كل ما فعله أنه ضحك بأسلوب جعل سيرينا ترتعد بشدة.

كانت هناك فترة صمت أخرى. وأحست سيرينا أنها تستطيع رؤية سين وديلفين بوضوح بعينى خيالها. لابد أن سين يبدو هادئاً ولكن بلوح في عينيه ذلك البريق الساخر وهو يتفحص ديلفين بينما تشع هي بالعداء وقد تورد جسدها الرشيق الجميل وبرقت عيناها الخضراوتان الساحرتان بالغضب والأحباط. وحادثت سيرينا نفسها في أسى... كان بإمكاني أن أخبرك أنه يكاد يكون مستحيلاً أن تنتصري على سين وبنت وورث لكنني توسلت بأنك لا تعرفين ذلك.

وعندئذ قالت ديلفين في توتر: «على أية حال بنصيحة سيرينا. أنا لست تلك البغي المتحجرة القلب التي تتخيلها».

قال سين بملء فيه: «أنا متلهف. أي جزء من نصيحة سيرينا. أظن أنها كانت شاملة إلى حد كبير؟»

وعضت سيرينا شفتها.

قالت ديلفين: «أن يقوما بزيارتي من حين لآخر» ثم أضافت في لهجة تأكيدية: «زيارة هي الكلمة المقصودة يا سين. قبل أن تخطر ببالك الفكرة الخاطئة. بل إنني قد فكرت أنه قد يمكنني أخذها معي لمدة بضعة أسابيع عند رحيلي في الغد. أنا أرجوك حتى الموت وأقسم لك أنني لم أعرب بها ولن أعرض أخلاقها للخطر و...»

لكن سين قاطعها وغمغم قائلاً: «العقول الكبيرة تتشابه في تفكيرها. لقد كنت أنا نفسي على وشك أقتراح شيئاً ما شبيه بذلك».

وإذا كانت ديلفين قد بهتت للحظات فإن سيرينا أحست بالأرتياح يملأ صدرها.

وبدا كأن ديلفين لا تستطيع أن تصدق أذنيها وهي تقول: «إذن فأنت لا تجد بأساً في ذلك».

«ليس من عادتي أن أقترح أموراً أجد بها بأساً. فضلاً عن ذلك فأنت لم تلاحظي أن ريتشارد في الفترة الأخيرة...»



www.liilas.com

وعند هذه النقطة رأت سيرينا أنها لا تملك مبرراً للاستمرار في استراق السمع. وكأنما كان لديها أصلاً مبرراً منتفياً لذلك. وأخذت طريقها في خفة وهدوء إلى حجرة نومها. كانت تشعر بالذنب وبالارتياح في نفس الوقت. وعندئذ أدركت أنها قد نسيت أمر اللبن الخاص بروبرت. ولكنه كان قد طوى نفسه على هيئة كرة صغيرة مشدودة وأستغرق في النوم.

عادت إلى فراشها. واكتشفت أن هناك شيئاً ما قد مس فعلاً أوتار قلبها. وتعجبت من سبب ذلك. ألآن سين لم يستطع العفو عن زوجة أخيه السابقة لمجرد أنها من أخية؟ حسناً... وأستغرقت في التفكير... لا تنسى أنك غريبة. فمن السهل بالنسبة للغريب أن يرى الأمور جيداً... أقصد أنه لو كان أخي فربما كنت أجد من الصعب أن أصفح عنها. ولكني لا أعتقد أنها إنسانة سيئة.

حفل الصباح التالي بالعديد من مشاهد الأناقة البالغة.

أقبل عليها ريتشارد صائحاً: «سيرينا... سيرينا. ماذا تخمنين؟»

تظاهرت سيرينا بالدهشة قدر ما تستطيع وقالت: «ماذا؟»

قال: «سنذهب اليوم إلى سيدني مع أمي».

وأضاف كاميرون في أعجاب: «لنبقى معها حتى نهاية الأسبوع. وستأتي السيدة دينبي أيضاً لتعتني بنا أثناء ذهاب أمي للبروفات. ولنأخذها أيضاً إلى طبيب الأسنان» وأنقبض وجهه قليلاً ولكن بدا واضحاً أنه حتى أحتمال ذهابهم لطبيب الأسنان فلم يكن ليحد كثيراً من فرحتهما.

قالت سيرينا في نبرة دافئة: «هيه... هذا شيء خرافي» ولكنها كانت في الواقع تحاول بحذر أن تتعرف على إنطباع ريتشارد محاولة الوصول إلى حقيقة مشاعره. وأذلك لم تنتبه لأول وهلة أن العناية بها أثناء ذهاب والدتها للبروفات ينبغي أن تكون مهمتها هي.

عندئذ قالت دبلفين: «لقد أقترحت على سين أن تأتي معنا يا سيرينا ولكنه أمر السيدة دينبي بتولي هذه المهمة ولذلك فهي ستفعل».



قالت سيرينا ببطء: «أنا... أوه» وأستغرقت في التفكير وهي تتساءل عن سبب ذلك. ربما يكون قد أظن أن من السهل أن أضل طريقي بعيداً عن برادمز روزوود. أراهن أن الأمر كذلك: كانت تحادث نفسها في سخط ولكنها كانت حريصة على ألا تسمح لتعبيرها أن يفضح مشاعرها. وعلى أية حال لم تكن هناك فائدة فإن المستهدف بسخطها سين وهنت وربت ذاته... كان كعادته... غير موجود على مائدة الإفطار.

لكن كانت السيدة دينبي هي التي دفعت سيرينا إلى التعجب عما إذا كانت تشعر بالحنق تجاه سين. كان ذلك عندما قالت لها: «أنا نفسي تأخرت كثيراً في زيارتي لطبيب الأسنان. إن لدي سنة أظن أنها بحاجة لحشو. لقد رأى سين أنك قد لا تجدين بأساً في تولي مهام البيت بدلاً مني يا سيرينا».

«أوه... لا... بالطبع لا».

«أظن غير ذلك... حسناً. أحسب أننا يجب أن نستعرض ذلك سريعاً. إذ لن ينتظر أن نرحل في منتصف اليوم. كان سين نفسه ذاهباً إلى بروفات اليوم يا سيرينا ولكن يبدو أنه قد ألغى ذلك. لا أظن أنه ينتظر شيئاً خلال الأيام القلائل القادمة. ولكن لا أحد يدري. ولذلك فسوف ألقي نظرة سريعة على بعض قوائم الطعام لمجرد الأحتياط. وإذا ثقل الحمل عليك لأي طارىء فسأتي سوزي جونز لمساعدتك». كانت سوزي جونز هي إبنة حداد محطة تربية الماشية. ذات السابعة عشرة ربيعاً. وأضافت السيدة دينبي: «والآن يجب أن نحزم متاعنا».

في منتصف اليوم كانت سيرينا تشعر بإنقطاع أنفاسها تماماً عندما رحت هي وسين يودعونهم عند اقلاع الطائرة. ثم فجأة.. أنتابها حماس يهبط مفاجيء.

قالت سين: «حسناً... أنا أقصد.. حسناً».

سألها بإبتسامة مقتضبة: «ما هو الحسن».



منتديات ليلاس الثقافية

«لست أدرى ... أنا أشعر إلى حد ما بأننى متعطلة عن العمل».

«يمكنك أن ... تستجمى».

«أنا لست بارعة فى ذلك ... أقصد ... فى عمل لا شىء».

قال ساخراً: «هنا فرق بين الأسترخاء وعدم عمل شىء. يمكنك أن تقرأى ... تكتبى خطابات. رغم أنك لا تفعلين الكثير من هذا أليس كذلك؟»

وافقته سيرينا قائلة: «ليس كثيراً» ثم أضافت: «ربما لأننى لم أتوقع أن أستطع الأسترخاء. أقصد أن ما حدث كان مفاجئاً إلى حد ما. أليس كذلك؟

«لقد قيل لى أنه كان رأيك أيضاً».

قالت سيرينا بحذر: «حسناً .. لقد سألتنى ديلفين و... أنت لا تجد بأساً فى هذا. أليس كذلك؟»

نظر لها سين متأملاً لمدة تقرب من الثانية. ثم قال فجأة: «ما رأيك فيها؟»

قالت سيرينا بتردد: ديلفين؟ أنا .. هى... أنا أظنها واحدة من أولئك الناس الموهوبين حيث يفرض على عاتقها نوع من إقتضاء أثرها. ولكننى أيضاً أعتقد أنها تهتم بالتوأمين ويمكنها الآن الأحساس بأنها أصبحت جزءاً أكبر من حياتها. ومن المحتمل أن يحدث التعديل اللازم. فالأطفال يفعلون».

ظل سين صامتاً لفترة طويلة. وبدا وجهه متحيراً. وقطبت سيرينا جبينها فى قلق. ولاحظ ذلك فلوى شفتيه فى سخرية وغمغم قائلاً: «بالمصادفة، فبعيداً عن إزعاج الأطفال فقد قصد أن تكون هذه غير ذلك .. أقفزى» وأشار إلى اللاندروفر التى جاءوا بها جميعاً إلى مهبط الطائرات.

وقال: «سوف أعيدك للمنزل حيث يجب أن تبدأ أى ممارسة فى الأسترخاء».



وبينما كانا يقطعان عبر الطريق سألته: «ماذا ستفعل فى تلك الأثناء؟»

«سوف أذهب لرؤية بئر بها بعض المشاكل. ويجب أن أعود فى حوالى الرابعة والنصف. وسيعود بيل فى حوالى الخامسة. لا ترهقى نفسك كثيراً بأمر عشاءنا نحن الثلاثة وحدنا. إنزلى» قالها سين بعد أن وقف اللاندروفر بالقرب من بوابة الحديقة.

نظرت إليه سيرينا فى تمعن.

فسألها: «ماذا؟»

«لا شىء».

قال بلهجه جافة: «لا ... أنا لن أخذلك معى يا سيرينا إذا كان هذا هو ما تفكرين فيه».

«لم تكن مجرد فكرة ... أنا لم أر أطلاقاً تشغيل بئر».

«هناك الكثير مما عليكم رؤيته. كما أنه سيكون سفراً فى طريق [illegible]».

«أنا لا أبالى بالا لذلك».

قال بحسم: «سيرينا ... لا»

سألته: «هل أخطأت فى شىء ما؟»

قال سين فى ضجر: «بالطبع لا.

«إذن لماذا ...»

نظر لها فى سأم وقال: «حسناً. سوف أوضح لك الأمر تماما. إن هذه المزرعة فى معسكر. هناك ثلاثة عمال آبار يقيمون فى المعسكر ومهمتهم تفحص وصيانة الآبار فى هذه المنطقة. وكل منهم يعمل لمدة شهر ثم يقوم بتسوية أجازة. وهم يقومون بزيارة واحدة أسبوعياً إلى المركز الرئيسى. وعندئذ فهم يتضورون جوعاً لرؤية أنثى بشرية».

أمتقع لون سيرينا وقالت: «أوه ... أنا ..»

«سيكون صعباً بالنسبة لهم أن يركزوا على أصلاح البئر فى وجود ... مثال



www.liilas.com

فريد من الجنس اللطيف مثلك حولهم».

غمغمت سيرينا: «إنى ذاهبة... إنى ذاهبة». وفرت من اللاندروفر. وأنطلق سين مسرعاً.

وصاحت بقوة فى اللاندروفر المنطلقة: «لا يمكننى أن أحول دون كونى أنثى من ذلك الجنس» وتابعت «ولعلمك ياسين وبنت وورت فكل ما أتى بى إلى هنا هو حشد لا نهائى من المشاكل الغير عادية على الأطلاق حسبما أرى. وذلك إذا كان لابد أن تعلم».

ومرت بها فترة بعد الظهر فى هدوء: «تناولت غداء خفيفاً وأعدت بعض التجهيزات للعشاء. وإنتقيت كتاباً وأرتديت ملابس الأستحمام وتناولت مشقة ثم خرجت إلى بقعة خضراء جميلة من المرج بجوار الأشجار المغطاة بنبات اللبلاب والتى تنمو حول جانب البحيرة. وأمضيت وقتاً لطيفاً تستمتع بالقراءة وبحمامات الشمس.

ووفاء بما قاله.. فقد عاد سين واللاندروفر فى الرابعة والنصف بالضبط. ذهب مباشرة إلى الدش. وجمعت سيرينا حاجياتها وذهبت لتبدل ملابسها. وأرتدت بنطلون جينز وبلوزة وردية داكنة تكشف عن ذراعيها. ومشطت شعرها وضفرته إلى جديلة عريضة واحدة تدلته على كتفها. وبعد نظرة خاطفة لنفسها فى المرآة أتجهت إلى المطبخ لإعداد العشاء. ولكن جذب إنتباهها صوته طائر غريب وخرجت إلى الشرفة عساها تستطيع رؤية ذلك الطائر. ولكن دون طائل. وبدلاً من ذلك وجدت بيل يقبل بسيارة اللاندروفر عبر الطريق المؤدى للمنزل.

وغمغمت لنفسها: «لقد كانت هذه رحلة سريعة». وتوقفت اللاندروفر وفتح باباها الأماميان. وأولت سيرينا قسمات وجهها. فمن الواضح أن بيل قد أحضر معه زائر. وبدون ذلك فيجب عليها السيدة دينبى من تكرار تعرضها لمثل هذا الموقف.

وعند هذا الحد أحست سيرينا أن هناك شىء مألوف على نحو غامض بخصوص زائر بيل. وعندئذ ضاقت عيناها ثم شهقت هامسة: «لا...



لا» وأستدارت تندفع إلى الداخل.

ولسوء الحظ فقد أصطدمت بسين عندما انعطفت عند أحد الأركان. أمسك بذراعيها.

وضمها قائلاً: «ففى مكانك» ووضع يده على كتفها يهدئها. وسألها: «أين الطعام؟»

خرج صوت كأنه فحيح مستهجن وقالت: «إرفع يدك عنى... أيها الخائن.. كيف أستطعت؟» ونزعت يده عن كتفها.

أمسك بها قائلاً فى ضجة جادة: «لا تفعلى ذلك ياسيرينا إلا إذا أردت أن يصفع وجههك. هل لك أن تخبرينى بما هذين به؟» وأمسك معصميها بقبضة حديدية.

وصاحت: «لقد وثقت بك. ولم تكتف بالسؤال عنى والتطفل على حضرته إلى هنا. لقد قلتُ له وقلتُ ها وهأنذا أقول لك الآن: أنا [illegible] على الزواج منه. هل تفهم؟» كان صوتها يرتفع فى [illegible]

قال سين وهو يصر على أسنانه: «أنا لا أفهم شيئاً». وحذرها قائلاً: «ولكن إذا لم تهدئى فسوف أطلم وجهك» ثم أضافت بغلظة: «أدخلى هذه» ورفع باب الحجرة بكتفه.

ودفعها إلى الحجرة ثم أستدار إلى الباب عندما سمع بيل يطرقه.

قال فى ضجر: «ربما يمكنك أن تشرح لى ذلك يابيل».

عبس وجه بيل عندما رأى مظهر سيرينا المضطرب عم وقال: «يوجد شخص يريد رؤية سيرينا... هل هذا ماتقصيده؟»

قال سين بإقتضاب: «على مايبدو. كيف وصل إلى هنا؟»

أرتعشت سيرينا وجحظت عيناها وهى تقول فى وجل: «لا أريد أن [illegible]»

حدق فيها سين وقد ضاقت عيناه ثم توجه إلى بيل قائلاً فى حسم: «هل لك أن تخبره. أيا من كان بأن سيرينا متوعكة الصحة حالياً...



www.liilas.com

ولكن... قدم له مشروباً أو أى شىء. ولكن إجعله يبقى حتى أفهم ذلك الأمر».

أومأ بيل برأسه وخرج وأوصد الباب بينما أتجه سين إلى خزانة زجاجات الشراب وصب لها قليلاً من البراندى.

قدم الكوب إلى سيرينا قائلاً: «أشربى هذا» ثم أغلق عينيه فى غضب بينما كانت تتجرع الكوب. وقال بلهجة آمرة: «لا تتجرعين... أرشفيه».

وفعلت ما أمرت به. وأندفعت الدماء إلى وجنتيها.

«والآن» قال وجذب مقعداً وجلس أمامها وقد باعد ما بين ساقيه ثم تابع: «أنا أنتظر أن تخبرينى بتفاصيل هذا الأمر».

«أنت تقصد... أنك لا تعرف من يكون رالف؟ ولكن يكون وجدنى إذن؟»

هز سين كتفيه قائلاً: «سلينى ماشئت» وتناول الكوب الفارغ من بين أصابعها وأتكأ مستديراً على المكتب خلفه. وقال: «من يكون... رالف هذا؟»

ترددت سيرينا فى بؤس.

قال سين بصوت هادىء ولكنه بارد: «سيرينا.. لقد تعبت من التكرار. ولكن على سبيل التذكرة فسأقول مرة أخرى. أنا لا أعرف شيئاً. ولكنى لا أنوى البقاء أكثر من ذلك فى ضباب هذا الجهل. لقد أنهيت صفقتى الآن. أنت تنتظرين منى أن أنقذك من رالف هذا. وهو ما يبدو لى أنه محور الموضوع. أم أننى على خطأ؟»

أرتعدت سيرينا وقالت: «لا».

قال بلهجة آمرة: «إذن فمن الأفضل أن تخبرينى بالحقيقة. الحقيقة الكاملة ولا شىء غيرها. إبدىء الآن».

إبتلعت لعابها ولعقت شفتيها ثم قالت فى عجز: «إنه ليس سهلاً».

«لم أتخيل على الأطلاق أنه سهل. لماذا لا تخبرين حسب تسلسل الأحداث



فكرت للحظة ثم قالت فى تلعثم: «إنه... لقد بدأ كل شىء عندما توفت والدتى. كنت فى الرابعة عشرة. أحس والدى بالحرمان التام. وقد كنا قريبين جداً. وعلى نحو مفاجىء — لى على الأقل — تزوج مرة أخرى. لم أستطع تصديق ذلك. كانت زوجة أبى أصغر منه إلى حد كبير بعض الشىء و...» وأضافت فى إنفعال: «وإن كان لك أن تعلم فقد كرهتها».

تجهم سين وقد أرتسم على شفتيه شبح أبتسامة: «هذا لا يدهشنى إطلاقاً. إنها تحدث لك بسهولة.. تلك المقدرة على كراهية الناس» ثم أضاف بنظرة ساخرة: «على أعلم» ثم خفت بريق عينيه قليلاً وأضاف: «حسناً. يمكننى أن أفهم ما شعرت به. ماذا حدث عندئذ؟»

إبتلعت شفتا سيرينا وقالت: «لقد مات فجأة بأزمة قلبية» وأشاحت بوجهها عندما علته دمعة وحيدة. وتابعت: «إنه... عندئذ عرفت أن والدى قد علم بأن لديه مشاعر بخصوص القلب. وأنه قد كتب وصية يعينها فيها حارسة شرعية ووصية علىّ تحديداً لهذا الأحتمال».

كان هناك صمت قصير لاحت خلاله نظرة حادة فى عينى سين. وأخيراً قال: «أنا أفهم. أين تدخل رالف هذا فى الأمر؟»

قالت سيرينا فى توتر: «إنه... شقيقها الأصغر. لقد جاء للمعيشة معنا بعد وفاة والدى وكما ترى فحسب الوصية... فقد ترك لها والدى ميراثاً فى ملبورن ودخلاً صغيراً. ولكن كل ما تبقى مما فيه محطة تربية الأغنام فقد تركه لى. ولكن.. كان كل شىء مشروطاً. ونحت وصايتها حتى أبلغ الواحدة والعشرين أو أن أتزوج... أيها أقرب».

قال سين بصوت هادىء: «أوه... لقد بدأت أدرك الأمر» ثم عقب «ولكن من الغريب أن يترك وصية كهذه».

قالت سيرينا بلهجة قاسية: «لقد كان مسلوب اللب. ربما الإحساس الشديد بالوحدة. ولكنه لم يدرك أطلاقاً أنها كانت تطمع فى أمواله. أنا متأكدة أنها أقنعته بإقحام هذه الجملة وأظن أنه من حسن الطالع إلى حد



قمر الليل

كبير أنها لم تتمكن من إقناعه بترك كل شيء لها تماماً».

«إذا كان الأمر كما تقولين فربما تكون قد أدركت أنك ستقابلينها بكل قوة. أستمري».

«حسناً. في البداية لم يكن الأمر شيئاً جداً. كنت في مدرسة داخلية. وعلى الأقل لم يكن هناك تغيير. وأثناء الأجازات إعتادوا... أن يغيروا من برنامج حياتهم لكي أستمتع بوقت طيب كما تعرف.. مسارح ورحلات وأيام على الشاطىء وملابس جميلة» وتوقفت ثم قال: «بل إنني بدأت أعتقد أنها لم تكن سيئة جداً على الأطلاق. ولم يكن رالف يكثر من تواجده. ولكن عندما بلغت إلى السابعة عشرة بدأت الاحظ أنه أعتاد النظر لي كثيراً. ولم يعجبني ذلك».

وبعد لحظة سألها سين: «وماذا فعل أيضاً؟»

ترددت سيرينا ثم قالت: «حسناً. عندئذ بدأت الاحظ أنه يحاول دائماً أن يلمسني. إن..»

وهزت كتفيها أستهجاناً وقالت: «لقد أوقع ذلك في نفسي أحساساً بالخوف والبغض الشديد».

قال سين: «سيرينا... هل تحاولين القول بأن زوجة أبيك خططت لزواجك من أخيها؟ لكي يضعوا أيديهم على تركتك؟»

وتمتمت سيرينا: «ن... نعم. وعلى الفور تركت المدرسة. لقد أتضحت الصورة أمامي تماماً». لقد أردت السفر وعمل أشياء ظللت أحلم بها لأعوام. ولكنهم لم يدعوني. لم يدعوني أبعد عن بصرهم. وطوال الوقت كان يراقبني و... و...»

قال سين ببعض الأهتمام السطحي: «حسناً. لاتعذبي نفسك» ثم أضاف وكأنه يحدث نفسه: «وبالطبع كانت تسيطر على الأنفاق» ثم تابع: «أظن أنه ليس لك أقارب آخرين يمكنك اللجوء إليهم؟»

قالت سيرينا بحزن: «لا... ويوم مالم أستطع مجرد الأستمرار في تحمل ذلك. وهذا..»



وأضافت: «وهذا هربت».

وقال بصوت متوتر تدافع عما فعلته: «كان هو الشيء الوحيد الذي أستطعت عمله.. حسناً. إن الخيار الآخر لم يعجبني».

«خيار آخر».

«العثور على شخص آخر يتزوجني... أقصد... بمجرد أن أتمكن من وضع يدي على ما هو حق شرعي لي».

قال سين: «أنا أفهم» ورغم ذلك كانت السخرية تلوح في عينيه.

تابع: «يمكن أن يكون ذلك أيضاً خطراً بعض الشيء».

لوت سيرينا قسمات وجهها وقالت: «إنه لم يكن خياراً بالمعنى الحقيقي لسبب واحد هو أنني لم أكن أعرف أي رجل. وهذا ولغيره رأوا أن رالف قد أغناني فعلاً عن ذلك على أية حال.. إنه يجعلني أشعر بالمرض».

وعلق قائلاً: «هذا لايعني أن كل رجل تقابليه سيكون له نفس تأثيره» ثم قطب جبينه وتابع: «إذا كان الوضع كذلك فإن العمل في حي بليكان لابد أنه كان شيئاً بغيضاً».

وافقته سيرينا بصوت كئيب: «لقد كان. ولكن عندما تكون جائعاً ولا يمكنك تحمله يصبح شيئاً أجبارياً لاخيار فيه. ولكنني لم أحقق نجاحاً كبيراً هناك. أنا... أنا... لقد تم صرفي من الخدمة صبيحة الليلة التي أتقدتني فيها من راكبة الدراجة البخارية المرعب» ثم أضافت بصوت شابه التوتر: «أنا لم أخبرك بذلك».

«لقد عرفت في ذلك الحين. ولكن لماذا لم تقدمي بطلب للحصول على إعانة البطالة؟»

تنهدت سيرينا وقالت: لقد حسبت أن أفعل ذلك خاطئة أن يستطيعوا تعقبي من خلال ذلك. لقد أستخدمت أسم عائلة والدتي للحصول على الوظيفة في الملهى».

«أنا أفهم».



قمر الليل

سألته سيرينا بصوت مرتعش: «هل... هل تصدقني؟»

«نعم إلى حد غريب. إنه يبدو التفسير الوحيد المقبول» ثم قال ساخراً: «الآن أنا أعرفك بدرجة أكبر» وأضافت: «رغم أنني لا أجد سبباً يمنعك من إخباري بذلك منذ البداية».

«أنا لم أعرفك جيداً. أليس كذلك؟ أقصد أنني لم أكن أعرف أنك لن تصبح في النهاية مثل رالف فاعتقدت أن من الأفضل أن أحتفظ به لنفسي».

وبدا برق غريب في عيني سين وهو ينظر إليها في هدوء حتى بدأ وجهها يتحمس خجلاً. وعندئذ أندفعت قائلة: «بالطبع لم يمض وقت طويل حتى بدأت أدرك أنك لست كذلك على الأطلاق..»

غمغم قائلاً: «كم هو عطف منك».

ولكني مازلت لا أدري إذا ما كنت تعرف من أجبرك أن تساعده ليس وأمتدت يدها المرتعشة تلامس يده. وهمست: «أنت لن تفعل هذا ليس كذلك؟»

تناول يدها بين يديه وحدق فيها قائلاً: «أنا... سيرينا».

ولكن سيرينا شهقت وهبت واقفة وقد أتسعت عيناها.

وقالت: «لقد طرأ لي خاطر. سين.. لابد أنني آخر إنسانة يمكن أن تتزوجها. أليس كذلك؟»

وحملق فيها وقد ضاقت عيناه.

«أقصد أنني لست من نفس عالمك. أليس كذلك؟ وأنا أصغر منك بأميال. وعلى أية حال فأنا لا.. حسناً... أنا لا أثيرك.. أليس كذلك؟»

«سيرينا».

ولكن سيرينا لم تكن في حالة تسمح بمقاطعتها. فأستمرت: «الشيء الآخر أنك لن تكون طاعماً في تركتي. أليس كذلك؟. أنت لديك من الممتلكات أكثر مما تحتاج. أليس كذلك؟»



«سيرينا. أي جحيم يؤدي له ذلك؟»

«هل... سين» والتقطت سيرينا نفساً عميقاً وقالت: «هل تفكر في الزواج مني؟»

أصطنع برغي ويزيد. وأجملت سيرينا ولكنها الحت قائلة: «أنا أقصد فقط زواج مصلحة. لمجرد أنه يمكنني من تركتي. ولا داعي لإخبار أي فرد عن.. أي فرد هنا. يمكننا الأستمرار كما نحن..»

قاطعها بصوت أذهب الدماء من وجهها: «سيرينا... لا».

«سين».

«لا».

يشحب لونها تماماً. وهمست في توسل: «ولكنني لا أدري ما يمكنني عمله من أجلك... هناك ما يزيد على عامين حتى أصبح في الحادية والعشرين. حسناً فقد مضت طول الوقت بالنسبة لفضائله في الفراش وأكتساب رزقي بنفسي ومن ثم أعمل نفقاتها».

«سيرينا لا يمكنه جرك إلى المذبح وأنت تصرخين وترفسين بقسوة».

«أنت لا تعرفه. وعلى أية حال فلدى ذلك الأحساس الرهيب بأنه ربما.. لا تنظر حتى يحملني إلى المذبح إذا تمكن مني مرة أخرى. أنا... ربما لأنك رجل فأنت لا تفهم ذلك. إنه لا يثير في نفسي الأشمئزاز والعثيان بل إنه يخيفني بدرجة مرعبة.. مجرد التفكير بأنه في نفس البيت..»

وسكتت ودست وجهها بين يديها.

وأخيراً قال سين بصوت غير عادي: «سيرينا.. أنظري لي».

ونظرت له على مضض وقد أمتلأت عيناها باليأس وسالت على وجهها دموع صامته.

وقطب جبينه ومد يده يلمس وجنتها المبتلة. وقال: «أخبريني بشيء واحد... هل يسعدك أن تقيمي معنا هنا حتى تبلغي الحادية والعشرين».

قالت بصوت كئيب: «بالطبع سأكون.. لقد أحببت هذا المكان



www.liilas.com

وأحببت دملي... ولكن...»

«هل أنت متأكدة تماماً؟»

«نعم ولكن..»

«إذن جففي دموعك لأنني ذاهب لإحضار رالف هذا هنا.. وسأوضح بعض الأمور لذلك اللقيط».

قال سين ببرود: «لماذا لا تجلس يا سيد تايلور؟»

كان رالف تايلور في مثل طول سين. وقد كانت هذه هي نقطة التشابه الوحيدة بينهما بصرف النظر عن أنهما كانا في نفس السن تقريباً. ولكن بينما لم يكن سين يحمل أوقية واحدة من اللحم على جسده المتناسق الرشيق الطويل فإن الحدود الخارجية لجسد رالف غير واضحة بتأثير سنين الغيبة الرغدة والجهد القليل.

صرفت سيرينا بصرها عن شفتيه المكتنزتين وأحدثت رجفة كادت تسري بكتفيها.

وأشار سين إلى كرسي فجلس رالف ولكن كانت عيناه العسليتان الداكنتان منتبهتين كما لو كان يحاول إدراك الجو السائد.

قال سين: «أظن أنك جئت لرؤية سيرينا».

أبتسم رالف والقى نظرة خاطفة على سيرينا.

وقال بصوت هادىء: «ليس ذلك فقط بل لا يمكنني إخبارك بمدى إنياحنا لعثورنا عليها».

لمعت عينا رالف بالأرتياح وقال: «نعم. إن أختي هي حارسة سيرينا الشرعية والوصية عليها».

قاطعه سين قائلاً في لهجة مقتضبة باردة: «وقد كانت متزوجة من والد سيرينا. وبالمناسبة فكيف فقدتم سيرينا؟»

تردد رالف ثم قال أخيراً: «لقد كان.. سوء تفاهم بسيط» وبغضب رقيق وجه نظرة خاطفة إلى سيرينا. ثم وجه إلى سين نظرة رجل لرجل تعني أننا نعرف إلى أي مدى يمكن أن تكون هؤلاء الفتيات الصغيرات



سريعات الغضب. ثم أضاف: «إن أختي مغرمة بسيرينا. وهي لا تريد إلا ما يكون أفضل شيء لها».

«أولئك».

بدت في عيني رالف نظرة ساخرة متلألئة.

قال سين ببطء: «إن رواية سيرينا تختلف قليلاً».

وفي الحال عاد التيقظ والحذر ينطبعان على وجه رالف.

واستمر سين: «في الواقع أن سيرينا تعتقد أنك وأختك قد خططتما بوسيلة أو بأخرى لتحقيق زواجك منها. وبالتالي الأستحواذ على تركتها الكبيرة في قبضتكما».

أدار رالف رأسه إلى سيرينا وقال بصوت هادىء منوعد: «بالك من صغيرة حقيرة».

وثبت سيرينا في مقعدها.

حل الصمت التام على الحجرة للحظة. وعندئذ أدرك رالف أنه قد أرتكب خطأ تكتيكياً غبياً فنهض وأخذ يصيح متوعداً ومهدداً.

ولكن سين قاطعه بحده قائلاً: «أجلس يا تايلور» كان صوته بارداً بصورة لم تسمعها سيرينا من قبل. وتابع قائلاً: «وأنت لي.. لأنه من المهم أن تفهم ذلك بوضوح وصراحة. من الآن فصاعداً فأنت وأختك ستتركان سيرينا لحالها. وإياكما من مجرد محاولة عمل أي شيء معها إلا إذا كنتما تتمنيان التعامل معي».

«ولكن... أختي لها حقوق...»

وقاطعه سين: «وكذلك سيرينا. وأنا أعتزم حماية حقوقها حتى لو تطلب ذلك رفع الأمر إلى القضاء. لا أظنه شيئاً طيباً أن تفرضان عليها ولا يتكما حتى أنها لم تجد منفذ سوى الهرب. وهي لا تمتلك بنساً واحداً. فماذا بعد. وفي الحقيقة لا يوجد ما يمنعني من إثارة الدعاوى القضائية ضدكما الآن».

وقف الف مرة أخرى. وأكتسا وجهه بقناع ملتهب من العرق والغضب وقال بصوت متوتر: «لتجربه ذلك».



قمر الليل

قال سين بهدوء: «لا تغريني. بل علاوة على ذلك... فإذا وضعنا أصبعكما عليها مرة أخرى فإنا يسعدني جداً أن اقدم لكما العقاب القاسي الذي يليق بكما».

أنت لن تقدر أن...»

قال سين: «أوه... أنا أقدر» ولمعت عيناه الخضراء الرمادية. ولكنني سأكتفي الآن بأن القيك خارج المقاطعة». ورفع صوتاً منادياً: «بيل» وأتجه نحو الباب.

لابد أن بل كان يقوم أمام الباب بالخارج لأنه سرعان ما أندفع قائلاً: «نعم يا عديد».

قال سين بصوت يقطر إزدراء: «أنا أريدك أن تطير بالسيد تايلو إلى ديبلي. يمكنه أن يكمل طريقه من هناك». وأستدار إلى رالف قائلاً: «بقي شيء واحد... كيف أكتشفت أن سيرينا موجودة هنا؟»

تزاحمت التعبيرات على وجه رالف ولكن كان أقواها الغضب الشديد. وللحظة بدا عليه عدم الأذعان. وعندئذ تقدم بيل داخل الحجرة بطريقة إيحائية فقال رالف بلهجة وقحة: لست أدري فائدة لذلك.. لكنها كانت ناظرة مدرستها القديمة. لقد التقت بها شقيقتي بالمصادفة منذ بضعة أيام وسألتها عن حال سيرينا في وظيفتها الجديدة.

غمغم سين قائلاً: «حسناً. على الأقل هذا يعفيني من العقاب» ووجه نظرة تهكم إلى سيرينا التي كانت جامدة في مقعدها وكأنها تمثال. ثم أحتدت تعبيرات وجهه والتفت إلى رالف وقال في هدوء تام ولكن بتهديد واضح: «تحرك.. أنت... أيها اللقيط الخسيس».

وتحرك رالف... بل أسرع خطاه خارجاً.

# الفصل السادس

## (السجلات الطبية)

www.liilas.com
قمر الليل

أغلق سين الباب خلفها وعاد إلى سيرينا. وضع يده على كتفها وقال بهدوء: لقد أنتهى الأمر الآن».

ولكن يبدو أنه لم ينته بالنسبة لسيرينا. ووقفت تريد أن تشكره ولكن لم تسعفها الكلمات لم يكن هناك سوى الدموع التي سرعان ما تحولت إلى نشجات مؤلمة. وأخيراً.. وكما لو كان ذلك هو أكثر الأشياء تلقائية في الوجود.. فعندما وضع ذراعية حولها.. تعلقت به وكأنه القشة الوحيدة التي تمتلكها في خضم الحياة.

وأخيراً.. دفعها برفقة إلى كرسي ذا ذراعيه وجلس بجوارها. وقال: «سيرينا توقفي الآن. سوف تصابين بالأغماء». وأستمر يرتب خلي شعرها.

أصابها الفواق. وقالت: «أنا.. أنا أحاول. شكراً لك لأنك صدقتني وفعلت ما فعلت. أنا في غاية الأمتنان. أنا لا أدري أطلاقاً كيف أكافيء معروفك».

لوى سين قسمات وجهه الذي كان يعلو رأسها. وقال: لا داعي. إنه ما كان سيفعله أغلب الناس».

نشفت دموعها قائلة: «لا... ليس كذلك». وأسندت رأسها إلى

كتفه وتابعت: «لم أكن لأشعر بمثل هذا الأمن مع أى شخص آخر».

قال ببطء: «ولذلك..» ومسد بيده شعرها الرطب وأزاح خلف أذنيها بعض خصلاته التى كانت على وجنتيها. وتابع قائلاً: «أنا أشك فيما إذا كان رالف تايلور سيزعجك مرة أخرى. ولكننا نستطيع أن نقاضيه إذا ما أراد ذلك فعلاً. هناك نقطة واحدة تعد معوقة..»

هزت كتفيها وهمست: «أنا لا أريد أطلاقاً أن أضطر لرؤيته مرة أخرى».

«هذا ما أقصده. أنت لن تضطرى لمجرد رؤيته أو رؤيتها بل سيكون عليك أن تستعيدى كل ذلك بتفصيل حى».

«إذا كنت فعلاً لاتجد بأساً فى بقائى هنا حتى أبلغ الحادية والعشرين...»

«لقد قلت لك بأننى لا أجد. ولكن هناك مشكلة أخرى. أنا أفكر فى عمل نوع من التحقيق لمجرد الأحتياط كى لا تضع زوجة أبيك خططاً أخرى لأستنزاف ممتلكاتك بطريقة ما. الآن أنت لست قاصرة ويمكنك طلب مراجعة للحسابات. هل تودين أن أنظم ذلك لك؟»

«أوه.. نعم. أرجوك».

«وبخطة الأغنام هذه. ما الوضع هناك؟»

«يوجد مدير يتولى أمرها. وهو هناك منذ أعوام وأنا أعرف أن والدى كان يثق به. إنه يديرها كأنها ملكه».

«حسناً. هل أنت الآن على ما يرام».

وضعت سيرينا بينا نظر سين إلى وجهها الشاحب ورموشها المسدلة وهى تعبث بأحد أزرار قميصه. وعندئذ رفع رأسه وحدق عبر الحجرة بدون تركيز وقد التوت شفتيه بعض السخرية الخفية. ولكنه قال: «أنا لا أدرى عنك. ولكننى أشعر بالجوع».

هبت سيرينا واقفة وضربت يدها على فمها قائلة: «لقد وضعت كسرولة فى الفرن. إنها تحتاج إلى ساعة واحدة فقط».



لقد مضى حوالى ساعة واحدة».

«كل هذا؟ إننى أشعر كما لو أن حياتى قد دارت بما يشبه العالم الصغير. أوه.. مسكين يا بيل. أنا أشعر بالذنب لأننى عرضته لكل تلك المتاعب. ولكنى سأحتفظ ببعض الطعام لعشائه. ولكننى لم أجد فرصة مطلقاً لأسألك.. هل قمت بأصلاح تلك البئر».

«نعم».

«حسناً» سحبت سيرينا نفسها من فوق صدره وأستدارت تبتسم له وقالت: «لازلت لا أعرف كيف أشكرك. ولكننى سأحاول أن أكون معلمة نموذجية من الآن فصاعداً. ولذلك فلن تندم على ما فعلته لأجلى».

قال بجدية: «أنا لم أبذل جهداً كبيراً». كان صوته جاداً ولكن كانت عيناه ساخرتين.

«لم لا؟»

هز كتفيه وقال: «كنت أفضل لو أنك تعاملت مع الأمر بأعصاب هادئة. ما عليك سوى الأستمرار مثلما كنت».

فكرت سيرينا ملياً ثم قالت: «بالتأكيد سيكون أسهل الآن فأنا أعرف أنك لا تتوقع منى... أن... حسناً. أتساءل عما إذا كنت سأندفع مهاجمة الرجل القادم الذى ينظر لى».

«أنا أعتذر عن ذلك. ولكن يجب أن تعترفى بأنه لولا قدرتى على قراءة الأفكار.. لكان ذلك مجرد أفتراض ذا قيمة».

وهرة أخرى فكرت سيرينا ملياً.

تمتم سين: «فى وقته»

لوت سيرينا فمها وقالت: «أظن ذلك. ولكنه شىء مضحك جداً».

رفع سين حاجبيه.

وتابعت: «حسناً. فى الواقع أننى العكس تماماً».



قمر الليل

« ذلك .. أمكن تعييره » .

هزت كتفيها وقالت : « لا أشعر بذلك » .

سألها وهو يرمقها بفضول غريب : « هل سبق أن اختلطتي مع أي أولاد ؟ »

« غير حقيقي .. لقد ذهبت إلى مدرسة بنات . وعندئذ .. »

« في الوقت الذي أصبحت فيه مشدودة للأولاد تدخل والف وزوجة أبيك . إنك إذا استطعت فسيان كل ما يتصل بذلك قريبا .. تجدين الأمور قد سارت في مسارها الطبيعي » .

فكرت سيرينا قليلاً ثم قالت : « هل تقصد أن نموي كان مقيداً إلى حد ما ؟ ولم يسلك الطريق الصحيح ؟ إن .. » وصمتت ثم ابتسمت فجأة .

« ماذا هناك ؟ »

« فقط رأيت أن ... حسناً .. أنه فعلاً شيء مضحك .. هل تعلم » .

قال سين في صبر : « لا ... ماذا هناك ؟ »

يبدو كما لو أنك لا تجد بأساً في أخذ صديقاً من الشباب الآن بينما فيما مضى .. » ولاحت على شفتيه ابتسامة ساخرة . وقال : « أنا المتكلم » .

قالت سيرينا بحرج : لكنني لا أظن أنها ستكون مشكلة . إلا إذا استطعت العثور على شخص ما مثل .. » وصمتت فجأة وأتسعت عيناها البنفسجيتان ويسرت الدماء بغزارة إلى وجنتيها .

وكرر : « تعثرين على شخص ما » .

وغمغمت : « لا شيء ... أنا لم أقصد ... أوه » . وغطت وجهها بيديها في اضطراب .

قال في استغراق : « سيرينا » كانت عيناه رمادية وجامدة . وتابع قائلاً : « ماذا غريبة بي الآن ؟ » أندفعت نظرتها تلافي نظراته وهو يستطرد قائلاً : « هو نوع من شخصية الأب .. المدافع » وصمت .

وهمست : « نعم ... نعم . لابد أن يكون كذلك » .

إبتسم سين إبتسامة باهته وقال : « وعندما تلخصين من أمتنانك الزائد



نحوه محاولة إرساء إحساس سلم بلا شك . أقصد أنه سيكون هناك لحظات أحبك فيها بعدم الأمانة . والعكس بالعكس مثلما حدث بعد ظهر اليوم » .

تلعثمت سيرينا وهي تقول : « أنت ... هل سمعتني ؟ »

« لم يكن ضرورياً . لقد كنت تلوحين بقبضتك في وجهي » .

وسألت في صوت شاعر بالذنب : « لم أكن . أليس كذلك ؟ »

وأجاب : « كانت إشارة مشهد بذلك » واختلجت عيناه بالضحك .

حدقت فيه سيرينا وقد داخلها مزيج من الانفعالات ... وربما عبا ... اضطرت للضحك .

بعض سين وعيناه بشعرها قائلاً : « هذا أفضل ... سوف نعود تماماً [illegible] وفي هذه الأثناء فلابد أن كسرولتك قد تم طهيها بدرجة زائدة [illegible]

وتعلقت سيرينا . وقالت لنفسها أستمروا في نسيان ذلك الشيء البسيط . سأذهب » . ثم تحولت بوصة واحدة وأضافت في خجل قاتلة : « هناك شيء واحد ... مهما يكن فسوف أظل دائماً مدينة لك . وليس بإمكانك أن تقول شيئاً بغير رأيي » .

قال لها مؤكداً : « إذن لن أفعل بمجرد المحاولة » .

بددت له نظرة مرتابة وهي تحس بالأرتباك وكما لو أنه لابد من وجود وسيلة خبيثة على أخذ كلامها مأخذ الجد . ولكن عندما ثنى ذراعيه أمام صدره رفع أحد حاجبيه ناظراً لها بدأ أن التعقل خير من الشجاعة وتركت الفجوة في وقار .

ولكن رغم جهود سين لإعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي إلا أنه بدا أن بعض الرشد الغريبة لما حدث قد بدأت تعتمل في عقل سيرينا : أحد لم يكن حديداً . فقد أستحوذ عليها نفس الأحساس بأنها على حافة شيء ما لا تستطيع أن تدركه رغم أنها تعرف الآن أنه يتعلق بسين .

رد الفعل الآخر كان بالتأكيد يتعلق بسين . وقد تجلى ذلك في



www.liilas.com

الصباح التالى مباشرة على مائدة الأفطار الذى تناولته معها سين لأول مرة.

قدمت له سيرينا بعضاً من اللحم المقدد والبيض. وقالت: «هذا شيء غير عادى. لقد أستيقظت من إنبثاق الفجر لأعد لكما شيئاً ولكن بيل خرج».

ولم يزد سين على أن همهم. وبعد برهة نظر فى عبر المائدة وقال: «سيرينا.. كان من المفترض أن أذهب إلى بريزبان بالأمس لظروف العمل ـ وهى مدينة ساحلية فى الواقع ـ ولكننى أجلت ذلك..»

وردت بسرعة: أنا أعلم... لا... لقد أخبرتنى السيدة ديفيز».

«حسناً. لقد تلقيت مكالمة تليفونية بالأمس. ولا أستطيع تأجيل هذا الأمر أكثر من ذلك. وسوف أطير إلى هناك هذا الصباح».

وحدقت فيه وقد فغرت فمها. وقالت: «تطير؟»

«سيكون بيل هنا. وسأطير بنفسى إلى هناك.. وستأتى سوزى جونز للبقاء معك أثناء الليل».

«أوه».

قال سين فى تؤدة: «سيرينا... إن رالف لن يعود مرة أخرى».

«لا».

«سيرينا».

ونهضت قائلة: «كل شيء على ما يرام. سأكون بخير». وأخذت تجمع بعض الأطباق وتحملها إلى المطبخ وتبعها سين وقال: «لماذا إذن يبدو عليك الشحوب والخوف».

«أنا... أنا لم أدرك ذلك.. بيل..» وتوقفت لحظة ثم تابعت: «بيل سيكون بالخارج وربما يتأخر... هل يمكننى الذهاب معه؟»

«نعم إن أردت ذلك. هل تعلمين أنك ستكون آمنة مع بيل وكأنك معى؟»



«بالطبع... لا يوجد ما يدعو للقلق.. كل ما فى الأمر أننى كنت مرتبكة».

قال سين بهدوء: «نعم».

جلست سيرينا على الأرض فى حجرة نومها تداعب روبرت، وتنتظر أن تسمع صوت إقلاع الطائرة. ولكن ما سمعته أخيراً كان صوت توقف لاندروفر عند بوابة الحديقة. وأفترضت أنه بيل.

ولكن الخطوات التى سمعتها قادمة عبر المنزل تجاه حجرة نومها لم تبد مثل خطوات بيل. وقطبت جبينها وعندما رفعت بصرها وجدت سين واقفاً على حجرتها.

شهقت قائلة: «أنت... ولكن هل حدث خطأ ما؟».

نظر لها سين بوجه جامد لما يقرب من عشر ثوان. ثم قال «لديك خمس دقائق لتجمعى بعض الحاجات فى حقيبة ملابس».

«آه... لكننى لا أفهم».

قال فى صبر ساخر: «الأمر بسيط.. سآخذك معى».

«ولكن... لماذا؟»

«إذا كان لابد أن تعرفى. فإن فكرة جلوسك هنا يائسة وحيدة قد أثارت... صغيرى.. هلا ذهبت لجمع ملابسك أم أننى يجب أن أفعل ذلك لك؟»

«سين» ونهضت سيرينا تابعت: «لا يمكننى المجىء».

سدد سين بصره إلى السماء وصر على أسنانه بشدة قائلة: «لما لا؟»

أشعر أن... لقد كان هناك ما يشغلنى و...» وتوقفت فجأة وقد بدا عليها بعض العجز. وأنثت وانفطت روبرت عندما تكور حول كاحلها. وأضافت: «وعلى أية حال.. هناك روبرت».

«هل تقصدين ذلك القط الضئيل؟»

لقد تضاعف حجمه فى الواقع ولكن لا يزال يجب علىّ أن أطعمه من حين



www.liilas.com

لآخر».

قال سين باقتضاب: «أحضريه».

«سين».

ورمقها على نحو خطر وقال: سيرينا. أحضريه فى سلة أو أى شىء. أن تأخرى يزداد كلما مر الوقت».

وصاحت بصوت باك: «ولكننى أشعر بالخوف الآن».

«أنت تدهشيننى. لقد ظننت أنك ستتجمدين من الخوف لبقائك هنا بدونى؟»

تورد وجه سيرينا وقالت: «إنه مجرد... حسناً. لقد كان ذلك بالأمس فقط وقد كنت أحلم برالف فى الليلة الماضية كما تعلم. أما الآن.. فسوف... أنا متأكدة أننى سوف...»

قال سين بلهجة آمرة: «إذن فى هذا الوقت أفضل بالضبط ما يقال لك. وبالمناسبة فهذا أمر من مخدومك وقد كان صبره ينفد».

«حسناً..»

وأقسم سين فى صوت هادىء.

قالت: «سوف آتى».

بعد إقلاع الطائرة قالت فى قلق: «لقد داربخلدى شىء ما».

رفع سين حاجبيه بينما تابعت:

«ربما يعترضون على وجود قط فى الفندق.. حتى ولو كان قطاً صغيراً مثل هذا».

«لن نقيم فى فندق؟»

«لن نفعل؟»

«لا. أحد أبناء عمى وزوجته لهما منزل فى جزيرة كابرى على الساحل الذهبى. وسنقيم هناك».

«هل سيجدون بأساً... فى وجودى».



«لا أظن ذلك. إن ديس ولورين ليس لديهما أطفال وبالتالى فهما يحبان أطفال الآخرين».

«أنا لست..»

«أنت لازلت صغيرة إلى حد كبير. ولورين كبيرة بدرجة تكفى تماماً لأن تكون أمك».

«أوه».

«ولذلك فبينما أدير أنا وديس أعمالنا يمكنك انت ولورين أستعراض واجهات المحلات. أياً.. كان تحبين؟»

قالت سيرينا: «أنا أفهم».

«هل يعجبك ذلك؟»

«نعم».

قال سين فى حيرة: «أية أمور أخرى؟»

«أنا... لا».

وعلق قائلاً: «أنا أفضل لو أنك كنت أمينة معى». والتوت شفتاه بابتسامة ساخرة.

وعضت سيرينا شفتها وقالت: «إنه مجرد... حسناً. أنا أشعر بدوار قطع. وأنا أعرف أنك ساخط على» وأسرعت تقول بلهجة مؤكدة: «ولا القى عليك بأقل لوم فى ذلك» وأضافت بصوت لا يكاد يسمع: «لكننى أفضل أن أكون فى سجلاتك الطبية».

كان سين صامتاً وقد ركز أنتباهه على قيادة الطائرة. وبعد برهة أخذت سيرينا تحدق من نافذتها إلى الخارج بدون أن ترى شيئاً وهى تتمنى لو أنها لم تهمس بتلك الكلمات. وأحست بالذنب والحماقة.

وعندئذ رفع إحدى يديه من على أجهزة التحكم وغطى بها قبضتيها المتوترتين وقال بصوت مهدىء: إهدئى أيتها الصغيرة... أنت فى سجلاتى الطبية. كل ما فى الأمر أننى أكون أحياناً ذا شخصية خشنة بصورة تلقائية».



www.liilas.com

وغمر سيرينا طوفان من السعادة الحادة. وتجلى ذلك فى أبتسامة متألقة. ورد بإبتسامة شابتها السخرية.

عندما أستعدت سيرينا للعشاء فى تلك الليلة قالت: «روبرت... أنا أشعر كما لو كنت أعذب نفسى. فها أنا ــ ها نحن ــ فى كنف الرفاهية ونعامل كأننا عائلة. ماذا بعد ذلك؟»

ودارت ببصرها فى حجرة نوم الضيوف فى منزل ديس وبنت وورث وزوجته لورين الذى كان يقع فى جزيرة كابرى. كان كل شىء أبيض ومزين ما عدا السجادة الصفراء بلون الكبريت وقد تمت زخرفة الحجرة (الديكور) على نحو خاص بالضيوف من النساء. ورغم رفاهية الحجرة الخاصة بسين والتى القت عليها نظرة خاطفة من خلال الباب المفتوح فإن الديكور بها كان مميزاً بلا ريب للرجال.

لم تكن متأكدة إذا ما كان سين قد أوضح لهم ظروف وجودها أم لا. ولكن بدا على ابن عمه ديس وزوجته لورين السرور لوجودها. وأكدا لها أنها لا يتخيلان عدم حضورها الحفلة الصغيرة التى يقيمانها هذا المساء.

«وهنا تكمن مشكلة يا روبرت» أوضحت سيرينا للقط الصغير الذى تكور راضياً فى سلته. ومرت ببصرها على محتويات الحقيبة التى كانت قد أفرغتها على السرير. وقالت: «لقد حزمت متاعى بسرعة لدرجة أنه لم يخطر ببالى أن أضع أى شىء به قليل من الأناقة بحيث يصلح للإرتداء فى حفلة هنا».

جلست على السرير وهى تعضه فى قلق بنان سبابتها. كان كل ما حوها فى هذا المنزل ينبض بالأناقة المتميزة. وكانت مضيفتها تمثل خلاصة ذلك.

وقفزت لدى سماعها طرقة خفيفة على بابها. وقالت بعصبية: «ادخل».

ودخلت لورين... كانت شقراء... رشيقة. ولكن كانت عيناها الزرقاوتان يشع منها عطف غير عادى. ردت سيرينا أبتسامتها وقالت لنفسها: «ربما يمكننى أن أكون صادقة معها تماماً».



كتمت أنفاسها وقالت: «أنا.. هل تجدين بأساً كبيراً لو أننى لم آت إلى الحفلة؟ إنه... كل ما فى الأمر أننى لم أحضر معى ما يمكننى أن أرتديه. لقد غادرنا على عجل وكنت لا أكاد أعرف إلى أين سأذهب».

أغلقت لورين الباب. وقالت: «عزيزتى... نعم.. سأجد بأساً. وأنا متأكدة أننى يمكن أن أجد شيئاً لترتديه».

«أوه... ولكن».

«فى الحقيقة. هذا سبب مجيئى. لقد خطر لسين أنك لم تجمعى الكثير من متاعك.. والآن دعينا نرى» وتفحصت سيرينا بدقة وقالت: «أنا أطول قليلاً ن...» ومضت عيناها بالسخرية وهى تضيق: «وأسمن قليلاً» وأضافت «ولكن ــ وكما تعرفين ــ فيمكن للمرء أن يحقق المعجزات هذه الأيام بأستخدام الأحزمة. يمكنك أن ترفعى البلوزة وتتركيها تنعدل فوق الحزام. سوف أذهب وأحضر قطعتين من الثياب ولنرى ما يمكننا عمله».

«حسناً» قالت سيرينا بإرتياب. ولكن كانت لورين قد ذهبت.

وبعد فترة كانت لورين تتمتم قائلة: «همم... ما رأيك فى هذا؟»

إنعكست صورة سيرينا من المرآة تحملق فيها.. شابة.. وفورة.. وأنيقة فى ثوب من قطعتين. بلوزة عاجية اللون ذات أكتاف مبطنه وأكمام طويلة ضيقة. وكانت تحيط خصرها بحزام بينما تدلت البلوزة فوق تنوره (جونلة) أرجوانية منتفخة. وعقدت شعرها خلف عنقها برباط أرجوانى متوافق مع زيها.

فتحت سيرينا عينيها بدهشة.

وسألتها لورين: «ألم يعجبك؟»

أجابت سيرينا بصوت تغلفه الرهبة: «لقد أحببته... إنه يجعلنى أشعر... لست أدرى. نعم. لقد عرفت... إنه يجعلنى أشعر كما لو كنت ريفين».

ضحكت لورين قائلة: «هل هذا أحد طموحاتك؟»

«بل مجرد أننى رأيتها مثل ذلك... حسناً أيا ما تريدينه فإنها تبدو فى صورة



www.liilas.com

طيبة تجعلها مرغوبة..»

«إذن فيجب أن أوافقك بأنك تبدين كما لو كنت قد قطعت مسافات شاسعة على صفحات الزواج».

أستدارت سيرينا بعيداً عن المرآة. وقالت بسرعة: «أنت عطوفة جداً. لست أدرى كيف أشكرك. أقصد أنك لم تكادى تعرفينني. وأنا مجرد غريبة».

رنت لورين على وجهها وقالت: «لقد قال سين أنك كنتِ أكثر من غريبة. لقد قال أنك كنتِ فرد من العائلة».

«سين» وأضطرب صوت سيرينا قليلاً وتابعت: «هل... إنني سأبقى مدينة له إلى الأبد».

بدا على لورين بعض التراجع.. وبعد برهة قالت في أستخراق: «يجب أن أعترف بأنك قد أثرت فضولي يا سيرينا».

أرتجفت سيرينا وهي تقول لها: «لقد أنقذني من كارثة مروعة. بل إثنتين في الواقع».

سألت لورين في تهكم: «كارثتان مروعتان؟»

«أعرف أنه يبدو... شيئاً غريباً لكنه حقيقي. لقد ظننت أن أخبرك؟ وأن هذا هو سبب عطفك؟»

«إنه لم يفعل.. حسناً. فقط قال أن رتشارد وكاميرون والسيدة دينسي قد ذهبوا إلى سيدني مع ديلفين. ولذلك فأنت في أجازة من العمل. ولكن إذا كنتِ فيما قيل أشعر بفضول فإنني الآن متلهفة جداً».

وربما لأن سيرينا قد كتمت الأمر طويلاً بداخلها فقد قصت على لورين كل شيء ولكن بإختصار.

تعجبت لورين وقالت: «ولكن كم هو شيء مروع» كان وجهها يتبض حقيقة بالرعب والأهتمام. وتابعت: طفلتي العزيزة... أنا عاجزة عن الكلام».

قالت سيرينا بلهجة حادة واثقة: «ربما تفهمين ما أشعر به تجاه سين الآن.



سوف أفعل له أي شيء».

ضاقت عينا لورين قليلاً وهي تمتص الحماسة اللاواعية في وجه سيرينا. وقالت ببطء: «أنا... نعم. بالطبع أنا أفهم. أخبريني... ما رأيك في ديلفين؟ أقصد بصرف النظر عن مهارتها في إرتداء الملابس».

طرفت عينا سيرينا لدى هذا التعبير الواضح للموضوع. وقالت: «أوه... لقد أحببتها. أقصد.. أنها لا تستطيع تغيير حياتها ولكنني متأكدة أنها تهتم بالطفلين. وأعتقد أنه شيء يدعو للرثاء أنها هي وسين لا يستطيعا وأد خلافاتهما.. حيث أن كل منهما يهتم بالتوأمين كثيراً جداً».

وكان دور لورين أن تطرف عيناها. وترددت ثم قالت أخيراً: «نعم».

وسألتها سيرينا: «ألا تحبين ديلفين».

ترددت ديلفين مرة أخرى وتنهدت قائلة: «إنها قاسية. لقد كنا جميعاً مغرمين بأندرو. هل تدركين ذلك؟».

وافقتها سيرينا بفهم وقالت: «نعم. لقد فكرت من قبل في أنه لو كان أخي فربما لم أكن قادرة على النظر للأمور بمثل هذا الحياد. حسناً» وأستدارت بخفة إلى المرآة فأنتفت تنورتها على ساقيها برشاقة وقالت: «أنا جاهزة. هل هناك ما يمكنني عمله للمساعدة. أرجو أن تعطيني الفرصة. فأنا أشعر بالذنب لتطفلي على حفلتك ولتجريد خزانة ثيابك. فهلا فعلت».

«أنا... أنا كنت وشك وضع اللمسات الأخيرة لبعض الأطعمة الفاتحة للشهية ثم أسرع بتبديل ملابسي..»

«يمكنني عمل ذلك.. كل ما أحتاجه هو مريلة».

كان سين هو أول من قابلته سيرينا بعد ما أتمت ما رأته أنه إمساخ تام في ملابس لورين. كانت قد أنتهت لتوها من وضع اللمسات النهائية لبعض الأطعمة الفاتحة للشهية. وقد فعلت ذلك بطريقة فنية قدر ما أستطاعت. ثم غسلت يديها ونزعت مريلتها. ووقفت تتأمل في إعجاب صنع يديها في



قمر الليل

المطبخ ذى الألوان الزرقاء والبيضاء. وعندئذ دخل سين مرتدياً بدلة زرقاء داكنة وقميصاً أبيض وقد أمسك فى يديه برابطة عنق محططة باللونين الرمادى والأزرق الفاتح.

هتفت سيرينا: «أوه» وأجرت عينيها البنفسجيتين على جسده.

وقالت: «أنت تبدو مختلفاً».

سألها بومض ساخرة: «أفضل أم أسوأ؟»

تأملته سيرينا بشعره الأسود المصفر الممشط جيداً وحذاءه الجلدى اللامع وأستقرت عيناها على المنديل الأبيض المعد الموضوع فى جيب سترته. وعندئذ ابتسمت قائلة: ليس أفضل ولا أسوأ. ولكن كأنك شخصين... شخص متحفظ هنا وشخص منطلق هناك. أنت هنا شخص وسيم جداً غير أننى لا أعرفه جيداً مثلما كنت ذاك الشخص المنطلق هناك فى روزوود».

«إسمحى لى أن أرد التحية. أنت أيضاً تبدين غير عاديه».

ودار حولها ثم أستند إلى إحدى المناضد وشد رابطة عنقه بين أصابعه.

قالت: «الا تحبها؟»

أحبها».

أبتسمت سيرينا وغمغمت: كنت أفضل أن تكون أمينا معى». وفكرت له من بين أهدابها.

وأبتسم أبتسامة مقتضبة وقال: «حسناً. أنت تبدين جميلة وذات زينه واضحة إلى حد ما ولكن فى نفس الوقت تبدين كما لو كنت تحضرين نزهة لمدرسة الأحد. قد تكون توليفة خطرة».

أحست بما يشبه الأهانة للحظة ثم بدأت تضحك. وقالت أخيراً: «إذا كنت أبدو كأننى ذاهبة إلى نزهة مدرسة الأحد.. التى أتخيلها مليئة بالمرح وأحلام الطفولة ـ فذلك لأننى أحس كأننى أحمل أثقال العالم فوق كاهلى. ولأن كل فرد يعاملنى بلطف بدرجة لا تصدق. ولكننى لا أدرك وجه الخطورة فى ذلك».



قال بلهجة جافة: «هذه هى المشكلة». ولكن عندما خفضت سيرينا رأسها إعتدل فى وقفته وسار إليها ومس وجنتها بخفة قائلاً: «متعى نفسك أيتها الصغيرة. أنت تستحقين ذلك بالتأكيد».

* * *

بعد حوالى ساعة كانت الردهة الجميلة لمنزل ديس ولورين تعج بالناس وقد تم تزيينها باللون الأخضر المصفر ومزيج من الزهور القرنفلية. وقد تم تقديم سيرينا إلى كثيرين منهم ببساطة على أنها سيرينا سانت جونز ولم تكن هناك أى أشارة إلى أنها موظفة عند سين. وقد خطر لها أن تضيف هذه المعلومة من تلقاء نفسها ولكنها ظنت أنها قد تبدو عندئذ غير لبقة على نحو شاذ.

ولم تكن تعرف سبب إقامة هذه الحفلة حتى نقر ديس على كوبه دعوة للصمت. والقى كلمة قصيرة. قال: «أصدقائى... شكراً لكم جميعاً حضوركم خاصة وأنها جاءت حفلة على عجل. وفى الواقع فقد كانت فكرة لورين أن نحتفل بـ... حسناً. بهذا الحدث الهام فى حياتنا. هذا الحدث هو أننا... أنا وسين قد أشترينا اليوم بالمشاركة سوياً محطة ريتاوكا داونز».

وعمت المكان شهقة عدوية. وهز صدر ديس وسين بعاصفة من التهانى.

وعندما هدأت الجلبة قال ديس بحزن: «وكما تعلمون جميعاً. وأنا آسف إذا بدوت معتداً بنفسى فإن هذا يعد مفخرة وشارة شرف لنا.. ليس هذا فقط بسبب التاريخ المرتبط بريتاوكا ولكن لأن هذا سيزيد كثيراً من أمكاننا فى مجال تربية الماشية. ويجب أن أضيف» وأستمر متجاوزاً صيحات الأستحسان قائلاً: «أن معظم الفضل فى ذلك يرجع لأبن عمى سين. فبفضل إدارته الممتازة لروزوود وبالتالى أرباحنا المتزايدة هى التى مكننا من شراء ريتاوكا. وأقدم لكم سين وبنت وورث».

ومن خلال الصيحات القلبية التى أنطلقت عدوية حملقت سيرينا بعيون واسعة فى سين. وأحست كما لو أن قلبها يتفجر. كان يبتسم أبتسامة



www.liilas.com

مقتضبة تكاد تكون أبتسامته الساخرة التي تعرفها جيداً. ولكن بدا عليه الأرتياح عندما هبت لورين لتجدته بأعلامها أنه قد تم إعداد عشاء خفيفاً. ومرة أخرى كانت مدركة لإحساسها أنها على شفا أكتشاف ما عظيم. وقد دفعها ذلك للعبوس في أحباط.

كان لابد أن يزعجها إحساسها بذلك الشعور فجأة أثناء العشاء. أخذتها المفاجأة في البداية وأحست بالدوار. ولكن بعد لحظة أو لحظتين لم تستطع إدراك كم كانت عمياء.

رأت سين يتحدث إلى أمرأة رائعة الجمال. كانت تبدو في بداية الثلاثينيات من عمرها.. ذات شعر فاحم... تتحلى بذهب غير براق. وكان يبدو عليها الذكاء والزينة البالغة والمستوى الأجتماعي العالي. ولكن ما أخذ بلب سيرينا في الواقع كان شيئاً ما في نظرة سين المتأنية وهي تستقر على المرأة التي كانت تتحدث بحيوية. وحدثت نفسها.. إنه مشدود إليها ويجدها مرغوبة.. أوه. يا إلهي. لماذا يجعلني ذلك أشعر... بالبؤس التام؟

لم تتأخر الأجابة طويلاً. أستدارت بعيداً وقد دار عقلها مدركاً أنها كانت تفعل المستحيل من وجهتين. لقد سقطت في الحب عندما ظنت أنه لا يمكن أن يحدث لها. ولكنها أيضاً وقعت في الحب من رأسها إلى أخمص قدميها مع سين وبنت وورنت.

وتعجبت بشدة.. كيف خدعت نفسي، وحتى.. حتى بعد رالف عندما قلت ما قلت وأقنعت نفسي أنه لابد على حق في أنه قد أصبح يمثل لي شخص الأب... أتراه فهم شيئاً؟

وأغلقت عينيها في رعب وأستدارت في رجفة لتصطدم فجأة برجل أسمر طويل كان يقف وراءها مباشرة.

همست: «آسفة».

أجابها: «لا شيء. في الواقع كنت أريد التحدث إليك لأنني متأكد أننا تقابلنا في مكان ما.



ورمقته سيرينا بنظرة خاطفة وهي متحيرة. وقالت: «لا أظن ذلك».

قال بصوت هادىء: «إذن دعيني أقدم نفسي... ريج فيندلي. لقد كنت زميل سين في الدراسة. هية... يبدو عليك بعض الشحوب. إن نخوهنا حار بعض الشيء. ما رأيك لو أحضرت لك شراباً منعشاً لتتناوله في الشرفة».

«أنا... حسناً. شكراً لك. مجرد شراب مرطب».

كان الهواء منعشاً وبارداً في الشرفة التي تطل على نهر نيرانج. وبرق ضوء القمر على سطح الماء عندما قفزت إحدى سمكات البوري الصغيرة في المياه لترقرق الماء وأنتشرت به موجات دائرية صغيرة أخذت في الأتساع.

سألها فيندلي: «أفضل؟»

«نعم شكراً جزيلاً لك» ورشفت عصير الليمون ولكن كانت لا تزال هناك نظرة تساؤل ذاهلة في عينيها.

سألها ريج فيندلي بتلقائية: «أنت من أصدقاء سين؟»

«أنا أعمل لديه».

«الآن... في أي وظيفة».

شيء ما في صوته أثار القلق. بداخلها. ولكن عندما أستدارت تنظر إليه لم يبد على وجهه سوى اللطف والأستفهام المهذب.

«أنا... مربية... لريتشارد وكاميرون».

«أوه.. أطفال ديلفين... إذن فأنت تقيمين في روزوود؟ مع سين؟»

«نعم. نعم» وافقته سيرينا ولكن بعض الريبة لأنه أصبح الآن يبتسم لها إبتسامة واسعة. إبتسامة بغيضة فضولية. وتلعثمت قائلة: «ما.. ماذا في الأمر؟»

وقال ريج فيندلي متشدقاً: «مجرد أنني لم أكن أصدق ذلك عن سين. إنه يدعي دائماً شخصين ذات مثل أخلاقية عالية». وهز كتفيه قائلاً: «بل إن ديلفين أصطدمت بها بشدة» وحدق فيها بطريقة جعلت الدماء تندفع إلى وجنتيها. وقال: «ومع ذلك فأنت جميلة إلى حد يغري

أفضلت ـ لقد رأيت ذلك لأول مرة عندما التقيت بك منذ شهرين».

وداخل سيرينا شك مروع جعل وجهها يسحب فجأة بشدة مثلما كان متورداً بشدة».

وهمست: «ماذا تقصد؟»

«أنا أتحدث عن ملهى بليكان يا محبوبتي. لقد كنت تعملين هناك في مضى. أليس كذلك؟ أنا لم أنسى أطلاقاً هذه العيون البنفسجية».

«أرجوك».

ولكن لم يكن ريج فيندلي لينوقف. وأدركت سيرينا متأخرة أنه كان يقف بينها وبين الباب. ولذلك كان منقذها الوحيد للهرب هو التسلق عبر دار بزين الشرفة. وتقهقرت إلى أحد الجدران بيما تابع:

«أظن أن سين إذا أراد أن يستخدم مسمى «مربية» ليخفي خدماتك فهذا فعلاً يبدو شيئاً بارعاً لأنني متأكد تماماً أنه لا يستأجر مربية ـ مربية حقيقية ـ من مكان كهذا إلا كان يبدد نقوده. كما أنني لا أظن يصطحب المربية إلى حفلة كهذه. لابد أنك..» وتوقف مستغرقاً ثم تابع: «لابد أنك شهوة عابرة في فراشه يا حلوتي لكي تصلي إلى هذا المكان. وخاصة عندما جثى ثمار غرسه لأعوام. ولكن أنصتي» وقبض على كتف سيرينا وجذبها إليه حتى أصبحت أنفاسه تصطدم بوجهها وقال: «إذا تعبت منه فتبيني ـ أنا في السجل ـ لأنك ستجدينني محباً كريماً يا حلوتي. وبالأضافة لذلك فأنا لم أتوقع أن تتنكري كمربية..»

أغمضت سيرينا عينيها. ولكن سرعان ما فتحتها بعد لحظة واحدة لدى سماعها صوت ما. وبعينيها المروعة رأت سين يلوح خلف ريج فيندلي. وببطء قبض على كتف فيندلي وأداره.. وجمع قبضة يده الأخرى وهوى بها على فك ريج فيندلي.

صدر صوت أرتطام مكتوم عندما تراجع فيندلي وسقط على منضدة من الحديد المطاوع وتمدد على ظهره. وأندفعت عيناها تنظر إلى سين ثم سرعان ما أنصرفت عيناها إلى المدخل المفضاء المؤدي إلى الردهة لترى



حشداً من الضيوف يتدافعون في شك ورعب لدى الباب. وتحولت إليها نظراتهم تفحصها بدرجات متفاوته من التأمل... عندئذ أحست أنها يمكن أن تموت من فورها في هذا المكان... وبحركة متشنجة وجدت ملجأها في الفرار بإضطراب إلى الباب. وزاغت من يد سين وأنشطر الجمع الواقف بالباب كي يفسح لها طريقاً.

جرت عبر الردهة ثم صعدت إلى حجرة نومها ذات الألوان البيضاء والصفراء. وأغلقت الباب وأستندت عليه لاهثة للحظة. ثم أندفعت إلى داخل الحجرة وجذبت حقيبة ملابسها ووضعتها على السرير وفتحتها.

لم تتردد لورين في طرق الباب. ولكن كانت سيرينا قد حزمت متاعها ما عدا سروال من الجينز وبلوزة وضعتها على السرير. كانت قد خلعت الثوب الجميل ذي الألوان الأرجوانية والعاجية. ووقفت في وسط الحجرة بقميص داخلي قصير يكشف عن ذراعيها ومعه تنوره قصيرة أيضاً.

هتفت لورين وهي تخطو عبر العتبة: «طفلتي العزيزة».

أدارت لها سيرينا وجهاً معذباً شاحباً. وهمست: «أنا... أنا سأرحل... أرجوك لا تحاولي إيقافي».

«لكن لماذا؟ أنت..»

قاطعتها سيرينا: «أنت لا تفهمين. لقد لطخت العار بسين. وسيكون هذا هو الحال دائماً. وليس ذلك فقط. فأنا لست شيئاً سوى المشاكل».

فتح الباب مرة أخرى ودخل سين. وجال ببصره في المكان ورأى أستدارة سيرينا بعيداً في عصبيه. وقال: «شكراً يا لورين. سوف أتعامل مع هذا».

ترددت لورين قليلاً ثم خرجت.

قال سين بهدوء شديد: «سيرينا... أنصتي لي».

«أنا... أنا لا أستطيع».

«نعم، يمكنك... هل تعلمين؟... لقد غيرت رأيي» قال ذلك وأنتظر.



www.liilas.com

« غيرت رأيك ؟ » وحاولت سيرينا أن تفهم بينما كانت لا تزال تعطيه ظهرها . وتابعت قائلة : « بخصوص ماذا ؟ »

« بخصوص زواجنا . ولذلك فمن الأفضل أن تفرغي محتويات حقيبتك » .

# الفصل السابع

## ( أقف على رأسي أم على قدمي )

جمدت سيرينا .

وهمست : « تتزوج ؟ »

وغمغم سين ثم قال : « أعتقد أنها فكرة طيبة لعدة أسباب » .

وأخيراً أستدارت قائلة : « سين » ثم أضافت بصوت متوسل : « لا ... أرجوك لا تفعل . الأفضل أن أرحل تماماً » .

وتفحص وجهها الذاهل المكتسي بالرعب وهي تحتضن ثوب لورين . وكانت العقدة الأرجوانية لا تزال في شعرها . ولوى شفتيه وقال : « ألا توجد لديك مجرد الرغبة في سماع أسبابي . بالأضافة لذلك فقد كانت فكرتك أصلاً » .

وتلعثمت قائلة : « لقد كان .. لقد كان ذلك قولاً مضحكاً . لا يمكن أن تكون هناك أي أسباب لنا ... لنا ... »

وتقدم نحوها تراجعت وكررت في صوت مختنق : « لا ... أرجوك » .

« ماذا تظنين أني سأفعل ؟ »

« لا أدري .. سين » ولكنه أنتزع الثوب من بين يديها . ولاحظ نظرتها اليائسة إلى جسدها الذي يكاد يكون عارياً . والتقط رداء سميكاً من على السرير وناوله لها .



www.liilas.com

وأندفعت بداخله. وبينما كانت لا تزال تشد الخزام قادها إلى كرسى أمام منضدة الزينة وأمرها بالجلوس.

وجلست بينما أستند بأحد كتفيه إلى الحائط بجوار منضدة الزينة وذنى ذراعيه فوق صدره وهو يرقب وجهها المأساوى المرتبك تماماً.

ثم لوى قسمات وجهه وقال: «إن نهاية العالم لم تأت بعد.. أيتها الصغيرة».

همست في يأس: «إنه يبدو كذلك بالنسبة لى».

«لأننى أريد أن أتزوجك».

أندفعت عيناها تلتقى بعينيه وقالت: «لكننى لا أفهم».

«لماذا؟»

وجه سين نظرة خاطفة لأسفل إلى يده... يده التى ضرب بها ريج فيندلى. ولاحت ومضة ساخرة فى عينيه الخضراء الرمادية. وعلق قائلاً: «قد لا أكون فى منتصف العمر من ناحية أخرى». ثم تابع «على الأقل لو عرف الجميع أنك لى فسوف يتراجعون».

وتوسلت سيرينا قائلة: «أوه... أرجوك لا داعى للمزاح فى هذا الأمر». وتابعت «أقصد أن الجميع سيصيبهم الرعب إذا عرفوا أنك... تزوجتنى. إنه.. إنه لن يحتفظ بالأمر لنفسه الآن... هل سمعت..»

«سمعت معظمه».

«حسناً. على أية حال كان يمكن أن يكون هناك مئات من الرجال الآخرين الذين..» وأصابتها رجفة. وأضافت: «وكان يمكن أن يتكرر» وتابعت «رغم أن ذلك مجرد أحتمال على أية حال».

رفع أحد حاجبيه وسألها: «أليس كذلك؟»

قالت بحزن: «لا... لأننى سوف أرحل. ولن يوقفنى أى شىء تقوله يا سين» ونظرت له بعيون دامعة ولكن بملؤها التصميم.

إعتدل فى وقفته وقال بهدوء: «حسناً. إذا لم تسمحى لى بأن أذكر أسبابى فسأضطر لبيان الأمر لكى. أنت تعلمين أنك سمحت بأن أقبلك



ذات مرة أيتها الصغيرة عندما كنت تظنين أنك تتجنبين الرجال إلى حد بعيد». ومد يده يمسك بيدها وجذبها بوقفها على قدميها.

وشهقت: «سين».

قال ساخراً: «أنا أفهم... فى الحقيقة لقد سرقت تلك القبلة. ولكن للحظة قصيرة وقبل أن تتمادى فى الشجار والتزمت القاسى كنت قد... ثم خداعك. حسناً سأخذ خطوة للأمام لأننى أظن أن مرور الوقت وكونك... تتقين بى الآن ربما يسفر عن مفاجأة.

وهمست: «سين... سين» وتناوبتها نوبات الحرارة والبرودة. ولكن جذبها بين ذراعيه وقال بإبتسامة مقتضبة: «بالمناسبة أنا لا أحبذ فكرة أستمرار شخص ما فى توجيهك فى هذه الأمور».

وفيما بعد، عندما هدأت أنفاس سيرينا أخيراً.. احتواها بين ذراعيه مرة أخرى.

كانت مرتجفة منحيرة لدى ما بدر منها... ولكن لمسته وقبلاته الخبيرة أثارتها وجعلتها ترغب فى الأستجابة. ولقد فعلت فعلاً ولكن فى إرتياب. كان ذلك بعد أن نجح بطريقة ما فى أن يهدئ من روعها. لقد فعلت ذلك إلى حد أنه لم يعد لديه شك فى أنها ــ سيرينا سانت جون ــ قد سقطت فى الحب معه لأن كل ما كنت تحاول إخفاءه كان فى الواقع يخونها ويفصح عنها.

وحادثت نفسها بإستغراق: «ربما يمكننى أن أبرر».

وهمست: «سين».

أجابها بهمهمة خافته وهو يرتب على شعرها.

«سين» وتملصت منه وجلست على ركبتها فى الفراش. وأخذت تحدق فيه وقد أتسعت عيناها البنفسجيتان. وقالت: «كثير... كثير جداً من الأشياء حدثت خلال اليومين الماضيين».

ودفع يده خلف رأسه ونظر لها متهكماً.

«حسناً» ولعقت شفتها. وتابعت: «ربما.. لأننى لا أدرى إن كنت أقف



قمر النيل

على رأسي أم على قدمي... فقد حدث هذا».

«ماذا؟»

«أنت... أنت تعرف ما أقصد... هذا».

وسألها بتكاسل: «نحن... هذا ما تقصدين؟»

قالت في يأس: «سين... بالأمس فقط أخبرتني أنني صغيرة جداً بالنسبة لك وأنني لست من طرازك... وأنني لن... حسناً».

«هل تدفعينني للكلام؟ في الواقع لقد قلت لي كل ذلك يا سيرينا» وعقب «ولم تعطيني فرصة لأؤكده أو أنفيه».

«ولكنك عندئذ لم يراودك مجرد تفكير في الزواج مني».

«لم أحسب عندئذ أنك قد وقعت في الحب معي» ثم أضاف «ليس تماماً».

«أنا... أوه... أنت فعلت. أظن أنك قد عرفت قبل أن أفعل» ثم سألته في إتهام: «أليس كذلك؟» ثم عضت على شفتها وتغضب وجهها خجلاً.

لوى سين شفتيه ولكن كانت عيناه منتبهة وحادة. وقال: «الا ترين أننا نتجادل في أمور تافهة يا سيرينا وكأننا نحاول شق الشعره إلى نصفين؟»

وهمست: لا. بل إنه يعني أنني حتى لو كنت... سقطت في الحب معك وهذه معجزة حقيقية كما تعلم..»

«أنا أعلم فعلاً».

«ولكن لا يعني أنك قد سقطت في الحب معي. هذا ما أحاول أن أقوله».

مد يده وتناول العقدة الأرجوانية التي تفلت منها شعرها وتناثرت خصلاته. وقال بهدوء شديد: «أنت على خطأ في ذلك. فأنا أحبك فعلاً».



وتلعثمت: «ولكن... ولكن أنا لا أفهم» ثم تابعت في عناد: «أنا متأكدة أنني صغيرة جداً بالنسبة لك... على ما أظن. من الأفضل أن ننسى تماماً أن هذه المحادثة قد جرت بيننا. إن ما أحببته بي قد يكون هو ما تحسه تجاه... ربما أخت أو أي شخص يعاني من خط عاثر»

«أنا لا أهيم على وجهي محاولاً إقامة علاقة حب مع أي شخص أقابله يعاني من خط عاثر».

أرتجفت سيرينا. وقالت: «حتى هذه الليلة لم تكن قد أظهرت أي علامة لـ... لذلك».

قال بلهجة جافة: «ولن أهيم على وجهي مغازلاً البنات الصغيرات اللاتي يفقدن صوابهن رعباً من الرجال» ثم صاح «سيرينا..»

همست: «سين» ثم تابعت: «لقد كنت طيباً جداً معي.. أنا أعرف ذلك.. حسناً. لابد أنك قد أعجبت بي ولكن هذا ليس سبباً كافياً يرغمك في الزواج مني. أرجوك.. هلا كنت صريحاً معي؟»

جلس... ونزع رباط عنقه وأجرى يده خلال شعره قائلاً: «حسناً... أعتقد أن كلاً منا يحتاج للآخر..» وعندما أهتزت سيرينا وحاولت الكلام قال: «لا. أنصتي لي. أنت تحتاجين إلى من يدافع عنك. أعرف أننا يمكننا أن نستمر كما كنا. ولكن يبدو سخيفاً الآن. الا ترين ذلك؟ وأنا أحتاج...» وتوقف وتأملها بهدوء وتابع: «سيرينا.. شيء ما حدث لي ذات مرة لكنه لم يكن درامي مثل تجاربك. وعلى أية حال فقد كان ذا أثر مدمر علي. لقد تركني... ساخراً ومحرراً من وهم الحب».

فغرت سيرينا فمها وقالت بعيون ذاهلة: أنت... أنت تقصد أنك قد وقعت في الحب مع شخص ما لم تستطع الحصول عليه أو... شخص ما لم يكن يريدك؟»

«حسناً» ولاحت نظرة ساخرة في عينيه. وقال: «شيء شبيه بذلك».

«أنا أعجب من ذلك..»



www.liilas.com

قال ساخراً: «لازلت أذكره».

«ولذلك ...؟ ورغم هذا لا يمكنني تخيل أنسانه لا تريدك. ولكن..»

لوى سين شفتيه ولكنه قال بصوت خفيف: «شكراً لك. و..»

ولكن برغت نظرة فهم في عيني سيرينا البنفسجيتين. وسألته بصوت مبحوح: «والآن فأنت تفضل أن تتزوج إنسانه... تثق بها من أن تتزوج إنسانه تحبها بجفولة؟ هل هذه هي الحقيقة؟»

ضاقت عيناه ولزم الصمت للحظة ثم قال: «وأحبها كثيراً وأعني بها».

«أوه» كان دور سيرينا لتلوذ بالصمت وتخفض بصرها محدقة في غطاء السرير الأبيض. وسألته قائلة: «هذه الـ... المرأة الأخرى... أليس هناك أي أمل».

«على الأطلاق» قالها بهدوء ولكن بتأكيد شديد. وينوع من... وتساءلت أي نغمة تلك التي تبدو في صوته؟ القسوة التي يستحيل أسترحامها؟

قالت بصوت مخادع ترمي إلى إيقاعه: «أيمكن... أيمكننا أن نجعلها صفقة عمل؟»

أجابها: «أنا أستطيع.. إذا رأيت أنك تستطيعين». ثم أضافت عندما رأى الحيرة في عينيها: «ما ظننته ذات مرة حباً كان نوعاً من الجنون. وها... نحن كما قلت أنت منذ قليل... ضرب عذباً من رجاحة العقل على ما أعتقد. الا ترين ذلك كفيلاً بخلق تفاهم طيب؟»

«سين...»

«بل حسب وجهة نظرك فقد قلت لي ذات مرة أنك ترين لدى الكثير مما يمكنني تقديمه».

تورد وجه سيرينا شرعت تقول: «إن..»

ولكنه تابع قائلاً: ومن وجهة نظري — وبصرف النظر عن وضوح ذلك — فإن بيننا أموراً كثيرة مشتركة أنت تحبين نوع الحياة التي أسعى إليها. والآن



هناك وبناؤها بما تستلزمه من جهد وتخطيط و... وخطط أخرى يجب وضعها».

وسط يده وأحاط وجنتها بكفه وقال: «أنا متأكد أن مثل هذه المرأة البارعة ستكون أماً عظيمة ذات يوم».

همست: «أوه. سين». ومر بخيالها صور الخوف والوحدة خلال العامين المنصرمين. وتخيلت أنها قد أصبح لديها أولادها هي لتعنى بهم. وكذلك عائلتها الخاصة جداً. وتخيلت حبها مع سين وحبها له. ولكن...

قالت أخيراً بعينين معذبتين: «لست أعرف ما يجب عمله؟»

أجابها سين: «حسناً. أنا أعرف» وجذبها مرة أخرى بين ذراعيه. ولكن عندما راحت تدس وجهها بين كتفيه أمال ذقنها لأعلى وقبلها.



www.liilas.com

# الفصل الثامن

## (باندورا)

فتحت سيرينا عينيها. ووجدت نفسها تحدق فى عينى سين.

قال: «هيه».

همست: «هيه».

«على ما يرام؟»

«أظن ذلك».

إبتسم إبتسامة بسيطة.

وصححت سيرينا قولها: «أقصد أننى بخير... بل إنه... حسناً إنه شىء لم أفعله من قبل على الأطلاق. ولذلك فإذا كنت أشعر بإحساس غريب فأنا متأكدة أنه سيزول..» وتوقفت فجأة فى أرتباك ثم تابعت: «ورغم ذلك فأنا لا أحبه. ولكن..» وأضافت بسرعة «لا... لا شىء».

قال سين بتراخ: «عزيزتى سيرينا... أرجوك. أخبرينى بما يدور فى عقلك. وإلا فسوف أتساءل عما إذا كانت لديك أفكار أخرى لأننى عاشق وضيع».

«أوه... لست أنت» قالتها مؤكدة بقوة ثم تابعت» ولكننى لا أستطيع منع نفسى من تذكر شىء ما قلته لى ذات مرة... هذا هو كل ما فى الأمر».



وغمغم: «أهذا الحد؟ أنا الآن منزعج حقيقة» ولف يديه حول جسدها الأهيف. وقال بلهجة آمرة هادئة: «أخبرينى».

غمغمت بين كتفيه: «حسناً. لقد كان شيئاً ما حول... مفاتنى الصبيانية اللذيذة».

أحست بضحكته وهو يقول: «لقد قلت ذلك لطمأنتك... لو كنت تذكرين. فى هذا الوقت ظننت أننى قد رتبت أن يكون رينشارد فى قمة عناده وأن يفرك جوادك وبأننى جوادك وبأننى قد أمرت السيول أن تجتاح المنطقة.. كل ذلك لغرض محدد هو إغواءك».

أجفلت سيرينا ثم أضطرت للقهقهة. وقالت بخجل بعد لحظة: «ورغم ذلك... فقد كان شيئاً محبطاً جداً أن تقوله لفتاه».

«رغم أنك كنت ستهاجمينى كنمرة صغيرة لو تقدمت خطوة واحدة أو قلت كلمة واحدة خطأ؟» ثم أمن على قوله بصوت رصين قائلاً: «بالطبع».

ورغم أنها كانت لاتزال تبتسم إلا أنها قالت بلهجة موبخة: «أنت تعرف ما أقصده».

وغمغم: «أظن أننى أعرف». ثم دفعها عن صدره قائلاً: «أنت توجهين لى الدعوة لأعوض ذلك الظلم الكئيب الذى سببته لك... حسن جداً». أزاح الغطاء جانباً وأمسك بسيرينا فجأة لدرجة أنها توترت وأصدرت صوتاً مكتوماً ولكنه لم يعر ذلك أدنى التفاته.

وبدأ يعدد مفاتنها وهو يجوس بأصابعه فى جسدها وهمست: «أوه.. لا تفعل».

سألها بصوت رقيق: «ألا تحبين ذلك».

شهقت: «بلى... لا... لست أدرى. إنه شىء من الصعب شرحه. ولكنه يبدو أنه يجعل كل جسدى يمتلىء بـ... بالأثارة. ماذا تفعل الآن» وقبضت على يده.

خفض سين بصره يحدق فيها وقد بدا فى عينيه الخضراء الرمادية



منتديات ليلاس الثقافية
قمر الليل

غموض غريب ثم سادهما والهدوء والرقه وهو يقول: «كنت سأبين لك مفاتنك لكى لاتشعرين بالصبيانية وعدم النضج. ولكن أظن أننا سنفعل ذلك ببطء أكثر» ثم ومضت على فمه أبتسامة وهو يضيف: «سوف أحادثك بدلاً من ذلك. أنت جميلة ياسيرينا ومرغوبة جداً. وأشك إذا كان هناك من يجادل فى ذلك».

ملأ الخجل عينيها مرة أخرى عندما التقت بعينيه. وقالت: «أنا أيضاً.. غرة جداً وعديمة الخبرة. وأظن أن هذا كان واضحاً؟»

وعق: «العذارى يكن هكذا دائماً» ودس يده فى شعرها وهو يضيق مبتسماً: «إنه جزء من سحرهن. فلا تقلقى كثيراً. وأقول لك شيئاً... دعينا نتراهن على ذلك مثلاً خلال أسبوعين سوف لاتشعرين بالقلق تجاه عدم خبرتك. وخلال ذلك الوقت دعينا نتخذ قرارنا».

«هل سنفعل؟»

وأجابها بهمهمة ولم يقل شيئاً بل طبع قبلة على شفتيها. وقال: «هذا هو اليوم الأول من حياتنا الزوجية. فضلاً عن شهر العسل. ولذلك فيجب أن نخطط كيف سنمضيه. يمكننا أيضاً أن نبقى هنا طوال اليوم...»

«متعاقبين»!

لمعت عيناه: ببريق متوهج وهو يجيبها: «أنا متأكد أنه قد حدث» ثم تابع: «أو يمكن أن نستيقظ... لبرهة».

«سين..» خرج صوتها رقيقاً ورفعت ذراعيها وأحاطت بها عنقه قائلة: «شيء واحد تعلمته خلال ملازمتى لك. وهو أنك غالباً ما تعذبنى ببراعة».

رفع حاجبه وقال بصوت غائبة فى الوقار: «هل تريدين الرهان؟»

بعدما يقرب من أسبوعين كانت سيرينا تجلس القرفصاء فى سرير ديس ولورين. وفى حجرها صحفه بها عنب. ومثل باقى منزل جزيرة كامبرى كانت حجرة رب البيت المزينة بالألوان الفضية والأرجوانية حلماً لأى فنان ديكور. وتجلت الرفاهية فى السرير الذى تجلس عليه سيرينا وقد ظللته محمول على أربعة أعمدة. لم تكن سيرينا ترتدى سوى رداء حمام



فضفاض وهى تأكل ثمار العنب بينما غمر الحجرة ضوء شمس الأصيل.

ومرة أخرى كانت رفاهية حجرة النوم هذه تعيد إلى ذهنها كرم أصحابها.

عندما خرج سين من الحمام الداخلى الملحق بالغرفة لم يكن يستر جسده سوى منشفة يلفها حول ردفيه. قالت له سيرينا: هل تعرف... أننى لازلت مندهشة من عطف الجميع وخاصة ديس ولورين. أقصد ترتيب مثل هذا الحفل البسيط الجميل للزفاف فى مثل هذا الوقت الضيق. وإعارتها منزلها لنا لنقضى فيه شهر العسل وذهابهم إلى روزوورد للعناية بريتشارد وكاميرون. لقد بدت عليها السعادة لزواجك منى».

إبتسم سين وقال: «لقد كانت لورين تحاول التخلص منى بترويجى على مدى أعوام».

«ليس إلى إنسانة غريبة تماماً. الإنسانه التى سببت أيضاً مشاجرة فى حفلتها و...»

قال سين مداعباً: «لابد أنها أحبتك رغم كل ذلك».

فكرت سيرينا ملياً وهى تدس ثمرة عنب خضراء نضرة فى فمها. وأخيراً قالت: «ومع ذلك فلابد أنه فاجأ الكثيرين من الناس. ديلفين على سبيل المثال.. لاأدرى مارأيها فى ذلك».

قال سين بلا مبالاة: «أنا أشك فيا إذا كانت قد عرفت أصلاً». وجلس على حافة السرير.

«أوه؟»

«لقد كانت على موعد للذهاب إلى جولة سياحية قبل أن يحدث ذلك فعلاً».

«أوه. سين» قطبت سيرينا جبينها وهى تلتهم ثمرة عنب أخرى قائلة: «أنا قلقة بخوص شيء ما».

«لم أعرف أطلاقاً من يجد الكثير بمثل هذا الحد ليقلق حوله» ثم أضاف منهمكاً: «أو له مثل هذا الولع بالعنب.. ماذا يكون فى هذه



www.liilas.com

المرة؟»

- تنهدت سيرينا وقالت: «إنها السيدة دينبى. ماذا ستظن بى. وبيل... لابد أنها سيفاجئان تماماً».

«من الممكن أن يكون ظنها أسوأ تجاهى».

حدقت فيه سيرينا قائلة: «أنت؟»

«صغيرتى... بعض الناس قد يتهموننى بأختطاف طفلة من مهدها».

زمت سيرينا شفتيها وقالت بجدية: «سوف أكون فى التاسعة عشرة خلال شهر» وذكرته قائلة: «وقد كنت أبدأ أشعر بالقلق تجاه ذلك. فقط من وجهة نظرك لو كنت تعرف ما أقصده».

وتشدق قائلاً: «أوه... أنا أفعل» ثم نزع صحفه العنب من حجرها. وقال «سوف تفسدين عشاءك إذا أكثرت من أكل هذا. بالأضافة لذلك فأنا أريد أن أبين لك شيئاً.

«ماذا؟» سألته ببراءه عندما طلب منها أن تغلق عينيها. وسرعان ما احتواها بين ذراعيه وغاصت فى أحضانه.

وذكرته قائلة: «سوف نخرج للعشاء بعد قليل... لقد قنا بالحجز».

عقب قائلاً: «تفكير واقعى يليق بالزوجات فعلاً» ثم أضافت: «بالتأكيد أقل كثيراً فى الخجل والقلق بخصوص ذلك على الأقل. لم تتراهن على شىء فى بداية شهر العسل هذا؟»

قالت سيرينا بتلقائية «حسناً. قبل أن أسلم بذلك فإنك لم تذكر ما تم تخصيصه للفائز ولا.. للخاسر».

وبرقت عيناه وهويقول: «أوه هناك عقوبة مروعة ثم تخصيصها للخاسر».

وأدعت التفهم قائلة: «لقد ظننت أنه قد تكون هناك... قبلة تحت الغطاء؟»

«أسوأ».



«قبلة وعناق؟ وبالطبع رغماً عنى إلى حد كبير. ولكن الرهان رهان». وحررت إحدى يديها وأخذت تعبث بالشعر الأسود المصفر الذى تدلى على جبين سين.

قال: إن قبلة أو عناق شىء لا يرضينى تماماً الآن».

«لم أظن أطلاقاً أنها سيفعلان» قالتها سيرينا بجرأة مليطة ثم تابعت: «لقد كنت أعرف منذ البداية أنك ستفعل معى ماتريد... فالرجال الذين يعقدون المراهنات يفعلون ذلك فى الغالب».

يفعلون ما يريدون؟»

أرتجفت شفتها وغمغمت: «أو... هه».

«من واقع تجربتك؟»

«أوه... نعم».

سألها: هل تعرفين ما سأقوله؟... أنت تتقدمين بسرعة جداً. بل إنك أدهشتينى».

قالت بلهجة جادة: «أظن أن الفضل يجب أن يعود لمعلمى... أو اللوم أيضاً. ما رأيك؟»

«أظن أننى يجب أن أبتكر عقوبة للجرأة المتناهية».

أرتجفت شفتا سيرينا مرة أخرى ولكن فى هذه المرة لم تستطع كتم ضحكتها.

وأثناء عودتها للمنزل بعد العشاء أوقف سين السيارة بالقرب من شاطىء البر. كانت ليلة صافية مع درجة معينة من البرودة فى الهواء ولكنها لم تصل إلى برودة روزوورد الآن. وكانت الأمواج المتكسرة تتجمد عقب أصطدامها فى تكاسل بالشاطىء تحتهم. وكان القمر يتألق فى السماء ويكسو مياه المحيط بظلالة فضية».

أراحت سيرينا رأسها على كتف سين وتمتمت: «إنه رائع الجمال».

«نعم... سنعود لمنزلنا فى الغد. ولكن أعتقد أننا سنسلك طريقاً جانبياً قصيراً أثناء عودتنا».



قمر الليل

«إلى أين؟»

«إلى ويناونجا. هل تريدين رؤيتها؟»

«أنا أتوق لذلك».

«حسناً. وبالمناسبة هل تعرفين... لا يجب أن تقلقي حول ما سيظنه بيل ودينيس. فقد وجدتها أناساً عقلاء. ولا يستسلمان للأحكام المتسرعة العارضة. وخاصة على من يحبونها».

وارتسمت على شفتي سيرينا نصف ابتسامة.

«يمكنني فقط تخيل ريتشارد وكاميرون وقد أصيب بالذهول. وبالمناسبة فلدي فكرة بشأنها».

«أوه».

قال مبتسماً: «نعم. إنها سيحتاجان مربية أخرى الآن».

«ولكنها يستلزمان عملاً طوال الوقت بينما قد تكونين مشغولة».

«بأي شيء؟»

رفع أحد حاجبيه قائلاً: «بكونك زوجة».

«كثيرات من الزوجات يجدن التعامل مع الأطفال أيضاً. أنا متأكدة أنني أستطيع وعلى أية حال فلديها بعض الحساسية تجاه موضوع المربيات. دعنا نتنظر ونرى... أرجوك».

«مادمت تقولين هذا... حسناً. فسنعطي فترة للتجربة. ولكن إذا بدأت أشعر بأنني مُهمَّل...»

«أعدك بأن هذا لن يحدث».

وغمغم: «سوف أكتفي منك بذلك» ثم أحاطها بذراعيه وقال: «آخر مرة فعلنا ذلك كانت السماء تمطر».

«لا... لم تكن... أوه.. أنت تقصد...؟»

«نعم... كانت الرمال تغطيك وأنت ترتدين ثياباً تكشف من جسدك أكثر مما تستره». وأجرى عينيه على فستان السهرة الأزرق الذي كانت



ترتديه ـ لقد أحضر لها ضمن ما أحضره خلال شهر العسل.. ما يقرب من خزانة ثياب جديدة كاملة ـ وتأمل شعرها الذي كانت تعقده فوق رأسها كي يبدو أكثر أناقة. كانت أهدابها المسدلة تلقي بظلالها على وجنتيها. وقال بهدوء: «ورغم ذلك فقد كنت جميلة إلى حد مذهل».

إرتفعت أهدابها. وهمست: «لقد قلت لي أنك تفضل نسائك أكبر قليلاً وأنظف كثيراً».

قال ساخراً: «أعرف أنني قد قلت لك ذات مرة أشياء كثيرة يجب أن أكفر عنها» ثم تابع: لكن هناك شيء واحد إعتدت أن تقوليه لي... من حين لآخر. وعلى ضوء ذلك فهل لديك أي ندم الآن؟» ومس فمها ثم أنزلق بأصابعه إلى حلقها.

أرجعت سيرينا رأسها للخلف وأسندته إلى ذراعه كي يمكنها أن تحدقه في وجهه..... في هذه العيون التي جعلتها ترتعد من الخوف ذات مرة. كل شيء حولها كان قد جعلها تشعر تماماً بأنها ليست من فئته... يالها من فتاة غرة حمقاء... إلى أن تزوجها وفجر خلالها أحساساً لم تكن تصرف أنها قادرة عليها... ولتزيد من حبها له. وحادثت نفسها سوف أحبه حتى الموت. وسوف أعوضه عن تلك المرأة الأخرى حتى يحبني ذات يوم بنفس الدرجة...

قالت بصوت مبحوح: «لا... على الأطلاق» وقبلت أصابعه عندما عاد يمر بها على شفتيها وقالت:

«هل تجد أنت أي ندم؟»

«لا» وخفض رأسه منادياً فمها.

كان أول رد فعل لدى ريتشارد وكاميرون عند وصول سين وسيرينا للمنزل هو كيف أن روبرت قد نما كثيراً.

قال كاميرون وقد أتسعت عيناه: «يا أولاد... أو.... يا أولاد. هل ينمو الأطفال بمثل هذه السرعة؟»

قالت سيرينا ضاحكة: «لا... ما الذي يدفعك إلى هذا الظن؟»



www.liilas.com

قال ريتشارد بلهجة خشنة: «إن كامبرون يفكر فيهم منذ زواجك أنت وسين. ويرى سامي بانكس أن ذلك سيكون الخطوة التالية».

تورد وجه سيرينا بينما تبادل ديس ولورين ـ اللذين كانا يقضيان أياماً قلائل أخرى في روزوود ـ نظرات ضاحكة. وقال سين بمل فيه: «قال ذلك... هل قاله؟»

قال ديس متبكماً: «إن سامي بانكس قوة يحسب لها حساب... وإذا سألتني يا سيرينا فأنت تستحقين وساماً لنجاحك في التعامل مع ثلاثتهم».

وعندما أحتشدوا في اللاندروفر التي كان ديس قد قادها إلى مهبط الطائرات لإستقبالها فقد رد سين على قوله قائلاً: «قد تكون تعرف نصف ما يفعلون».

وجانب فهى سألته لورين بأسى: «كيف نجحت في التعامل معهم».

أجابت سيرينا بلهجة تعلمها السخرية: «أنا أشير إلى سين من حيث إلى آخر. وداماً تنطلي عليهم الخيلة... كيف تلقوا الخبر؟»

«حسن جداً في الواقع فإن حتى ريتشارد فقد فوجيء. ولكن قال: على الأقل فهي ستبقى معنا الآن».

لوت سيرينا قسمات وجهها وقالت: «أنا... وماذا عن السيدة دينبي؟»

تساءل ديس: «عن أي شيء تتهامسان أيتها الفتاتين؟»

قالت لورين بمرح: «لاشيء... حديث بنات. هذا كل ما في الأمر».

ولكن سنحت الفرصة لمعرفة رد فعل السيدة دينبي عند سماعها النبأ لأنهم كانوا قد وصلوا للمنزل. وغاص قلب سيرينا في قدميها عندما لمحت السيدة دينبي وبيل يقفان لدى بوابة الحديقة وكأنها لجنة أستقبال.

مد سين يده إلى يدها وضغط عليها مطمئناً.

ولكن إذا كان للسيدة دينبي أن تحفظات على هذا الزواج المفاجيء فقد فضلت الا تبديها. وبدلاً من ذلك أحتوت سيرينا بين ذراعيها وضمتها



بحرارة ثم أستدارت إلى سين وقد ملأت الدموع عينيها وصافحته. ولكن سين لم يقنع بذلك.

قال بصوت وقور: «دينبي... أنت تعرفينني لمدة أطول من أن أذكرها. وكم كنت تعاقبينني وتستزلين غضب الرب على رأسي... والآن أعتقد أنني أستحق أكثر من المصافحة».

أبتسمت السيدة دينبي من خلال دموعها. وأرتكزت على رؤوس أصابع قدميها لتقبله. وقالت: «أنت على حق... أرجو أن تكونا معاً في غاية السعادة».

قال بيل لسيرينا: «إنه إختيار حكيم ذلك الذي فعلتيه.. أيتها الفتاة».

* * *

على مدى الأيام التالية كانت الحياة في منزل روزوود منعمة بالحيوية والسعادة. وكفترة أنتقال من عزبة إلى سيدة المنزل لم تستطع الأمور أن تمضي بسلاسة بالنسبة لسيرينا. لقد صدمها أن الجميع يتكلفون تأكيد ذلك. ولفت نظرها عطفهم غير العادي. وإن بدا مفاجئاً إلى حد ما. حادثت نفسها بأن الجميع يفسحون الطريق كما لو كانوا عاقدي العزم تماماً على جعل هذا الزواج يشق طريقه... حسناً. هذا مفهوم الآن مادام قد حدث. وبإعتبار أنني لم أكن إلى وقت قريب غريبة تماماً... لماذا تبرز هذه الجملة في تفكيري بأستمرار؟ وتأملت ملياً قائلة: «هل هو خيالي أم أن الجميع شديدي اللهفة على تسهيل الأمور لي».

وهزت رأسها. وربما كأستطراد تلقائي تحولت أفكارها إلى سين. ورأته يتصرف على سجيته تماماً... على سجيته... ورقيق حتى في وجود الآخرين. ولابد أن هذا يعني شيئاً. أليس كذلك؟ حتى لو لم تكن هي حب عمره.

«لابد أنها... من يمكن أن تكون؟» سألت نفسها بصوت مسموع



قمر الليل

وقد قطبت جبينها. وتابعت: «لماذا أشعر وكأنني باندورا * عندما أفكر فيها؟»

«أتراها تعرف؟»

توقفت سيرينا وهي في طريقها إلى حجرة النوم عندما سمعت لورين تلقي هذا السؤال على السيدة دينبي. كانتا تجلسان حول إحدى زوايا المنزل على الدرج الخلفي في نعمة من ضوء شمس الأصيل. وقد أدركت سيرينا خلال اليومين الماضيين. أن السيدة دينبي ولورين كانتا صديقتين منذ زمن. وفي الواقع فقد تزوج ديس ولورين من منزل روزوود.

وسمعت السيدة دينبي تجيب: «لست أدري».

قالت لورين: «لابد أنها ستعرف عاجلاً. ولا أستطيع تمالك نفسي من التساؤل عما ستفعله وعن رد فعلها».

ووافقتها السيدة دينبي: «الله يساعدني... ولا أنا أقدر».

«هل هما يتحدثان عني؟» سألت سيرينا نفسها في عجب عندما وجدت نفسها لا إرادياً تسترق السمع مرة أخرى. في هذه الأثناء كانت قد أخذت ريتشارد وكاميرون إلى الجدول للصيد. ولكن ديس وسين لحقا بها وعرضا أن يحلا محلها. وحيث أنها لم تكن ذات خبرة كبيرة في الصيد فقد تخلت عن مكانها ضاحكة. ورفضت أن تبقى لتتعلم. وأمتطت ظهر سالي عائدة إلى المنزل. وكان من الواضح أن لورين والسيدة دينبي لم ينتبها لذلك لأنها واصلا حديثهما بحرية.

قالت لورين بأسى: «لقد كان يمكنك أن تصرعيني بضربة ريشة لدهشتي عندما أعلن سين أنه سيتزوجها».

«وأنا أيضاً عندما سمعت ولكن..»

قاطعتها لورين: «أنا أعرف... من الواضح أنها تهيم به».

عضت سيرينا شفتها.

قالت السيدة دينبي ببطء: «كان يمكن أن يفعل ما هو أسوأ من ذلك. في الواقع أنا أظن أن هذا هو أفضل ما حدث له».



«لدي أغراء أن أظن نفس الظن». براءة ونقاء وفتاة في محنة حقيقية كما أخبرتني وكما أكد سين. ومن الواضح أيضاً أن لديها ثروة خاصة بها. ولذلك لا ينبغي أن نقلق بهذا الصدد؟»

قالت السيدة دينبي بلهجة جافة: «كانت هناك الكثيرات من أمثال ذلك على مر السنين».

«في الحقيقة فإن ريتشارد وكاميرون شغوفان بها. رغم أن ريتشارد سيكون آخر من يعترف بذلك ولكن هل رأيت كيف أضاءت وجوههما عندما وقع نظرهما عليها مرة أخرى؟ وبالمناسبة فكيف أستمتعا بإقامتها مع ديلفين؟ إنها لم يقولا الكثير عنها؟»

«هذان الآثنان» وتنهدت السيدة دينبي وتابعت: «يزيد حذرهما كلما كبرا».

«ماذا تقصدين؟»

«حسناً. إنها لم يعودا يتقبلان الأمور بقيمتها الظاهرية. فقد حدث لهما الكثير جداً في صغرهما. وأعتقد أنه حتى ديلفين أن تلك الأيام التي كان بإمكانها فيها مجرد أن تأتي وتأسر لهم قد ولت. ولكن يجب أن أعترف بأنها كانت صادقة بخصوص ذلك».

«هل وثقت فيك؟»

«نعم. حسناً. أنا أشكر الرب لأجل سيرينا. لقد جعلتني أدرك أنني كنت أعيش شاردة في أرض طيور الوقواق (التي لا تجيد تربية صغارها) * إنهم لم يعودوا أطفالاً».

ساد الصمت لما يقرب من دقيقة. وعندئذ قالت لورين: «لقد كانت دائماً صادقة... أليس كذلك؟»

«هناك بعض الأشياء التي لا أستطيع أن أغفرها لها. سواء كانت صادقة أو لا».

ردت لورين: «وأنا أيضاً» ولكن لنعد إلى سين: «هل يمكن أن يكون فعلها؟»



www.liilas.com

« أوه... لابد... لماذا لا ينبغي عليه أن يفعل؟ »

« يمكن أن يكون سين قاسياً. أنا أعرف. وكلنا نعرف على ما أظن ».

« إذا ما سئلتني عن ذلك فقد فات الوقت... أما إذا كان من حق سيرينا فهذه مسألة أخرى ».

ثم أضافت السيدة دينبي: « حسناً. يجب أن أبدأ الآن في إعداد شيء للعشاء ».

وأبتعدت سيرينا مسرعة. ولكن طوال ما تبقى من اليوم كانت شديدة الحيرة. وسألت نفسها كيف سيكون رد فعلي إذا عرفت ذاك لا أعرفه أياً ما يكون؟ من الواضح أنهم لا يعرفون أن سين كان صادقاً معي ».

جاء العشاء ذا طابع خاص بالسيدة دينبي: لحماً مشوياً وكعكة يوركشاير (التي تعد من اللحم والدقيق والحليب والبيض) * وتبعها حلوى صنعت من الخوخ والقشدة. وفتح سين زجاجة خمر كانت أخر ليلة لديس ولورين.

وكان من دواعي سرور ريتشارد وكاميرون أن سمح لها بتناول كأس من الخمر أيضاً.

ونصحها سين قائلاً: « أرشفاه ».

قال ريتشارد بلهجة توحي بالأهمية: « هذه ليست أول مرة نحتسي فيها الخمر ».

« أوه؟ »

« لقد صحبتنا أمنا للعشاء خارج المنزل. أليس كذلك يا دينبي؟ »

وتلعثمت السيدة دينبي قائلة: « إر... نعم » ثم تابعت: « إذا كنت أتذكر على نحو صحيح فإنها تحبها فأتيا لم تحبانها؟ »

فهقه كاميرون قائلاً: « لم نفعل » وكان معروفاً بالتزامه الصدق دوماً.

قال ريتشارد بفخامة: « لقد كانت شمبانيا. كانت شديدة الفوران ولكنها.. » وتغضن وجهه محاولاً التذكر وأضاف: « كانت لاذعة جداً ».

ثم رفع كأسه تجاه سين قائلاً: « هذه تبدو لذ ».



غمغم سين بوجه جامد خال من التعبير: « يسعدني أنها أعجبتك » ولكن تلاقت عيناه بعيني سيرينا التي أستدارت وتظاهرت بالسعال.

رن جرس التليفون بمجرد أن أنتهوا من تناول حلوى الخوخ والقشدة. وكانت السيدة دينبي تجمع الأطباق فذهبت لترد على التليفون.

وعادت قائلة: « لك يا سين ».

ورفع حاجبيه ناظراً لها ولاح في عينيه عدم الأرتياح بينما تابعت قائلة: يبدو من الصوت أنه س. ت. د ».

ضاقت عينا سين ثم نهض وأخذ التليفون إلى حجرته وأحكم إغلاق الباب.

لن تلق سيرينا بالاً لذلك، وأخذت هي ولورين تساعدان في رفع الأطباق. غالباً ما يجري سين مكالمات تليفونية خاصة بالعمل. وبعد مدة كانت قد بدلت ملابسها وأرتدت قميص نوم وجلست على سريرها تمشط شعرها. وعندئذ رأت سين مرة أخرى.

وبالمقارنة بحجرة ديس ولورين فقد كانت حجرة رب البيت في منزلهم قديمة الطراز ولكنها مريحة. كان هناك مصطلى تتوهج النار في موقده وتلقي بظلاله متراقصة على الجدران العاجية اللون. وقد وضع على جانبي المصطلى كرسيين كل منها على هيئة سله وكانت كسوتها ذات الوان عاجية وفرنفلية برسومات صغيرة تتوافق مع ملاءة السرير. كانت حجرة فسيحة. وفي البداية كان روبرت منتبهاً إلى حد ما من المساحات الخاوية على أمتداد السجادة الفارسية الجميلة التي كانت تغطي الأرض بدأ من أرجل السرير حتى باب الشرفة. ولكن بعد يومين فقط كان يثب فوقها فرحاً بكرة الزغب الصغيرة التي صنعتها له سيرينا وكأن السجادة أصبحت ساحة لعب خاصة به. بل إنه دفع سين لملاحظته قائلاً: « إنه كقط صغير جداً وصعب التمييز فإنه يعرف بالتأكيد كيف يمتع نفسه ».

ولكنها ساءلت نفسها أتراه أدرك أن السجادة تعادل ثروة صغيرة؟

وأبتسمت وأجابت نفسها بأنها كانت تعلمه التحلي بأقصى درجات



قمر الليل

الأحترام ليس فقط للسجادة الفارسية ولكن أيضاً لكل قطع الأثاث والتجهيزات».

ولكن الآن.. وبينما تجلس سيرينا على سريرها تمشط شعرها فقد كان روبرت منكوراً في سلته يغط في سبات عميق.. على الأقل مثل باقي سكان المنزل. وكان الهدوء الشديد يسود المكان. لقد أخلدت لورين للنوم مبكراً قائلة أن صحبه التوأمين وهواء الريف المنعش على مدى الأسبوعين الماضيين قد نالا منها أخيراً. وأصحبت السيدة دينبي مبكراً كما أن ديس ذهب لفراشه منذ ما يقرب من نصف ساعة. وكانت سيرينا قد أعادت فرشاتها لمكانها وأنهت الذهاب لترى ما الذي يمنع سين من المجيء. وفي تلك اللحظة فتح باب حجرة نومها ودخل سين.

قالت مبتسمة: «لقد كنت على وشك المجيء إليك لأدرى ما يمنعك» ثم تلاشت أبتسامتها وخطيت جبينها قائلة: «هل هناك شيء خطأ؟»

ولم يجبها ولكنه أستند إلى الباب المغلق وثنى ذراعيه فوق صدره وأستقر بصره عليها في نظرة جامدة.

كان قد بدل ملابسه لتناول العشاء وأرتدى سرواله الجينز وقميصاً رمادياً مع سترة سوداء. وكان شعره الأسود المصفر مشعثاً كما لو كان قد أجرى يده خلاله بعصبية ربما لعدة مرات. وربما بسبب ملابسه التي ذكرها بمقابلة في حجرته ذات مرة، أو بسبب وجهه أو ربما بسببهما معاً وجدت نفسها تقول في إرتياب: «هل فعلت أنا شيئاً خطأ؟»

سألها بحدة: «لماذا يجب أن تتخيلي ذلك؟»

قالت بتلعثم: أنا... أنا لست أدري... أنت تبدو» وتوقفت وأشارت في عجز».

أعتدل سين وتقدم حتى وصل السرير ووقف منتصباً أمامها وقد دس يديه في جيبيه فأضطرت أن تميل رأسها للوراء حتى تستطيع النظر إليه. وشبكت يديها في حجرها وضغطت ركبتها معاً بعصبية.



ولاحظ الحركتين وقال بصوت لا يكاد يُسمع بينما كان أحد أعصاب فكه ينتفض: «هل تعرفين كم تبدين كبيرة في هذه اللحظة؟»

خفضت سيرينا وألقت نظرة خاطفة على قميص نومها المصنوع من قماش الفيلا الوردي الرقيق والذي كان يصل إلى كاحليها ثم أنتقل بصرها إلى قدميها العاريتين ثم إلى معصميها وقد أحاط بهما شريط فيلا مزركش مثل ذاك الذي يحيط بعنقها. وفي حركة دفاعية مفاجئة رفعت يديها ودفعت شعرها الذي كان مسترسلاً على كتفيها.

ولكن سين منعها بأن قبض على معصمها وقال: «لا تفعلي... فإنه لا يفيد... بل إنه يظهرك كما لو كنت تحاولين أن تكوني أكبر».

فغرت سيرينا فمها وأتسعت عيناها وأجفلت بوضوح ثم لفظت أسمه وهي تلتقط أنفاسها.

«ماذا؟»

همست: «لماذا... حدث خطأ... أليس كذلك؟ أنت.... أنت غيرت رأيك بخصوص... بخصوصنا».

خفض بصره وحدق في عينيها المفعمتين بالألم. ورأت وجهه قاسياً.. بل بدت عليه بعض السخرية. وعلا تنفسها حتى أستحال نشيجاً بسيطاً. وحاولت تُفلت معصمها من قبضته.

جلس سين إلى جوارها وكان معصمها لا يزال في قبضته. وقال بهدوء شديد: «لم أغير رأيي» ومال تجاهها قائلاً: «أشك أنني يمكن أن أفعل ذلك على الإطلاق». وترك معصمها.

سألته في قلق: «إذن لماذا.. يا سين. أرجوك. أخبرني.. تحدث معي أنا.. أنا لا أفهم».

وغمغم قائلاً: «أنت لن تفهمي حتى لو أخبرتك. أنا نفسي فهمت بالكاد. ولكن حيث أنه قد حدث..» وتوقف وعندئذ.. وبصوت نافذ الصبر.. احتواها بين ذراعيه. وقال: «لا تنظرين هكذا..» وبدأ يقبلها.

وفيما بعد... وعندما كانت كل النيران تقريباً قد أحترقت في المصطلى..



www.liilas.com

تحركت سيرينا في حرص. فلم يتحرك سين..

ورقدت على ظهرها مفتوحة العينين مضطربة. لقد كان سلوكه معها حاداً بل عنيفاً وكانت هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك.

حادثت نفسها وهي تحدق في السقف... لقد حدث شيء ما هذا المساء... شيء ما جعله يتغير. ماذا يمكن أن يكون؟ لابد أنني قد فعلت شيئاً ما...

ورغم أنها أجهدت عقلها كثيراً... فلم تصل إلى شيء. وتذكرت أنه كان في غاية الرقة حتى جاءته المكالمة التليفونية... وأنها حتى لم تره بعد ذلك إلى أن...

وتوترت فجأة. المكالمة التليفونية... أتراها كانت بشأنها؟ رالف... ربما... أو زوجة أبيها؟ هل أخطرهما سين بالزواج؟ ولكن أي شيء على ظهر الأرض توصلا إليه وجعله يثل هذه... الحالة التي كان عليها؟

تنهدت في يأس وهي تتوق إلى طلب الراحة والحماية بين ذراعيه. ولكنها تعرف أن هناك حاجزاً ما بينهما الآن. ظلت متيقظة في مرقدها حتى ساعات الصباح الأولى. وعندئذ غطت في نوم عميق.

أوقظها ريتشارد وكاميرون على نبأ أن ديس ولورين على وشك الرحيل.

إرتدت سيرينا ثيابها بسرعة عندما أدركت أنها نامت لما بعد وقت الأفطار. وتعجبت لماذا لم يوقظها أحد قبل ذلك. لم يكن هناك أثر لسين.

كانت السيدة دينبي أول من قابلها فقالت: «لماذا لم توقظيني يا دينبي؟»

«لقد طلب سين أن تدعك نائمة يا سيرينا. والآن سأعد لك بعضاً من الكوب. وهذا هو كل ما يسمح لك الوقت به إذا كنت تريدين توديع ديس ولورين».

«بالطبع أنا أريد... ماذا يمكن أن يظناه بي؟»

جاءها صوت ديس من وراءها: «فقط أنك عروس جديدة حيث أنك كنت لا تزالين نائمة».



وقفزت وأستدارت لترى أن سين كان معه. وتغضب وجهها قائلة: «أوه... أقصد... أوه».

همست لورين في أذنها: «نحن نفهم. لا تدعيهم يسخرون بك».

ورغم أن سين أبتسم إلا أنها كانت أبتسامة روتينية فاترة. وكانت عيناه متيقظتان على نحو غريب. ولأول مرة وجدت سيرينا نفسها غير قادرة على مواجهة هاتين العينين.

ولكنها أستطاعت ببعض الجهد الواعي لإرادتها أن تعكس صورة مبتهجة طوال رحلة الذهاب إلى مهبط الطائرة. وأظهرت أمتناناً حقيقياً لديس ولورين عند مغادرتها.

وعندما أختفت الطائرة وتوقف التوأمان عن التلويح لها بحماسة بدأ سين يقول شيئاً ولكن أحد رجاله الذين يرعون الماشية أقبل بجواده وهو يلوح بقبعته بقوة.

أخذ سين يسب ويلعن سراً. ولكن أتضح أن أحد الرعاة قد سقط من على جواده بينما كانوا يقودون قطيعاً من الماشية التي سحقته تحت أقدامها. وقد أصيبت إحدى ساقيه بشدة.

ولدى تسلمه هذا الفيض من المعلومات من ذلك الرجل اللاهث المرهق الذي أوقف جواده بجوار اللاندروفر فإن سين لم يضيع وقتاً حتى في الأحساس بالذنب. وأعطى الرجل بعض التعليمات السريعة ثم قال بأقتضاب للحشد الموجود باللاندروفر: «سوف أعيدكم للمنزل».

سأله ريتشارد بسرعة: «ألا يمكن أن نأتي وندري؟»

قال سين بلهجة جافة مقتضبة: «لا... لا يمكنكم» ثم تابع «دينبي... هل يمكنك بعث رسالة باللاسلكي إلى الأسعاف الطائرة. يبدو أننا سنحتاجه. شيء مثير للرثاء أننا فقدنا بيل في التو».

قالت السيدة دينبي بهدوء: «حسناً. هل يمكن أن ترتب لمجيء شخص ما لمقابلته ونقله بالسيارة؟»

«نعم. حسناً. أنزلوا» أوقف سين اللاندروفر لدى بوابة الحديقة.



قمر الليل

وبدا على التوأمين السخط وهما يقفزان مع السيدة دينبى. وضع سين يده على ذراع سيرينا عندما كانت على وشك النزول والتفتت تنظر إليه.

قال بهدوء: «على ما يرام؟»

«بخير» كذبت وأسلبت أهدابها على عينيها البنفسجيتين كى لا يرى الحقيقة».

«سيرينا... سوف أعود بأسرى ما يمكننى..»

«بالطبع. أرجو أن يكون بخير. سوف تبقى أصابعى متشابكة قلقاً» وأنزلقت من السيارة. ورغم ذلك فقد ظننت للحظة قبل أن تغلق الباب بأنه كان على وشك أن يقول شيئاً آخر. ولكنه لم يفعل آخر الأمر. وأنطلق بالسيارة مسرعاً.

كان يوماً طويلاً. وكانت الأخبار التى وصلتهم أخيراً تقول أن سين قد رافق الرجل فى الأسعاف الطائر إلى المستشفى المركزى وقد بيت معه.

«إنهم يبذلون أقصى الجهد لإنقاذ ساقه» هكذا أخبرهم بيل الذى كان قد عاد بعد ما أوصل دبس ولورين لمنزلها. وتابع قائلاً: ولكنه وضع خطر... يا له من فتى مسكين. فى الواقع هو لا يزال مجرد طفل».

أجفلت سيرينا ولأول مرة نفد صبرها مع ريتشارد وهى تضع التوأمين فى فراشهما. كان ذلك عندما بدأ ريتشارد طرح نظرياته عن مدى صعوبة فقدان ساقه.

قالت بإقتضاب: «بل صلى كيلا يحدث».

بدا على ريتشارد بعض الأستياء وقال: «أنا فقط أتساءل..»

تنهدت سيرينا وشعثت شعره بيدها قائلة: «أنا أعرف. أنظر. سوف أقرأ لك قصة أخرى. ويجب أن يجعلك ذلك تخلد للنوم».

وقد حدث. ولكن ذلك ترك سيرينا لإرادتها الخاصة. وهو ما حاولت أن تتجنبه طوال اليوم. إن السيدة دينى التى تستيقظ مع الطيور قد ذهبت هى الأخرى لفراشها. وبقى هو أيضاً طائر مبكر. ورغم أنه لم



يسحب مبكراً مثل السيدة دينبى إلا أنه يحب قضاء الساعة الأخيرة من يومه فى القراءة فى هدوء وعزله حجرة نومه.

بدلت سيرينا ملابسها وقررت أن تذهب هى نفسها للفراش. ثم غيرت رأيها وأخذت تتجول مهمومة فى الحجرة.

جلست إلى مكتب سين وعبثت أصابعها بشرائط «الروب دى شامبر» الأزرق القطنى المطرز الذى كانت ترتديه. وكادت تقفز من جلدها عندما رن التليفون.

أجابت على التليفون وقد تلاحقت دقات قلبها فربما يكون سين.

«آلو؟»

كان هناك سكوتاً ثم سلسلة من القرقعة والطقطقة. مرة أخرى قالت: «آلو»

«سيرينا. أهذه أنت؟ أنا... إر... أنا ديلفين؟»

«أوه... مرحباً. كيف حالك؟»

كان هناك بعض التردد ثم قالت ديلفين بهدوء: «بخير... سيرينا... هل سين موجود؟»

أوضحت لها سيرينا ما حدث وسألتها: «هل يمكننى أن أبلغه رسالة؟»

«لا» قالتها ديلفين بنفس اللهجة الهادئة الغامضة ثم أضافت: «وبالمناسبة. تهنئتى».

وتورد وجه سيرينا وقالت وهى تحبس أنفاسها: «شكراً لك. لم أكن متأكدة إذا ما كنت قد عرفت. أنا... لقد حدث على نحو غير متوقع تقريباً».

قالت ديلفين: «نعم.. فى الحقيقة لم أعرف حتى أتصلت بسين تليفونياً الليلة الماضية. حسناً..»

قالت سيرينا مباشرة: «أنت أتصلت بسين الليلة الماضية؟»

«نعم» بدا صوت ديلفين مجهداً ومرهقاً إلى حد لا يمكن وصفه.



www.liilas.com

وقالت: «أنظري يا سيرينا. أنا لن أعطلك. أبلغي حبي للمتوأمين. والآن إلى اللقاء».

رفعت سيرينا سماعة التليفون عن أذنها وحدقت فيها. وعندئذ أغلقت عينيها لأنها تعرف أن كانت هناك مكالمة تليفونية واحدة ليلة واحدة ليلة أمس. وأخيراً أتضحت الأمور.

«من كان هذا؟»

قفزت ورفعت بصرها لتجد بيل واقفاً في المدخل.

سألها: «سين؟ أي أنباء؟» وخطا إلى داخل الحجرة وتابع: «لا أستطيع أن أخرج الطفل البائس من رأسي».

قالت سيرينا بصوت مبحوح: «لا. لا.. لقد كانت دبلفين يا بيل» وأعادت السماعة إلى مكانها وسألته: «بيل... هل كان بينها حب في وقت ما؟ أقصد سين ودبلفين؟»

تغير وجه بيل ببطء وأنقدت عيناه الزرقاوتان بالغضب وقال: «ماذا كانت تفرله لك يا سيرينا».

# الفصل التاسع

## (السيدة وينت وورث)

«لا شيء» إندفعت سيرينا قائلة: «لا شيء» وحكت جبينها في أستغراق وقالت: «كل ما في الأمر أنني قد أستنتجت ذلك».

قال بيل بلهجة آمرة: «أبتها الصغيرة أنصتي لي» ثم تابع «كان ذلك منذ وقت طويل مضى. إنها مياه تحت الجسر... شيء من هذا القبيل».

«حسناً...»

«ولا تدعيها تقول لك شيء آخر. في الواقع. لقد أحدثت ما يكفي من المشاكل في هذه العائلة. ولكن كنت أنت من تزوجها سين أيا كان ما حدث منذ أعوام مضت».

كانت سيرينا شديدة الشحوب. ولكنها قالت بدرجة هادئة إلى درجة كافية: «هل كانت تأمل أن يتزوجها سين؟» -

قال بيل بجدية: «إذا كانت قد فعلت فإنها تكون قد أخطأت فهمه. إنه ليس ذلك النوع الذي يشتهي زوجة أخيه».

«ولذلك فإن سين ودبلفين لم يتقابلا حتى تزوجت أندرو؟»

«لا.. لم يتقابلا... أنصتي. هناك شخص واحد يمكن أن يحكي لك عن ذلك. وهو سين نفسه يا سيرينا».

مسديات ليلاس الثقافية

«أوه.. لقد فعل».

سألها بيل: «إذن لماذا تبدين هكذا؟»

«إنه.. لم يخبرني من.. كانت هي».

صمت بيل للحظة. وعندئذ قال: «هل يحدث ذلك أي فرق؟»

«إنه يحدث.. لست أدري لماذا. ولكنه يفعل» هكذا همست سيرينا لروبرت الذي كان قد تكور في حجرها وهي تجلس في حجرة نومها على أحد المقعدين المجاورين للمصطلى. وبطريقة أو بأخرى أستطاعت أن تطمئن بيل أن هذا قد خطر لها فجأة ولكنها ستكون بخير. وتظاهرت بالرقاد في فراشها.

لكن كان النوم هو أبعد شيء عن عقلها الآن. وأستغرقت في التفكير متسائلة: «لماذا لم يخبرني؟... أنا... أوه. هذا ما كانت ديني ولورين تتحدثان حوله... ليس عن رد فعلي ولكن عن رد فعل ديلفين عندما تعلم بنبأ زواجنا. أظن.. أظن أنها أظهرت رد فعل سيء إلى حد ما. كما لو أن أصابت سين بالأحباط. لقد كان غريباً جداً الليلة الماضية. كما لو أن زواجه مني كان شيئاً لا يجب أن يفعله».

أغلقت عينيها وأسندت رأسها للخلف وتنهدت متسائلة: كيف كانت عمياء إلى هذا الحد. وعندئذ عاد إلى عقلها السؤال الذي حيرها تماماً. لقد كان سين صريحاً معها إلى حد معين. لقد حكى لها عن حباً سار في الأتجاه الخطأ... لماذا لم يخبرها أنها كانت ديلفين؟ كان من المؤكد أن تكتشف ذلك آجلاً أو عاجلاً.

وهمست... «ربما لأنني لم أكن لأتزوجه لو كنت عرفت؟ لم أكن أيضاً... إنه شيء ما يجب معرفته بشأن أمرأة غامضه لم يستطع الحصول عليها. ورغم أن الأمور ليست بهذه الصورة تماماً. إلا أنه شيء آخر أن تعرفها حقيقة. بل وتحبها... وأن تتساءل عما إذا كان سين قد تزوجها كـ... كنوع من العقاب لهذه المرأة. الم تقل له... متى تتوقف عن عقابي؟»



سالت دمعة صامته على وجنتها. ولمستها من على شفتها عندما طرح السؤال التالي نفسه في عقلها.. وسألت نفسها... ما الذي يبقيها متباعدين عن بعضهما بمثل هذه الصورة؟ كان يمكن أن أفهم ذلك إذا كانت لا تزال متزوجة من أخيه. بل إذا كان أندرو لا يزال حياً. ولكن الآن..

أترى... هل كرهها سين ـ رغم سقوطه في الحب معها ـ لتدخلها بينه وبين أخيه... وعندئذ مات أندرو فأصبحت الأمور أشد سوءاً؟ وعندئذ أصبحت حرة تماماً. أليس كذلك. ربما تحبه وتريده في تهور يأس. ولكنها لا تزال تريد أن تحتفظ بنجاحها في عملها على ما أظن... ليست مثلي أنا... الزوجة الكاملة لسين وبنت وورث من كل النواحي ما عدا ناحية واحدة. وهذه الناحية أنه يحب أمرأة أخرى. لست أدري كيف يمكن أن أتعايش مع ذلك. ولست في هذه الظروف... أعتقد أنه ربما يجب أن أرحل قبل أن تتعقد الأمور على نحو لا يصدق ويؤذي كل منا الآخر بدرجة أشد.

ونهضت ووضعت روبرت برقة في سلته. وفجأة أستدارت وأندفعت إلى الفراش وقذفت نفسها عليه وأنكبت على وجهها.

وبكت قائلة: «أنا أحبه بشدة. كيف يمكنه أن يفعل ذلك لي؟ ولكنني سأريه... ماذا؟»

ودارت حول نفسها وجلست في فراشها وقد وضعت وجهها بين يديها وسألت نفسها بإستغراق: أنت لا تستطيعي تحمل الأذى؟» وأجابت نفسها: «نعم. وأيضاً هو يطنني طفلة إلى حد أنني لا أستطيع الفهم... أنا أفهم جيداً الآن. وسأرحل ولكني سأكتب لك كلمة ياسين وبنت وورث. وفي هذه الكلمة سأخبرك بقليل من حقائق الحياة. إنه شيء طيب تماماً أن تكون صلباً وغير مسامح. ولكن الطريق الوحيد لأن تحيا سعيداً هو أن تصفح عنها تماماً. هل هي جريمة أن تجد أنك تزوجت الإنسان الخطأ؟ كم يجب أن تستمر تدفع ثمن ذلك؟ بقية حياتك؟



www.liilas.com

كتبت سيرينا « ... وهذا هو سبب رحيلي يا سين . لا تنزعج بسبب ذلك . على الأقل فهناك نتيجة واحدة طيبة لما حدث . أنا حرة ومستقلة الآن . هل تجد بأساً كبيراً في أن تهتم بروبرت لأجلي؟ » .

وتوقفت وعضت على مؤخرة القلم ثم عاودت الكتابة : « على الرغم من الطريق الذي سارت فيه الأحداث ... فسأبقى دائماً ممتنة لك لإنقاذي من رالف . سيرينا » .

وقرأت وأعادت قراءة كلماتها . وعندئذ طوتها بحرص ثم ... حطلت دموعها . « كل ما يجب أن أفعله الآن هو أن أكتشف كيف يمكنني مغادرة المكان . أنا متأكدة تماماً أن بيل لن ينقلني بالطائرة .... لست أدري ، أعرف أنني لم أفعل ذلك من قبل على الأطلاق ... حسناً . ما عدا الدرس الوحيد قبل وفاة والدي ، لكنني رأيته يحدث عدة مرات ... نعم . هو ذاك » .

« هذه لاندروفر جيدة » قالتها سيرينا بعد ساعات قلائل فيما قبل أنبلاج الفجر مباشرة . وهمست : « أنت تبدأين على نحو ساحر . والآن كل ما يجب أن نفعله هو أن نتتبع الطريق إلى حدود المقاطعة والتي أعرف أنها تبعد خمسين ميلاً فقط . وهناك تلاقي طريق جوندي ويندي الرئيسي . ويمكنني هناك أن أشير إلى أي سيارة ... أوه يا إلهي ... لا تنظرين خلفك يا سيرينا ، ماذا ستظن ديني والتوأمان؟ من المحتمل أن تسقط مغشياً عليها من القلق . ولكن بعد خروج بيل ووجود سين بعيداً لن يكون هناك الكثير مما يمكنها عمله وحتى يأتي ذلك الوقت . فلنرجو أن أكون قد أبتعدت إلى حد كاف بحيث لا يستطيعون إقتفاء أثري . فقط ... أذهبي » .

وبعد ثلاث ساعات أدركت سيرينا أنها قد ضلت الطريق . فرحلة الخمسين ميلاً إلى الطريق الرئيسي كان يجب أن تأخذ ساعة واحدة أو أكثر قليلاً .

وأحست سيرينا بالرعب . وتوقفت اللاندروفر عن الحركة فجأة .

وهمست : « ربما أكون قد أثقلت كثيراً في تعشيق صندوق السرعات . إنها تأخذ بثأرها . ولكنها لن تسير . ماذا سأفعل؟ » .

وحدقت حولها في ذهول . لقد كانت تسير على طريق ما طوال الوقت . ولكن على مدى النصف ساعة الأخيرة كانت تهيم بوضوح بدون هدف بين



أشجار الموجا وكتل العشب الخشن . وعندئذ أحست ببساطة أنها منهكة تماماً . كان ذلك عندما قررت أن تتوقف وتتأمل موقعها . وعندئذ أوقفت المحرك في حماقة .

ووجدت من تأملاتها أن الشيء الوحيد الذي يمكنها عمله هو أن تدور على أعقابها وتحاول إقتفاء أثر طريقها إلى حيث أنحرفت دون قصد عن الطريق الصحيح . وعندئذ رفض محرك اللاندروفر العمل مرة أخرى .

قالت بصوت عال : « سأضطر للمسير » . ثم أرتعدت عندما تذكرت المرة الأخيرة التي أتخذت فيها قراراً مشابهاً لذلك وما ترتب عليه . وأضافت تحدث نفسها : « ولكن لدى مسار أتبعه هذه المرة . والجو ليس مظلماً . ويمكنني أن أتناول جرعة طيبة من الماء من الكيس الموجود بمقدمة السيارة . بل يمكن أن

آخذه معي » .

وأختتمت كلامها بثقة أكبر قائلة : « إن كل الأمور تسير لصالحي » .

وعندئذ نظرت حولها مرة أخرى . إلى السماء الممتدة بزرقتها الشتوية .. وإلى الأراضي المنبسطة بلا نهاية والتي كان يبدو جلياً أنها غير مأهولة . وبدت كأنها شاه وحيدة . وللحظة غلبها احساس قوي بالضآلة والعجز . وهمست : « لماذا لا أتوقف لأفكر قبل أن أفعل مثل تلك الأشياء . ربما لا أزال طفلة أكثر مما أدرك » .

كانت لحظة مؤلمة عندما صدر أزيز من لوحة أجهزة القياس الموجودة في مقدمة السيارة أمام السائق ... كان أزيزاً واضحاً .

حدقت فيه سيرينا وفي الأجهزة ... وبدأ قلبها يخفق بقوة وظنت أن هذا بالطبع لابد أن يكون جهاز لاسلكي للارسال والاستقبال أو شيء من هذا القبيل . وهذا هو سبب وجود مثل هذا الهوائي الطويل ... لماذا لم أفكر ... في هذا ؟

ترددت يدها وجف حلقها لأنها أدركت ... أدركت تماماً أنه لابد أن يكون سين . وربما يكون غاضباً منها إلى درجة لم تحدث من قبل ... ولكن هل يجب ألا تجيبه ؟ ألن يضاعف ذلك من حماقتها؟

ورفعت السماعة وضغطت أحد الأزرار.

«آ... آلو؟».

«سيرينا؟» كان صوت سين. ولم يستطع التشويش فى جهاز اللاسلكى أن يخفى البرودة القاسية فى صوته. وتابع: «أهذا أنت؟».

لعقت شفتيها وقالت: «نعم. إنه أنا يا سين».

مرت لحظة صمت وظنت أنها سمعت تنهده. ولكن كان مجرد تخيلها إذ سرعان ما سألها: «فى أى جحيم دموى أنت؟».

«أنا... لست أدرى».

قال ساخراً: «أنت لا تعرفين... قد يمكننى أن أخمن. ولكنك لا تزالين على الأقل مع اللاندروفر. يالها من نعمة... ولكننى لم أعرف أنك تجيدين القيادة».

أبتلعت سيرينا لعابها وقالت: «فى الواقع ليس لدى رخصة ولكننى تلقيت درسين وقد قطعت هذه المسافة بدون مشاكل، فقط... أنا الآن معطلة عن الحركة... إن اتحرك يرفض الدوران».

قال ساخراً: «يبدو أنك تتخيلين سيارات اللاندروفر آلات قادرة على السحر» ثم أضاف بلهجة جافة: «إذا كنت قد سرت بالسيارة كل هذا الوقت فمن المحتمل أن يكون الوقود قد نفد».

عضت سيرينا شفتها.

قال بحدة: «حسناً... أريدك أن تحاولى وتصفى الطريق الذى سرت فيه - بفرض أنك قد سلكت طريقاً ما - وعندئذ أريدك الا تبرحى مكانك. هل تفهمينى يا سيرينا؟».

«أنا... نعم».

* * *

ولم يأت فى لاندروفر أخرى كما كانت تتوقع بل على جواده وكان يسحب وراءه سالى.

كانت سيرينا تجلس مكتئبة على غطاء محرك السيارة. ولم تنتبه له إلى أن



رفعت بصرها وأستدارت لدى سماعها صوت طقطقة أحد الأغصان. وكان هو هناك. طويلاً.. جامداً.. يمتطى جواده الأسود وقد خرج ساقيه... ويرتدى ملابس ذات لون كاكى وقبعة ذات حافة عريضة.

وهتفت: «أوه» ووضعت يدها على فمها وقالت: «لقد روعتنى».

رمقها بثبات للحظة ثم ترجل وربط الجوادين إلى شجرة ثم أقبل عليها وقال ببطء: «لقد روعت الكثيرين يا سيرينا».

لم تجد فى نفسها القدرة على النظر فى تلك العيون الخضراء الرمادية. وتشبيك مكبوت دست وجهها بين يديها فأضافت الكثير إلى الخطوط المتسخة المرسومة عليه.

قبض على معصميها وجذب يديها من على وجهها وأضاف: «ولا تدموع... ستفيد» ثم قال بصوت هادى آمر: «أنظرى لى».

وعندما فعلت كانت تسرى بها رجفة داخلية إذ أدركت أنه لابد غاضب جداً. كانت عيونه البنفسجية الداكنة بادية الفزع. ولكنها كانت عنيدة أيضاً.

همست: «أنا آسفة... لذلك. ولكن لم يكن واجباً أن تفعل ما فعلت يا سين».

ترك معصميها وأخذ ذقنها فى يده قائلاً: «أتخيل أنك تشيرين إلى موضوع ذلك الخطاب الطويل الذى تركته لى.. كيف تقومين حياتى بخطوتين بسيطتين. وبكلمات أخرى بواسطة فتاة صغيرة تعتبر نفسها نبعاً خالصاً من الحكمة فى هذا الصدد».

فاطمنه سيرينا فى تمرد: «أنا لست فتاة صغيرة».

وعقب قائلاً: «بالتأكيد أنت تتصرفين كإحداهن فى بعض الأحيان» وتعقب أثر دمعة على وجنتها ثم قال: «ولكنك وافقت على هذا الزواج و...».

قالت سيرينا فى أستماتة: «لأننى لم أكن أعرف» ثم تابعت: «لم أكن أعرف أنها دبلفين. لقد حاولت أن أشرح فى الخطاب... لماذا...» وتوقفت



www.liilas.com

وطرفت عيناها. ثم قالت عندئذ فى وقار بالغ: « أنا أريد الحديث عنه أكثر من ذلك» وفجأة بدا التحدى فى عينيها البنفسجتين وهى تقول: « أنا آسفة إذا كنت لا تفهم ما أحس به لكننى لا يمكن أن أغيره. وهذا هو سبب عزمى على الرحيل يا سين ».

بعد لحظة قال بصوت هادىء: « أنت متعجرفة جداً » ولاحت فى عينيه ومضة غامضة.

والتقطت أنفاسها ولكنها نظرت بعيداً. وبدت الكبرياء على وجهها رغم العلامات المتسخة على وجنتيها واضطراب هندامها. كان شعرها قد تفلت من العقدة التى كانت تربطه بها وكان سروالها الجينز وبلوزتها متسخين ومجعدين بعد ثلاث ساعات من مكافحة اللاندروفر عبر طريق كثير الأدغال.

وعلق سين على صمتها قائلاً: « وأيضاً غاضبة منى على ما أظن ».

خفضت سيرينا نظرها إلى يديها ثم نظرت حولها إلى الأدغال الساكنة الحارة وإلى الجوادين الصبورين وقد وقفا بينما تلامست أنوفهما وكانت ذيولهما تطرد البعوض بعيداً.

وقالت: « نعم. أنا كذلك » ثم تابعت بقوة: « يجب أن تخبرنى. ولكنك تصر على معاملتى كطفلة بل طفلة متخلفة. والآن ... » وهدأ صوتها قائلة: « أنظر أين أنا ».

علق قائلا: وسط الجدران بدون مجداف كما يقول المثل القديم».

والتهبت عيناها البنفسجيتان. وللحظة أحست كما لو كانت تريد أن تضربه. ومرت على أسنانها وهى تقول: « لا ... سوف ترى ... سأتغلب على الصعوبات ».

قال فى صوت غير عادى: « سيرينا. لقد ظننت أنك لم ... لم تكونى تعيسة لزواجك منى ».

أسدلت أهدابها. وأجابت بحدّة: « لم أكن » تابعت: « بل إننى إذا كان لابد أن تعلم أعتقدت بأننى سأكون زوجة طيبة جداً بالنسبة لك ».

قال ببطء: « ولذلك ».



صاحت: « ولكن هذا لا يجدى » ورفعت بصرها إليه وتابعت: « ليس عندما تحبها وتحبك و... و.... سين » وتغيرت نبرة صوتها عندما وضع يديه حول خصرها. وسألته: « ماذا تفعل؟ ».

قال بملء فيه: « أنزلك إلى الأرض » وقرن القول بالفعل. ولكنه أحتفظ بيديه حول خصرها بعد أن أصبحت تقف على قدميها.

« سين ... ».

« وسأعد لك فنجاناً من الشاى. إثناء ذلك يمكن أن نتحادث فى هذا الأمر مرة أخيرة وشاملة. هل لديك بعضاً من الملابس النقية فى حقيبتك؟ ».

قالت بتلعثم: « أنا ... نعم. ولكن أنا لا أفهم فأنا أشعر بالحرارة ».

« لن تكونى كذلك أثناء هذه الليلة ».

« الليلة ... سين ». ولعقت شفتيها قائلة: « ماذا ستفعل معى ».

تراقصت أبتسامة سريعة على شفتيه وقال: « لا تبدين خائفة هكذا. سوف نمكر فى العراء الليلة ».

« لماذا؟ ».

قال بإستخفاف: « لماذا يا سيدة وينت وورث؟ لأنه بسبب رغبتك فى الهجرة إلى الأدغال وفقدان الطريق فأعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لأعطيك دروساً فى الأحياء بالأدغال. وعندئذ ». ورفع يده وأزاح بعضاً من خصلات شعرها بعيداً عن عينيها قائلاً: « إذا كنت لا تزالين أسيرة رغبة ملتهبة فى الهرب منى فقد خففين النجاح فى ذلك ... فهذا هو السبب ».

رشفت سيرينا الشاى من فنجانها فى صمت محبط. ولم تستطع مقاومة أحساسها بأنها قد فقدت شيئاً ما فى مسار الأحداث وأن سين بدا مختلفاً بمجرد أن أوقد النار وغلى غلاية الشاى ونشر ملاءة على الأرض فى ظلال الأشجار وسقى الجوادين. لقد بدا واضحاً أن غضبه قد ذهب.

عاد سين من عند الجوادين وتمدد أمامها على الملاءة متكئاً على مرفقه. عندئذ قالت سيرينا فى تردد: « سين ».

نزع قبعته وأجرى يده خلال شعره وقال: « نعم؟ ».



قمر الليل

ولكنها لم تستطع أن تترجم أفكارها إلى كلمات.

وأنتظر برهة مستغرقاً بينما كانت يده تعبث بمقبض فنجانه. ثم رفع بصره ونظر إلى عينيها مباشرة وقال: «سيرينا. إذا كنت قد تخيلت ذات مرة أنني قد سقطت في الحب مع ديلفين فإن ذلك لم يعد موجوداً. إنه لم يعد حقيقياً منذ أن أنقذت... طفلة شاردة بنفسجية العينين من وحل الطريق».

إرتعش فم سيرينا وحاولت الكلام. ولكن مرة أخرى لم تأت أي كلمات.

وتابع قائلاً: «ما قلته لي في خطابك» وأضاف بلهجة جافة «وهو فهمك لكيفية حدوث كل شيء هو لأول وهلة مضبوط إلى حد كبير. لقد كنت أدرس الأدارة وتربية الماشية بالخارج لما يقرب من عام. وبينما كنت بعيداً تزوج أندى من ديلفين. ورغم أنها كانت حامل عند عودتي إلا أنه كان من الواضح أن الأمور لا تسير على مايرام بالنسبة لها وكان واضحاً أيضاً...» ووضح الضجر في صوته وهو يتابع «أن نوعاً من الجاذبية المغناطيسية يبدو وكأنه يتدفق بيننا رغم ذلك. فليساعدني الله. لا أستطيع مطلقاً أن أفهم كيف أردت أمرأة أنا..... أحتقرها».

وخفض بصره ناظراً إلى فنجانه مرة أخرى وفترت سيرينا فها وهي تحدق في خطوط وجهه القاسية.

«ولكن رغم محاولاتي أن أنكره وأخمده وأن... أتجاهلها فإن أندى أحس به. لقد عرف. ولم يعرف فقط ما لم تكن قادرة على إخفاءه ولكن أيضاً ما كنت أحاول كتمانه. ولذلك أخذها بعيداً إلى سيدني لأن ذلك كان هو الشيء الآخر الذي أرادته. وبعد ستة أشهر ولد ريتشارد وكامبرون. وبعد عامين عاد بهما أندى إلى روز وود وأخبرني بطلاقهما ... هو وديلفين. كان ... كان مدمراً، وإلى هذا اليوم لست أدري إذا ما كانت حالته النفسية هي التي أدت إلى الحادثة».

وشهقت سيرينا.

«أوه. إنه لم ينتحر ولكنه كان منطو على نفسه شارداً و ... حسناً، لابد أن هفوه في التركيز قد أحدثت ذلك. إذا أستطعت أن تتخيلي ما أحسست به ...»



«نعم ولكن... أنتم لم تفعلوا شيئاً» وأوضحت سيرينا قائلة: «أقصد أنكم لم تجدوا فائدة في إظهار رد فعلكم للناس. ليس كذلك؟ ولكنكم لم تفعلوا...».

قال سين مؤكداً: «لا. لم تفعل».

«وهي لم تكن الزوجة الصالحة على أية حال» قالت سيرينا ذلك وصمتت «ليكن ذلك كما يكون. لقد كانت زوجته».

قالت سيرينا بصوت لا يكاد يسمع: ولذلك... فأنت على مدى الأعوام الستة الماضية تعتبرها مسئولة عن كل ما حدث. هل أنت... تزوجتني لتزيد من عقابها؟».

إعتدل سين في جلسته وأستند إلى جذع الشجرة التي تظللها. وقال: «لقد قررت أن أتزوجك في ذروة الأحداث».

أجفلت سيرينا تحت وطأة نظرته الخضراء الرمادية.

وأضاف: «ولم يكن في تفكيري أدنى أعتبار لديلفين. ولقد تزوجتك لأنني لم أستطع تحمل فكرة أصابتك بالأذى أو الخوف» وأبتسم قليلاً وأضاف: «ولأنني لم أطق فكرة وجودك في أحضان غيري... ولأنني لم أستطع أطلاقاً الأبتعاد عنك، ولا حتى بعد تلك الليلة الأولى عندما ظننت أنك ربما... السماء تعلم ماذا ظننت».

وهمست: «لكنك فعلت».

«أفعلت أنا؟» وأعترف قائلاً: «لقد ذهبت أيضاً إلى ملهى بليكان في اليوم التالي. وكانت تلك هي المرة الرابعة التي أذهب فيها لمثل هذا المكان محاولاً أقتفاء أنك وقد راودتني فكرة إنتزاعك منه. وهكذا عرفت أنه قد تم صرفك من الخدمة.

دار عقل سيرينا بسرعة رهيبة. وقالت: «كنت أنوي أن أسألك كيف عرفت ذلك».

«ولو لم تطرقي بابي بتقدمك لشغل الوظيفة التي كنت قد عرفت مكان سكنك وكنت قد عقدت العزم على زيارتك لأرى إذا ما كنت قد قررت الأخذ بنصيحتي».



www.liilas.com

حدقت فيه سيرينا بعيون جاحظة.

ولوى شفتيه بإبتسامة غريبة وقال: «كل الأمور تؤكد أنه منذ اللحظة التي قابلتك فيها أنه من الصدق أن أقول بأنك سحرتيننى وأسرتيننى. ولأكون صادقاً فلقد أثرت غضبى أيضاً وبعض من الأشياء الأخرى ولكن الفتنة كانت هناك دائماً». وعندما حاولت الكلام منعها سين عامداً وأضاف: «ما حدث كان... شيئين. أنا آسف إذا كنت عاملتك كطفلة من وقت لآخر ولكنك صغيرة جداً وقد أصبح واضحاً بإطراد أنك بريئة جداً. وعندئذ» وتوقف ثم أضاف: «كنت أنا نفسى. ظللت أفكر بأن هذا لا يمكن أن يحدث لى».

همست: «سين... لما لا؟».

هز كتفيه بضجر ونظر إلى عينيها مباشرة وقال: «عندما تعيشين على طاحونه من الرغبة والكراهية، والاغتراب والأشمئزاز، وكراهية الذات وذلك على مدى فترة طويلة مثلما حدث معى، وعندما تفصلين عن قصد سلسلة متوالية من النساء لجعل نفسك تنسين أو على الأقل أن هذه أو تلك ستكون المرأة التى تمحو كل شىء ثم لا تفعل.. عندئذ من الصعب جداً تصديق أن هذا يمكن أن يحدث. ولكن عندما تكون واحدة تعرفين أنك يجب ألا.... تنظرين إليها»

وسقطت دمعه على يد سيرين عندما قالت: «ليس للأبد؟ أقصد..»

قال سين بهدوء: «أوه. لقد رتبت نفسى على أن أنتظر يا سيرينا. لقد طننت بعد والف.. حسناً.. أننى قد أصبح لدى بعض الوقت الآن فى صالحى. وقت لكى تكبر وتحدد إذا ما كنت أنا من تحبه أم أننى أنقذتها من موقف مروع بشع. وقت لكى تتغلب على خوفها من الرجال.. ولكن فى اليوم التالى مباشرة، عرفت أننى لا استطيع الانتظار وقتاً أطول و..» وأضاف بصوت كئيب: «ولم أعطك خياراً حيال ذلك»

قالت بتلعثم: «حسناً... حسناً» وأضافت: «رغم أننى لم أعرف ما أفعله عندئذ. فبعد ما فعلته..» وأضافت فى رجفة: «كان ذا أثر طيب على. ولكن...»

سألها: «ولكن إذا كنت قد حكيت لك عن ديلفين.. هل كنت



ستفهمين؟ أم أنك كنت ستشعرين بوخز الضمير مثلما فعلت ليلة أمس؟»

لوت سيرينا يدها وقالت: «ولكن كان لابد أن أعرف فى وقت ما يا سين. وعندما أدركت.. أقصد.. أستنتجت أنك قد تغيرت بعد تلك المكالمة التليفونية، وعندما عرفت أنها كانت هى فعندئذ وضعت كل النقط على الحروف. الطريقة التى كنت...»

أغلق سين عينيه للحظات ثم قال بهدوء شديد: «تعالى»

وترددت سيرينا ثم زحفت إلى ما بين ذراعيه.

سألها: «هل آذيتك؟»

«لا.. ولكنك جعلتنى أشعر... أو أظن أن مكالمة واحدة منها وكنت ستدمر على ما فعلت»

«وكان ذلك بالضبط هو سبب أننى لم أعرف كيف أخبرك بأنها كانت هى. هل تفهمين ذلك؟ وقد فكرت مرة أخرى وفى ذروة الأحداث بأنك عندما تكتشفين ذلك سيكون الوقت قد ولى تماماً سألت سيرينا بتردد: «وعندئذ... ماذا حدث؟»

مسح سين شعرها وضمها إلى صدره وقال: «عندما حدثتها عنا أخبرتنى بأننى تزوجت فتاة صغيرة طاهرة أسرتنى بفتنتها المراهقة.. وذلك لأننى لم استطع أن أغفر لها ما فعلته مع آندى. وأنا أعرف أنها كانت إلى حد ما على حق. ليس..» وتوقف عندما أجفلت سيرينا ودس أصابعه بين أصابعها وتابع: «ليس فى الجزء الثانى من قولها. ورغم ذلك أحتلت عليك كى تتزوجيننى» وأضاف بلهجة جافة: «بل إننى لم أحك لك الحقيقة، وليس فقط بشأنها. فقد كنت حذراً جداً بل ماكراً لأننى رغم معرفتى بأنك تنظرين لى كأننى فارس يحمل درعاً لامعاً لأننى كنت أخشى أن يرعبك التصريح الملتهب بالحب. ولذلك فقد تعاملت مع الأمر ببطء ورقة. ولقد أعجبنى أيضاً قلبك الرقيق وأظن أننى قد أشعرتك بقدرتك على رد الدين الذى تشعرين به تجاهى بأن تتزوجينى مدركة أنه لم يعد هناك أى أمل.. للحب الآخر»

قالت سيرينا: «أوه.. لقد فعلتُ»

قال بلهجة جادة نوعاً ما: «بينما كان في قلبي لمعلاً إيمان راسخ بأنك لي. سواء أردت ذلك أم لا أو كنت صغيرة جداً لدرجة ألا تستطيعين معرفة رأيك الخاص. وأيضاً كنت مؤمناً بأن أي رجل آخر لن يُعطى الفرصة ليس فقط ليؤذيك أو يرعبك ولكن ولا حتى ليفير ذلك»

حدقت فيه سيرينا ذاهلة وقالت: «سين؟.. أوه.. لم أعرف.. هل هذه هي مشاعرك الحقيقية؟»

هدأت عيناه وقال: أنا خائف لذلك. لكنني أشعر أحياناً بذنب مثل الجحيم لدفعك بهذا الأسلوب و... وخداعك. وعندما قالت ديلفين ما قالته فقد كان واحداً من تلك الأحايين»

همست: «سين.. أوه سين» ومدت يدها تلمس وجهه وقالت: «هل تعرف كيف يكون إحساسي عندما لا أكون معك؟ إنه يكون كما لو أن كل الأنوار قد أطفئت. إنه ليس مرعباً فقط بل يشعرني بوطأة الوحشة بدرجة لم أعرفها في حياتي. هل تعرف كيف يكون احساسي عندما.. عندما أراك مع فتاة أخرى»

قطب جبينه قائلاً: «متى.. من؟»

«في الحفلة.. كنت تتحدث إلى امرأة ذات شعر فاحم. فستان ذهبي وكنت تنظر إليها.. بنوع من..»

ابتسم سين وغمغم: «محبوبتي سيرينا. هذا صحيح إلى أن قذفت ريج فيندلي بالكلمة الجارحة. كنت أصب عليه أقسى لعناتي» ولوى قسماته قائلاً: «الخطة (أ) التي تتضمن ليس فقط قوة الارادة ــ وهي المعركة التي خسرتها ــ بل كانت تتضمن بعض الحيل. أنا حتى لا أذكر اسم هذه الفتاة»

«أوه.. حسناً. كنت أتمنى أن أعرف لأنني أحسست.. ببؤس شديد وغيره وكل أنواع الأشياء المرعبة.. وإنني في أوقات كهذه أشعر بأن دنياي قد انشطرت وأنني أفعل..» وأضافت بهدوء: «وأنني أفعل أشياء مجنونة كهذا»

وأحاط وجنتها بكفه وقال: «إن عالمي يتجه إلى الجنون. وأنا أتشاجر مع الناس ليس فقط جسدياً.. ليست لديك فكرة عن مدى الأذى والفراغ الذي



أحدثته هذا الصباح عندما عدت للمنزل ووجدتك قد رحلت. وكان الجميع يجرون ويدورون حول أنفسهم»

أجفلت سيرينا.

قال واعداً: «سوف أعوضهم عن ذلك»

قالت بصوت مبحوح: «ربما يدركون. هل تعلم بأنهم جميعاً مقتنعون بأنني أفضل شيء حدث لك على الاطلاق وليس لديهم أي شك في أنني أهم بك»

سألها: «هل قالوا لك ذلك؟»

ارتجفت شفتاها وقالت مبتسمة: «لقد قالوه لبعضهم. وقد تصادف أن تناهى إلى سمعي»

وعضت عيناه وهو يقول: «على ما أظن أنك تعرفين كل هؤلاء الناس الذين كنت قاسياً جداً معهم هذا الصباح؟»

«بعضهم»

«إذن. أعتقد أنه من الملائم أن نبدأ زواجنا من جديد» وظل مركزاً نظره إليها حتى أومأت برأسها. وقال يوجهها: «في هذه الحالة أظن أنك تستطيعين تقبيلي الآن» وتبع محيط فمها قائلاً: «يبدو أنه يروض الوحش بداخلي».

وفعلت.

قالت سيرينا بلهجة حالمة: «ولذلك فهذا ما خططت منذ البداية لتفعله معي الليلة».

همهم سين ثم قال: «برغبتك أو بدونها. بل إن لدي خططاً بشأنك أكثر شراً»

ابتسمت سيرينا ابتسامة خافتة وقالت: «يمكنني أن أتخيل»

كانا يضعان على أرضية اللاندروفر وقد تراقصت على جوانب خيمتها المسدلة ظلال ألسنة النيران التي كان سين قد أوقدها بالخارج. وقد كان يوماً لا ينسى رغم بدايته المشؤومة. كان سين قد أقبل مزوداً بالطعام. وبعد أن بعث



www.liilas.com

برسالة إلى بيل بأن كل شيء على مايرام ـ وكان هذا حقيقياً ـ فإنه لم يقتصر على أن أراها بعض العجائب فى الأدغال بل أعطاها أيضاً بعض الدروس فى كيفية الأحياء بها. وعندما أقبل الليل ببرده المفاجيء فقد أوقد النار وأعد لها عشاء ثم كومه النار لتدوم بضع ساعات. وبعد ذلك أعد فراشها لقضاء الليل.

وتشدق سين قائلاً: «هل يمكنك؟» وأزاح الأغطية جانباً كى يستطيع مشاهدة جسدها العارى تماماً على مهل.

ثم سألها: «برد؟»

«لا» ولكنها أرتجفت لدى لمسته.

وعبث بعلامتيها قائلاً: «أخبريني بما طاف بخيالك»

قالت بصوت رقيق: «حسناً.. لقد قلت لى ذات مرة..»

وتأوه سين ونظر إلى عينيها بندم.

وتظاهرت سيرينا بالرزانه وهى تتابع: «أنك لو كان لديك بعضاً من حسن التقدير لكنت وضعتنى على ركبتيك وأوسعتنى ضرباً حتى تسحق أنفاسى لمجرد أن تعلمنى أن أتوقف وأفكر قبل أن أرتكب مثل تلك التصرفات الطائشة...»

وقاطعها قائلاً: «لو كنت أعرف أنك ستتذكرين كل شيء لعين قلته لك..»

قالت بلهجة مغيظة ساخرة: «لكنت أصبحت أكثر رقة معى ولم تتوعدنى بالعنف؟»

وافقها قائلاً: «ربما» وكانت عيناه تضحك لعينيها. وتابع قائلاً: «ولكنك أخطأت فهمه»

«أفعلت أنا؟»

قال بجدية: «نعم. قد يكون ذلك صحيحاً كبنات المدارس غير المطيعات أما السيدات المتزوجات فإنهن يتطلبن معاملة مختلفة»

تمتمت سيرينا ببراءة: «حقاً؟» ورمقت ذراعيها بتراخ عندما أعاد تركيزه إلى ثدييها فأحنت بها تحرقاً أجناح جسدها. ودست أصابعها فى شعره ثم عبطت بها إلى عنقه وسألته: «معاملة أكثر شراً من هذه؟»

«على طول الخط. ولكن بسبب احساسى المتنامى بافلاك هذا الصباح فقد



فكرت أن أؤجله حتى تصبحين حاملاً»

«لكى لا استطيع الهرب مرة أخرى؟»

«أوه.. هه.. شيء ما شبيه بذلك»

«أنا أفهم»

«ولكن فى لحظات تفكيرى الأكثر عقلانية. فأنا أفكر فى أن هذا أمر ينبغى أن نؤجله لفترة. فما رأيك؟»

سألته سيرينا بجدية: «ألأننى صغيرة جداً»

أجابها سين: «لأننى أريدك لنفسى لفترة» وعندئذ أضاف «ربما لا تكونين لاحظت ما يحدث لى...»

وهمست: «لقد لاحظت.»

«حسناً على ضوء إقتناعك بأنك الزوجة الكاملة بالنسبة لى..»

«أنا لم أقل ذلك» ولكنها دنت من ذراعيه التماساً للدفء وهى تبتسم برقة.

«كان شيئاً شبيهاً جداً. أنا متأكد»

«وقد أثبته على مرور الوقت. اليس كذلك؟»

«نعم.. هل تحبيننى؟»

«أكثر من أى وقت مضى.. أوه»

«ماذا الآن؟»

«لقد نسيت أن أسألك عن راعى الماشية»

«إنه فى طريقه للتحسن. هل هناك شيء آخر؟» ورفع حاجبيه متهكماً وهو ينظر لها.

«ل.. لا»

«فقط؟»

«سين.. ماذا سيفعل بشأن ديلفين؟» كانت عيون سيرينا البنفسجية مترددة ولكن حادة.

تنهد قائلاً: «لقد كنت أعجب متى ستبدأين التساؤل عنها مرة أخرى»

«هل تعرف أننى لا أستطيع منع نفسى من حبها»

«أنا أعرف» واحتضن عنقها وجذب رأسها إلى كتفيه. وقال: «ماذا



قمر الليل

يمكنني أن أقول؟ والآن وقد انتهت سنين العذاب بالنسبة لي فيمكنني فقط أن أشعر بالأسف لأنها لم تنته بالنسبة لها. ولكن ربما نستطيع ـ نحن ـ المساعدة في الحقيقة هذا هو ما اتصلت تليفونيا لتقوله لي في الليلة الماضية.. إنها المكالمة التي أجبت أنت عليها»

«أوه» تحركت سيرينا لتنظر إلى عينيه.

قال: «لقد اتصلت مرة أخرى هذا الصباح لتعتذر عما كانت قد قالته ولتؤكد أنها عقدت العزم على أن تحاول وضع كل شيء وراءها الآن و... أن ترتب حياتها بصورة أفضل حتى يستطيع رينشارد وكاميرون قضاء أطول وقت ممكن معها. لقد قلت أنها يجب أن تفعل ذلك من أجل نفسها ومن أجلها مع أننا أعتدنا دائماً أن نحبها ونعاملها كأبناءنا» وأضاف عندما توترت سيرينا «أنا لا أقصد انتزاعها فجأة من روزوود، ولكن على الأقل تدريج خطة لدمجها في حياتها. لقد قالت أنها أدركت فجأة كم كانوا أثرين لديها. وأنها أحست بالذنب الشديد لأن الأمر قد استلزم كل هذا الوقت لكي تفهم»

طرفت سيرينا عينيها لتدفع دمعة سالت على وجنتها فأحنى رأسه وقبل جفنيها. وقال: «أعتقد أنني قد أقنعتها بأن تؤمن أن معظم اللوم لذلك يقع على أنا ولكننا يجب أن... نلقي ذنوبنا خلف ظهورنا ونركز على ما هو أفضل لها ولها.»

طوقت سيرينا عنقه بذراعيها.

سألها: «على ما يرام؟»

قالت برقة: «نعم. فقط مجرد شيء أخير. شكر لك على هذا اليوم الجميل»

«سيرينا». كان صوت سين غير منتظم. وشدد حضنه حولها للحظة بدرجة لا تكاد تحتمل، ثم أرخى ذراعيه وتبد قائلاً: «أنا أعبدك».

قمر الليل

www.liilas.com